ماله صيغتان من صيغ جمع التكسير
في
القرآن الكريم
دراســـة لغويـــة

إعداد
دكتور/ مصطفي عبد الهادي عبد الستار محمد
مدرس بقسم أصول اللغة
كلية اللغة العربية بالمنوفية – جامعة الأزهر

الملخص

ضم القرآن الكريم بين دفتيه كنوزاً جليلة وأسراراً في شتى العلوم والمعارف، وقد مهَّد السبيل في كل عصر للوصول إليها والوقوف على بعض أسرارها ودقائقها، فجاءت البحوث في القرآن الكريم متنوعة متعددة بتعدد المعارف والاتجاهات كاشفة عن عظمة هذا الكتاب المقدس، وأثره البالغ على الناس أجمعين.

ومن المباحث اللغوية التي حظيت بقسط وافر من البحث والدراسة في اللغة والقرآن الكريم ظاهرة الجمع المكسر أو جمع التكسير، لما لها من أثر كبير، من ناحية المستوى الصرفي ومن ناحية المستوى الدلالي وارتباطها بالسياق، الذي قد يفرض نوعاً معيناً من الجموع، لا يؤدي المعنى، أو يفهم المقصود إلا به، أو من خلاله ولقد كان من فضل الله على أن هداني إلى اختيار موضوع وثيق الصلة بالدراسات القرآنية والعربية على حد سواء، وهو "**ما له صيغتان من جموع التكسير في القرآن الكريم دراسة لغوية**"، وقد تناول البحث أثر القرآن الكريم في العربية ومدى أهميته للغتنا العربية، وفكرة العدد في اللغات الإنسانية، والجمع وأقسامه، وجمع التكسير، وأهميته في الدراسات اللغوية، وآراء العلماء فيه، كما تناول البحث أيضا الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم على صورتين فأكثر من جموع التكسير، والمفرد فيها واحد، مثل إخوة وإخوان، وأسرى وأسارى، أسورة وأساور، ألوف وآلاف، والبحار والأبحر، و حُمُر وحمير، ذكور وذكران، وخلفاء وخلائف، وشداد وأشداء، وشهداء وشهود، وأشهاد،

وأنفس ونفوس، فجمعتها من سور القرآن الكريم وقمت بترتيبها ترتيباً معجمياً أبجدياً وأصلتها تأصيلاً لغوياً من مصادر اللغة المختلفة وكتب التفسير ومعاني القرآن الكريم وإعرابه.

وكان من النتائج التي توصل لها البحث أن جمع التكسير كثير الاختلاف والتداخل، ولا يكاد يسلم فيه بناء من هذا، وقد جاءت الأمثلة القرآنية في بعضها مصورة لهذا التداخل، حتى اعتبار القلة والكثرة حداً فاصلاً في أبنية الجموع من الناحية الدلالية أمر يصعب القطع به، كما يهتم القرآن الكريم غالباً بإفراد كل صيغة من صيغ جمع المفرد بمعنى خاص، سواء توافقت في معنى القلة أو الكثرة أو اختلفت، وإن كانت في الأصل يجمعها المعنى العام للمفرد، وهي خصيصة في الاستعمال القرآني من جهة إيثار جمع ما بدلالة معينة، وقصر آخر على دلالة أخرى.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم – جمع التكسير – جمع القلة – جمع الكثرة – اللغة – الدلالة.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير من نطق بالضاد محمد ﷺ وعلى آله وصحبه، ومن سلك طريقهم إلى يوم الدين وبعد.

فالقرآن الكريم كتاب الله الأعظم، ونبراسه الأنور، ودستوره الخالد للبشرية حتى قيام الساعة، أنزله الله ﷻ بلسان عربي مبين، وتكفل بحفظه، وبحفظ لغته، فقال: "**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**". (الحجر آية: ٩).

ومن مظاهر حفظ الله تعالى للغته أن ضم بين دفتي كتابه العزيز كنوزاً وأسراراً في شتى العلوم والمعارف، وهيَّأ السبل وذلَّل الطرق في كل عصر ومصر للوصول إليها والوقوف على بعض أسرارها ودقائقها، فجاءت البحوث في القرآن الكريم متنوعة متعددة بتعدد المعارف والمشارب كاشفة عن عظمة هذا الكتاب المقدس، وأثره الحضاري الذي لا ينكره إلا جاحد. ولولا القرآن الكريم ما كانت عربية، وما حفظت أسسها وقواعدها، ولا بقيت خالدة في مستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالاية، ولكانت كغيرها من اللغات الإنسانية التي ماتت أو أهملها أهلوها فانزوت، أو آوت إلى ركن بعيد.

من أجل ذلك تنادى أهل العربية إلى عربيتهم من خلال دعوة القرآن الكريم لهم بالبحث والتفتيش، والنظر والتأمل، فراح كل فريق يذود عن حياضها كل في مضماره وميدانه، فهذا في نحوها وصرفها، وهذا في متنها وأصواتها، وهذا في آدابها وبيانها خدمة لها ولكتاب الله العزيز الذي راعهم براعة أسلوبه، وجودة سبكه، وجزالة ألفاظه، وفصاحة مفرداته وبلاغة تراكيبه، وسمو معانيه، كل يكتب ويسجل حسب ما أفاض الله تعالى عليه من فقه وعلم.

وعلم الصرف بمسائله وفروعه وقضاياه قد نال قسطا كبيرا من عناية العلماء والدارسين قديما وحديثا؛ إذ لا يستغنى عنه مشتغل بأي علم من علوم اللغة والقرآن الكريم، فهو علم ميزان كلام العرب، ولا يعرف الاشتقاق في اللغة إلا من جهته، وهو الذي يزودنا بالوسائل والطرق التي نحتاج إليها في تنمية اللغة وإثرائها، ولولا هذا العلم لتداخلت الأصول بالفروع ولتلبست علينا دلالات الألفاظ.

وذلك ما دفعنى إلى الاهتمام بهذا الجانب اللغوي والإسهام ولو بقدر ضئيل في صرح الدرسات اللغوية القرآنية، بالإضافة إلى وجود الرغبة الصادقة في نفسي لمعايشة القرآن

الكريم والوقوف على بعض أسراره اللغوية في صيغ القرآن الكريم وبنيته الصرفية، والحاجة إلى معرفة هذه الصيغ في سياقها القرآني، ومحاولة الاقتراب من تعليل الاستعمال القرآني لهذه الصيغة أو تلك في موضع معين أو في مفهوم لا تتعداه، واستخدام صيغة أخرى في موضع آخر للسبب نفسه.

ولقد كان من فضل الله ﷻ على أن أرادني بأن أكون مساهماً في هذا الصرح البحثي القرآني اللغوي، فهداني إلى اختيار موضوع وثيق الصلة بالدراسات القرآنية والعربية على حد سواء، سمَّيته: "**ما له صيغتان من صيغ جمع التكسير في القرآن الكريم دراسة لغوية**". فمن أبواب الصرف التي عالجها البحث معالجة لغوية تطبيقية جمع التكسير مما له صيغتان ومفردهما واحد في القرآن الكريم، الذي لا ريب يعدّ المجال التطبيقي الوظيفي لهذا العلم الجليل والذي ما نشأ إلا لخدمة القرآن الكريم من خلال ضبط لغته العربية التى نزل بها، وصيانة بنيتها.

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد ومبحث واحد وخاتمة، تكلمت في المقدمة عن أثر القرآن الكريم في العربية ومدى أهميته للغتنا الشريفة، وتحدثت في التمهيد عن فكرة العدد في اللغات الإنسانية، وعن الجمع وأقسامه، وجمع التكسير فعرفت به، وقسمته، وبيَّنت أهميته في الدراسات اللغوية وآراء العلماء فيه، ثم تحدثت في البحث عن الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم على صيغتين فأكثر من صيغ جمع التكسير، والمفرد فيها واحد، فجمعتها من سور القرآن الكريم وقمت بترتيبها ترتيباً معجمياً أبجدياً وأصلتها تأصيلاً لغوياً من مصادر اللغة المختلفة وكتب التفسير ومعاني القرآن الكريم وإعرابه، وكشفت عن أوجه الاختلافات الدلالية بينها وحاولت إماطة اللثام عن بعض الأسرار القرآنية في إيثار الأسلوب القرآني هذه الصيغة أو تلك في سياق معين متى أمكن إلى ذلك سبيلا بلا تكلف في التعليل أو تمحل في السبب، ثم أردفت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج من خلال البحث.

وبعد فهذا بحثي المتواضع وعملي الذي لا أدعي فيه الكمال، والله من وراء القصد، هو العاصم من الزلل والخلل والخطل ، وهو حسبي عليه يتوكل المتوكلون

تمهيد:

من الظواهر اللغوية التي حظيت بقسط وافر من البحث والدراسة في اللغة والقرآن الكريم ظاهرة الجمع المكسر أو جمع التكسير، لما لها من أثر كبير، من ناحية المستوى الصرفي وناحية المستوى الدلالي وارتباطها بالسياق، الذي قد يفرض نوعاً معيناً من الجموع، لا يؤدي المعنى، أو يفهم المقصود إلا به أو من خلاله.

الرتب في الأعداد ثلاث:

رتبة الواحد، ورتبة الاثنين، ورتبة الجماعة، فهي للتوحيد والتثنية والجمع، لا يزاحم في الحقيقة بعضها بعضاً، فإن عبر عن واحد بلفظ جماعة وعن اثنين بلفظ الجماعة، فذلك كله مجاز[1].

ومن المعروف أن العربية قد ورثت هذه الظاهرة من اللغة السامية الأم، والتي عرف فيها التقسيم السامي المشهور للعدد، فالعدد فيها إما مفرد ، أو مثنى، أو جمع ، والجمع ما ليس مفرداً ولا مثنى، وهو إن كان جمعاً لمذكر عاقل اطردت قاعدته من حيث جمعه بالواو والنون رفعاً وبالياء والنون نصباً وجراً، تقول: محمدون، ومحمدين، وكذا مسلمون ومسلمين، وإن كان جمعاً لمؤنث عاقل جمعته بالألف والتاء جمعاً قياسياً مطرداً، تقول: هندات، ومسلمات، روعي في الجمعين سلامة مفرده من حيث بقاؤه على صورته وهيئته عند الجمع بلا تغيير، وإن لم يكن هذا ولا ذاك فهو الجمع الثالث جمع التكسير الذي لا تبقى هيئة مفرده وصورته على حالها عند الجمع بل تتغير، كما في قولك: رجل ورجال، وحمل وأحمال، وفتى وفتية.

وسائر اللغات الإنسانية تحرص على التمييز بين فكرتي الإفراد والجمع، فهي في مجملها مفرد وجمع، ولكنها تتخذ في هذا المعنى العقلي العام طرائق شتى لتطوير أو التعبير عنه، فمن اللغات ما يميز في الصيغة بين المفرد وغير المفرد، فتجعل للمفرد صيغة، ولغيره أياً كان كَمّه صيغة أخرى، كمعظم اللغات الأوربية، ومثل هذه اللغات تلتقي في هذه الظاهرة اللغوية بالتقسيم المنطقي عند الحديث عن الكمّ، في حين أن اللغات السامية تتخذ لهذه الفكرة

[1]() الصاحبي في فقه اللغة العربية، لابن فارس / ١٤٢.

العقلية ثلاث صيغ: واحدة للمفرد، وأخرى للمثنى، وثالثة للجمع، بل إن العربية لتفرق بين الجموع فتجعل من الصيغ ما يفيد القلة ومنها ما يفيد الكثرة[٢].

وقد عدد برجشتراسر من خصائص العربية: حصر بعض جموع التكسير، وهي فِعلة وأفعل وأفعلة وأفعال في القلة، أي في عدد دون العشرة[٣].

والجمع ضم شيء إلى أكثر منه من لفظه[٤]، بأن تجمع شيئاً إلى شيء، وهو مصدر قولك: جمعت الشيء جمعاً، الجيم والميم والعين أصل واحد يدل على تضام الشيء، يقولون: استجمع السيل: اجتمع من كل موضع، وجمعت الشيء إذا جئت به من ههنا وههنا، وتجمع القوم: يجمع الناس، والمسجد الجامع: الذي يجمع أهله، ويقال للمرأة إذا ماتت وفي بطنها ولد: ماتت بجمع[٥].

والتثنية غير الجمع وإن كانت موافقة للجمع في معناه لأن معنى التثنية هو ضم شيء إلى شيء كذلك، وكذلك معنى الجمع ضم شيء إلى شيء، وليس كل شيئين اتفقا في المعنى وجب أن يتفقا في أحكامهما، لأن العرب قد فرَّقت بين إعراب التثنية والجمع، وبين الكناية عنهما[٦]، ويفترقان أيضاً في المقدار والكمية[٧]، ولا يجوز أن يقع أحدهما موقع الآخر إلا لمعنى يحسنه ويوجبه[٨].

والغرض من الجمع الإيجاز والاختصار، كما كان في التثنية كذلك إذا كان التعبير باسم واحد أخف من الإتيان بأسماء متعددة، وربما تعذر إحصاء جميع آحاد ذلك الجمع وعطف أحدهما على الآخر[٩].

---

[٢]() من أسرار اللغة د/ إبراهيم أنيس / ١٥٢، ١٥٣، وانظر تيسيرات لغوية د/ شوقي ضيف / ٥٦ ولغة هذيل، د/ عبد الجواد الطيب / ١٨٣، والتطور النحوي لبرجشتراسر / ١٠٦ وما بعدها، والمثنى في اللغات العربية المسماة بالسامية د/ سلوى ناظم الدبوسي، ضمن بحوث في علم اللغة المقارن والتقابلي، (مطبوعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة)، / ٢١١

[٣]() التطور النحوي لبرجشتراسر / ١١١.

[٤]() شرح المفصل لابن يعيش - ٥/ ٢.

[٥]() مقاييس اللغة لابن فارس - ١ / ج م ع ، ولسان العرب لابن منظور - ١ / ج م ع.

[٦]() الفوائد والقواعد لعمر بن ثابت الثمانيني / ١٣٠.

[٧]() شرح المفصل لابن يعيش - ٢/٥.

[٨]() الفوائد والقواعد لعمر بن ثابت الثمانيني / ١٣٠.

[٩]() شرح المفصل لابن يعيش - ٥ / ٢ .

أقسام الجمع: الجمع للأسماء دون الأفعال والحروف، وهو على ضربين: جمع تصحيح، وجمع تكسير.

فجمع التصحيح: ما سلم فيه نظم الواحد وبناؤه[١٠]، تأتي بلفظه البتة من غير تغيير، ثم تزيد عليه زيادة تدل على الجمع، كما فعل في التثنية، ويقال له جمع سالم لسلامة لفظ واحده من التغيير[١١]، وهو على ضربين: جمع تذكير، وجمع تأنيث.

فأما جمع التذكير فهو الذي يكون في الرفع بالواو والنون، وفي النصب والجر بالياء والنون، إنما يكون هذا الجمع للمذكرين ممن يعقل نحو زيد .

وأما جمع المؤنث فإذا جمعته جمع السلامة زدت في آخره ألفاً وتاء، وتكون التاء مضمومة في الرفع ومكسورة في الجر والنصب[١٢].

والضرب الثاني من ضروب الجمع جمع التكسير، وهو: كل جمع تغير فيه نظم الواحد وبناؤه، وإعرابه جار على آخره، كما يجري على الواحد الصحيح تقول: هذه دور وقصور، ورأيت دوراً وقصوراً، ومررت بدورٍ وقصورٍ[١٣].

أو هو ما تغير فيه بناء الواحد، إما بزيادة ليست عوضاً من شيء من غير تبديل شكل كصنو للمفرد وصنوان لجمعه، أو بنقص من غير تبديل شكل كتخمة بضم التاء وفتح الخاء المعجمة للمفرد وتُخَمْ لجمعه، أو تبديل شكل من غير زيادة ولا نقص كأسد بفتح الهمزة والسين للمفرد وأسد بضم الهمزة وسكون السين لجمعه، أو بزيادة وتبديل شكل كرجال ورجل، أو بنقص وتبديل شكل كرسل ورسول أو بهن أي: بالنقص والزيادة وتبديل الشكل كغلمان

---

[١٠] () اللمع لابن جني / ٦٣, وانظر شرح اللمع لأبي القاسم بن محمد الواسطي العزيز / ٢٤.

[١١] () شرح المفصل لابن يعيش - ٥ / ٢، وشرح اللمع في النحو لأبي زكريا بن علي الخطيب التبريزي / ٨٢.

[١٢] () اللمع لابن جني / ٦٣، ٦٥، وانظر شرح اللمع لأبي زكريا التبريزي / ٨٣ ، ٨٤ ، وشرح اللمع لأبي القاسم الواسطي العزيز / ٢٤ ، والتعريفات للجرجاني / ١٠٥ ، ١٠٦ .

[١٣] () اللمع لابن جني / ٦٨، وانظر شرح اللمع لأبي القاسم الواسطي / ٢٧، وشرح كافية ابن الحاجب لرضي الدين الإستراباذي - ٣ / ٤٦٧، وأوضح المسالك لأبي محمد بن عبد الله جمال الدين بن هشام / ٤ / ٣٠٦، وشرح المفصل - ٥ / ٦، وشرح ابن عقيل - ٢ / ٩١، والتعريفات للجرجاني / ١٠٦.

وغلام، ففيه زيادة ألف ونون ونقص الألف الواقعة قبل الميم، وتبديل شكله بكسر فائه وإسكان عينه[١٤].

ويتفق المحدثون مع القدامى في هذا الفهم، فقد عرفه بعضهم بأنه ما يدل على ثلاثة فأكثر وله مفرد يشاركه في معناه وفي أصوله مع تغير حتمي يطرأ على صيغته عند الجمع[١٥]، وحدَّه الدكتور أحمد مختار عمر بقوله: "جمع التَّكسير: ما دلّ على أكثر من اثنين أو اثنتين مع تغيُّر صورة المفرد، ويكون للعاقل وغير العاقل وللمذكّر والمؤنّث، وهو سماعيّ في أكثر أوزانه، وينقسم إلى: جمع القلّة، وجمع الكثرة"[١٦].

وهو أعم الجموع وأشملها، يدل على ذلك أن كل ما يجمع بالواو والنون فلك أن تجمعه بالتكسير، فكما تقول: زيدون لك أن تقول: أزياد وزيود، وكما نقول: هندات فتجمعه بالألف والتاء، فلك أن تقول: أهناد وهنود فتكسره، وقد يجمع التكسير ما لا يصح جمعه بالواو والنون، ولا بالألف والتاء، ألا ترى أن درهماً يجمع دراهم، ولا يجوز أن تجمع بالألف والتاء لأنه مذكر، ولا يجمع بالواو والنون لأنه ليس بمذكر عاقل، فدلَّ ذلك على استغناء جمع التكسير على جمعي السلامة وأن كل ما يجمع بالسلامة يصح أن يجمع بالتكسير[١٧].

والتكسير ضرب من التوهين والتبديل والإشكال يلحق بالكلمة، ومعنى الإشكال في التكسير أنك تجد المثال المكسر عليه تخرج آحاد كثيرة إليه، ألا ترى أن أفعالاً قد خرج إليه "فَعَل" نحو جمل وأجمال، وخرج إليه فِعل وفَعْل وفِعِل وفُعُل وفِعَل وفَعُل، وذلك نحو: ضرس وأضراس، وبُرد وأبراد، وإبل وآبال، وعنق وأعناق، وكبد وأكباد، ورُبع وأرباع، وضِلع وأضلاع، وخرج إليه أيضاً فَعْل وإن لم يكن في كثرة ما قبله، قالوا: زند وأزناد، وفرخ وأفراخ، وخرج إليه أيضاً ما لحقته الزيادة من ذوات الثلاثة، وذلك نحو: شاهد وأشهاد، وشريف

---

[١٤]() شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهري - ٢ / ٥١٩، وانظر كتاب أسرار العربية لأبي البركات ابن الأنباري /٧٦.

[١٥]() جموع التكسير في اللغة العربية تأليف عبد المنعم سيد عبد العال / ٢٧ ، وانظر جامع الدروس العربية للشيخ مصطفى الغلاييني / ٢٠.

[١٦]() معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عبد الحميد عمر - ٣ / ١٩٣٢.

[١٧]() الفوائد والقواعد لعمر بن ثابت الثمانيني/ ١٣٠, وانظر علل التثنية لابن جني/ ٧١, ٨٢, وشرح المفصل لابن يعيش ٥ / ٦.

وأشراف إلى غير ذلك، وقد تخرج إليه آحاد مختلفة الصيغ والأبنية فقد يجوز أن يعرض الإشكال في الواحد منها فلا يُدْرى ما مثاله، ولهذا ما يقف العلماء في مثال الجمع ونراهم مختلفين في الواحد، ألا ترى إلى قوله عز اسمه "**حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ**"[١٨]، فمذهب سيبويه أن جمع شِدَّة، ومثاله: نِعمة وأنعم، وذهب أبو عبيدة إلى أنه جمع أشدَّ على حذف الزيادة، وهذا الخلاف في آحاد الجموع سائر عنهم مطرد من مذاهبهم، وإنما سببه وعلة وقوعه بينهم أن مثال جمع التكسير تفقد فيه صيغة الواحد فيحتمل الأمرين والثلاثة ونحو ذلك[١٩].

والعلة في تسميته جمع تكسير هي تغير بنيته عما كان عليها واحده، فكأنك فككت بناء واحده وبنيته للجمع بناء ثانياً، فهو مشبه بتكسير الآنية لتغير بنيتها عن حال الصحة[٢٠].

يقول ابن الأنباري: "قيل إنما سمي بذلك على التشبيه بتكسير الآنية، لأن تكسيرها إنما هو إزالة التئام أجزائها، فلما أزيل نظم الواحد فك نضده في هذا الجمع، فسمي جمع تكسير"[٢١]، وفي **شرح اللمع للتبريزي:** "وسمي تكسيراً تشبيهاً بتكسير الآنية لما يلحقه من التغيير، وهذا التغيير في جمع التكسير على ثلاثة أقسام: أحدها: أن يكون الواحد مثل الجمع نحو: أَسد وأسد، ويكون الواحد أكثر من الجمع نحو: إزار وأزر، أو يكون الواحد أقل من الصحيح نحو: درهم ودراهم[٢٢].

أقسام جمع التكسير: تنقسم جموع من التكسير من حيث دلالتها على القلة والكثرة إلى جموع قلة، وجموع كثرة:

أولاً: جموع القلة:

حد القليل ما بين الثلاثة إلى العشرة، والكثير ما فوق ذلك[٢٣]، وقد كان القياس أن يجعل لكل مقدار من الجمع مثال يمتاز به من غيره كما جعلوا للواحد والاثنين والجمع، فلما

---

[١٨]() سورة الأحقاف، من الآية: { ١٥ }.
[١٩]() سر صناعة الإعراب - ٢ / ٦٠٧ - ٦٠٩ بتصرف.
[٢٠]() شرح المفصل لابن يعيش - ٥ / ٦.
[٢١]() كتاب أسرار العربية لأبي البركات ابن الأنباري / ٧٦, وانظر الفوائد والقواعد للثمانيني / ١٥٣.
[٢٢]() شرح اللمع للتبريزي / ٨٦ - ٨٧ , وانظر شرح اللمع للواسطي / ٢٧.
[٢٣]() شرح اللمع للتبريزي / ٣٧٥ , وانظر شرح المفصل لابن يعيش - ٥ / ٩.

تعذر ذلك إذ كانت الأعداد غير متناهية الكثرة اقتصروا على الفصل بين القليل والكثير، فجعلوا للقليل أبنية تغاير أبنية الكثير ليتميز أحدهما من الآخر.

وأبنية القلة أربعة أمثلة من جموع التكسير، وهي: أفعل: مثل: أفلس، وأكعب، وأَفعال مثل: أجمال وأفراس، وأَفْعِلة مثل: أرغفة، وأجربة، وفِعْلَة مثل: غِلْمه وصِبْية[٢٤].

ومعنى اختصاص هذه الصيغ بالقلة أن المدلول الحقيقي "**لا المجازي**" لكل واحدة منها هو عدد مبهم أي لا تحديد ولا تعيين له، ولكنه لا يقل عن ثلاثة ولا يزيد على عشرة بشرط ألا توجد قرينة تدل على أن المراد الكثرة لا القلة، فعند عدم القرينة تتعين القلة حتماً اعتماداً على أن الصيغة موضوعة في أصلها للقلة ومختصة بها، فلا يجوز إبعادها إلى الكثرة بغير قرينة[٢٥].

ويتجاوز جمع القلة مفهوم القلة للدلالة على معنى الكثرة إذا اقترن جمع القلة بأل الدالة على تعريف الجنس، كقوله تعالى: "**وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ**"[٢٦]، أو يضاف إلى ما يدل على الكثرة كقوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**"[٢٧]، فهذا الاقتران أمارة من أمارات جمع الكثرة.

ثانياً: جموع الكثرة:

جموع التكسير سبعة وعشرون بناءً سبق منها أربعة موضوعة للعدد القليل، وثلاثة وعشرون للعدد الكثير، وجمع الكثرة ما تجاوز العشرة[٢٨] إلا ما لا نهاية كدراهم وكعوب وقناديل، ومن أوزان جموع الكثرة: فُعْل كحُمْر، وفُعُل كقضيب وقُضُب ونذير ونذر، وفُعَل كغرفة وغرف، وجمعة وجمع، وفِعَل كفرقة وفِرَق، وفِعال كجفنة وجفان[٢٩] وفَعَلة كسافر وسفرة، وفَعْلَى كصريع وصرعى إلى غير ذلك، وقد اهتم النحاة بحصر هذه الأبنية وبيان ما

---

[٢٤]() شرح المفصل لابن يعيش - ٥ / ١٠، وانظر شرح اللمع للتبريزي / ٣٧٣، وشرح اللمع للواسطي / ٢١٧.

[٢٥]() جموع التصحيح والتكسير في اللغة العربية - عبد المنعم سيد عبد العال / ٢٦.

[٢٦]() سورة النساء، الآية: { ١٢٨ }.

[٢٧]() سورة التحريم، الآية: {٦}، وانظر جامع الدروس العربية للشيخ مصطفى الغلاييني - ٢ / ٢١.

[٢٨]() أوضح المسالك لابن هشام - ٤ / ٣٠٦.

[٢٩]() انظر في ذلك همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي - ٣ / ٣٥١ وما بعدها، وشرح اللمع للتبريزي / ٣٧٣.

يطرد وما لا يطرد فيها، والجمعان **(القلة والكثرة)** متشابهان في المبدأ مختلفان في النهاية، فجمع القلة ينتهي من الثلاثة إلى العشرة، وجمع الكثرة من الثلاثة إلى ما لا يتناهى، فالفرق بينهما من جهة النهاية لا من جهة المبدأ[٣٠].

هذا والأصل في كل اسم أن يكون له جمع قليل وكثير مثال: كعب جمعه في القلة: أَكعب وفي الكثرة: كُعوب وكِعاب، وقد جاءت أشياء اجتزئ فيها بأحد الجمعين، فمما اكتفى بجمع القليل فيه: رِجْل وأرجل، ومما اكتفى فيه بالجمع الكثير: شسع وشسوع، وسبع وسباع، لم يقولوا: أشساع ولا أسباع[٣١].

وبناءً عليه فانفراد أحد الجمعين ببناء دون الآخر واستعماله فيهما على حد سواء محمول على أنه مشترك بين الجمعين القلة والكثرة، وعلى اعتبار الوضع، فالعربي وضعه للكثرة وللقلة وضعاً حقيقياً مسموعاً فيهما يستعمل البناء الموضوع للقليل في موضوع الكثير والعكس، كما قد يستغنى ببعض الجموع عن بعض، والأقيس أن يستغنى بجمع الكثرة عن جمع القلة؛ لأن القليل داخل في الكثير. يقول ابن يعش: "الجموع قد يقع بعضها موضع بعض، ويستغنى ببعضها عن بعض ألا ترى أنهم قالوا: رسن وأرسان، وقلم وأقلام، واستغنوا بهذا الجمع عن جمع الكثرة، وقالوا: رجل ورجال وسبع وسباع ولم يأتوا لهما ببناء قلة، وأقيس ذلك أن يستغنى بجمع الكثرة عن القلة، لأن القليل داخل في الكثير[٣٢].

وقد صرح سيبويه بأن لأدنى العدد أبنية هي مختصة به، وهي له في الأصل، وربما شركه فيه الأكثر، كما أن الأدنى ربما شَرِك الأكثر[٣٣].

---

[٣٠] حاشية الصبان على شرح الأشموني لمحمد بن علي الصبان - ١ / ١٨٦٥ ، وانظر جامع الدروس العربية للشيخ مصطفى الغلانيني - ٢ / ٢٠ ، جموع التصحيح والتكسير - ٢٨ ، وكتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل تأليف محمد محي الدين عبد الحميد ، وهو على هامش شرح ابن عقيل - ٤ / ٩١ .

[٣١] شرح اللمع للواسطي / ٢١٧ ، وانظر اللمع لابن جني / ٢٣ ، وشرح اللمع للتبريزي / ٣٧٣.

[٣٢] شرح المفصل لابن يعيش - ٥ / ١١, وانظر شرح كافية ابن الحاجب لرضى الدين الاستراباذي - ٣ / ٤٦٨، وشرح ابن عقيل - ٢ / ٩١, وجامع الدروس العربية للغلاييني - ٢/ ٢٠، وجموع التصحيح والتكسير لعبد المنعم سيد عبد العال /٢١.

[٣٣] الكتاب لسيبويه - ٣ / ٤٩٠.

ودخول جمع القلة على جمع الكثرة والعكس لضرب من التوسع، إذ كان كل منهما جمعاً[٣٤]، وقد يحملهم هذا التوسع إلى أن يستعيروا أحدهما للآخر مع وجود ذلك الآخر، كقوله تعالى: "**وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ**"[٣٥] مع وجود أقراء[٣٦].

والقرينة وحدها في السياق هي التي تعينه لأحد النوعين بالرغم من أن الصياغة خاصة بأحدهما فقط، وأن وزنها يشيع استعماله عندهم في نوع منهما دون النوع الآخر أي أنهم يكتفون بوزنه الغالب والشائع في أحد النوعين ويستعملونه فيه وفي الآخر أيضاً من غير أن يجمعوا المفرد جمع تكسير على وزن من الأوزان التي تشيع في هذا النوع الآخر[٣٧].

كما أن استعمالهم لصيغة شائعة في أحد نوعي التكسير مكان صيغة وضعوها للنوع الآخر هي شائعة فيه أيضاً لا يكون إلا بقرينة في الكلام خارجة عن الصيغة وعن وزنها تدل على هذا النقل والإحلال ، وبدون هذه القرينة إذن لا يصح الحكم على الصيغة بأنها مستعملة في غير نوعها[٣٨].

أضف إلى ذلك أن ترك القياس واللجوء إلى السماع أمر شائع بكثرة في أبنية جموع التكسير، فكثير من مسائل جمع التكسير وقضاياه يرجع فيها إلى استحسانهم استعمال هذا البناء أو ذاك، وهو استحسان مبني على السماع لا القياس.

وقد ذكر الدكتور الطيب أنه لم يرد خلاف يذكر بين العرب فيما يتصل بتكوين المثنى وجمع الذكور العقلاء جمع مذكر سالماً، كل الخلاف إنما هو قائم في الجموع التي اصطلح علماء النحو واللغة على تسميتها بجموع التكسير فهي جموع شاذة في أصل تكوينها، وقد اختلف السماع في كثير منها بين قوم وقوم، ومن قبيل إلى قبيل، وليس أغلب الضوابط التي وضعها النحاة بشأنها سوى ضوابط مقصود بها مجرد التيسير والتقريب، ولهذا نجد كثيراً من الألفاظ المتشابهة أو المتماثلة في أوزانها تخرج في جمعها على ما تخضع له مثيلاتها من الكلمات"[٣٩].

---

[٣٤] () السابق - ٣ / ٤٩٢.
[٣٥] () سورة البقرة، الآية { ٢٢٨ }.
[٣٦] () شرح كافية ابن الحاجب لرضي الدين - ٣ / ٤٦٨.
[٣٧] () جموع التصحيح والتكسير لعبد المنعم سيد عبد العال / ٢١.
[٣٨] () السابق / ٣٢.
[٣٩] () لغة هذيل د / عبد الجواد الطيب / ١٨٣.

مبحث في

ما له صيغتان من صيغ جمع التكسير في القرآن الكريم دراسة لغوية

الذي لا شك فيه أن ظاهرة الاشتقاق كان لها الدور الأبرز في هذا الرصيد الضخم، الذي نراه في متن اللغة، فالعربية من خلال هذه الظاهرة اللغوية أكثرت من تعدد الجمع للمفرد الواحد كرافد من روافد تنميتها وتنويع صيغ الجمع فيها، حتى رأينا له أحياناً ثلاثة جموع أو أكثر والذي انعكس بدوره على ألفاظ القرآن الكريم، فحوى الكثير من الصيغ وكشف لنا عن هذا التنوع اللغوي، فوجدنا بين دفتيه أكثر من جمع لمفرد واحد، كما في: فِتيان وفِتية، وأَبرار وبَرَرة، وفُجَّار وفَجَرة، وإخوة وإخوان، وأَسْرى وأُسَارى، إلى غير ذلك من صيغ ستكشف عنها دراستنا هذه.

هذا وقد قمت بمعالجة هذا النحو من الألفاظ ، فجمعت ما له صورتان من جموع التكسير فأكثر في القرآن الكريم ثم كشفت عن المفرد فيهما بِرَدِّهِ إلى مادته اللغوية، وبيان وجهه من الاشتقاق وتأصيله لغوياً من معاجم اللغة وغيرها من مصادر اهتمت بهذه الظاهرة مع ترتيب الألفاظ التي جمعتها ترتيباً معجمياً، حسب ترتيب المدرسة الأبجدية العادية الألف باء الحديثة، وضربت صفحاً عن بعض الجموع التي تبدو في ظاهرها أنها ترجع إلى مفرد واحد وبالتأمل تجد أن كل جمع يختص بمفرد.

كما لم أغفل السياق القرآني ودوره المهم داخل النص القرآني، مما يكشف لنا عن السر في إيثار جمع هذا المفرد على صيغة بعينها، وجمعه في موضع آخر على صيغة أخرى مما لا يمكن معه بأي حال من الأحوال استبدال إحداهما بالأخرى، وإليك هذه الألفاظ:

١- إِخْوة - إِخْوان:

الأَخ: ابن الأب والأم، أو من أحدهما[٤٠] لامه محذوفة، وهو واو، وترد في التثنية على الأشهر، فيقال أخوان، وجمعه إخوة وإخوان بكسر الهمزة فيهما، وضمها لغة، وقلَّ جمعه بالواو والنون، وعلى آخاء وزان آباء أقل[٤١]. جاء في الصحاح: "الأخ أصله أخو

[٤٠]() الوجوه والنظائر للدامغاني - ١ / ٨٩، وانظر الأشباه والنظائر في القرآن الكريم لمقاتل بن سليمان البلخي / ٣٠٧.

[٤١]() المصباح المنير للفيومي - ١/ أ خ، بتصرف، وانظر القاموس المحيط للفيروزآبادي- ٤/ أ خ و.

بالتحريك، لأنه جمع على آخاء مثل آباء، والذاهب منه الواو، لأنك تقول في التثنية أخوان، وبعض العرب يقول آخان على النقص، ويجمع أيضاً على إخوان مثل: خَرَبَ وخِرْبان، وعلى إخوة وأُخوة عن الفراء"[٤٢]. وذكر ابن منظور نقلاً عن تهذيب اللغة أن الأخ الواحد، والاثنان أخوان، والجمع إخوان وإخوة[٤٣].

والإخوان جمع قليل غير مطرد دال على الكثرة، إذ إن "**فِعْلان**" يطرد في جمع ما عينه واو من "**فُعْل**" أو "**فَعَل**" نحو: عود وعيدان، وحوت وحيتان، وقاع وقيعان، وتاج وتيجان، وقلَّ في غير ذلك، فقالوا: أخ وإخوان، وغزال وغزلان[٤٤].

أما إخوة فهو جمع قلة على " **فِعْلة** " لم يطرد في شيء من الأبنية، وإنما هو محفوظ ومما حفظ قولهم: فتى وفتية، وغلام وغلمة، وصبي وصبية[٤٥] وكذا أخ وإخوة.

وبناءً على ما ذكر فالأخ يطلق ويراد منه الأخ في النسب، ابن الأب والأم أو ابن أحدهما، هذا هو الأصل الموضوع له هذا اللفظ، بيد أن اللفظ استعمل في معان أخر غير هذا على سبيل التشبيه والتوسع في اللغة، فقد يطلق ويراد منه " الصديق والصاحب"[٤٦]. يقول السجستاني: "الأُخوّة إذا كانت في غير الولادة كانت المشاكلة والاجتماع في الفعل، كقولك: هذا الثوب أخو هذا أي يشبهه"[٤٧].

ومن معانيه في القرآن الكريم الأخ من القبيلة، الأخ من الدين والولاية في الشرك، الأخ في دين الإسلام، الأخ في الحب والمودة، الصاحب، الشبه[٤٨].

وإذا استصحبنا هذا اللفظ القرآني بين آيات القرآن الكريم فإنا نجده قد ورد مجموعاً على صورتين **(إخوة، وإخوان)** وترددت هاتان الصورتان بين المعنى الأصلي لهذا اللفظ والمعاني الأخرى المستعملة على جهة الاتساع، في أكثر من موضع، من القرآن، فقد قال

---

[٤٢]() الصحاح للجوهري - ٦ / أ خ، وانظر لسان العرب لابن منظور - ١ / أ خ و.
[٤٣]() لسان العرب لابن منظور - ١ / أ خ و.
([٤٤]) شرح ابن عقيل - ٤ / ٢٠٢.
[٤٥]() السابق - ٤ / ٩٥.
[٤٦]() القاموس المحيط للفيروزآبادي - ٤ / أ خ و، وانظر تاج العروس للزبيدي - ١٠ / أ خ و.
[٤٧]() تفسير غريب القرآن للسجستاني / ١٤٨.
[٤٨]() الوجوه والنظائر للدامغاني - ١ / ٨٩ ، وانظر الأشباه والنظائر للبلخي / ٣٠٧ - ٣٠٨.

الله جلَّ ثناؤه: "**فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ**"[٤٩] فالإخوة هنا يعني من النسب (من الأب والأم)[٥٠]، وذكر المفسرون في معنى الآية الكريمة: الإخوة يحجبون الأم عن الثلث إلى السدس، وهذا حجب النقصان، وسواء كان الإخوة أشقاء، أو لأب أو لأم، ولا سهم لهم[٥١]، وفي التنزيل العزيز: "**وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ**"[٥٢] والآية واضحة الدلالة في أن المقصود بالإخوة هنا إخوة يوسف من النسب لأبيه.

وكما وردت هذه الصيغة من الجمع (إخوة) في النسب، فقد وردت في معنى الأخوة في الدين، وما يترتب عليه من حسن الصحبة والصداقة، وفي القرآن الكريم ما يكشف لنا عن هذغ المعنى، فقد قال الله جل ثناؤه: "**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**"[٥٣] يعني الأخوة في الدين والولاية[٥٤]، وقد ذكر القرطبي في معنى الآية الكريمة: "إنما المؤمنون إخوة" أي المقصود الأخوة في الدين والحرمة لا في النسب، ولهذا قيل: أخوة الدين أثبت من أخوة النسب، فإن أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين[٥٥].

والصيغة الأخرى "**إخوان**" ترددت أيضاً بين المعنيين، فقد قال الله عز وجل: "**لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ**"[٥٦].

فالإخوان هنا من النسب، قال ابن العربي: "أباح لنا الأكل من جهة النسب من غير استئذان إذا كان الطعام مبذولاً ....."[٥٧]؛ لأن القرابة التي بينهم هي إذن منهم وذلك لأن في تلك القرابة عطفاً تسمح النفوس منهم بذلك العطف أن يأكل هذا من شيئهم ويُسَرُّوا بذلك

---

[٤٩]() سورة النساء، الآية: {١١}.
[٥٠]() الوجوه والنظائر للدامغاني / ٨٩.
[٥١]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ٥ / ٧٢ - ٧٣، ومجمع البيان للطبرسي - ٢ / ٣٦، والبحر المحيط لأبي حيان - ٣/ ١٨٥.
[٥٢]() سورة يوسف، الآية: {٥٨}.
[٥٣]() سورة الحجرات، الآية: { ١٠ } .
[٥٤]() الوجوه والنظائر للدامغاني - ١ / ٩٠، وانظر الأشباه والنظائر للبلخي / ٣٠٨.
[٥٥]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ١٦ / ٣٢٢، وانظر البحر المحيط لأبي حيان - ٨ / ١١٢.
[٥٦]() سورة النور، الآية: { ٦١ }.
[٥٧]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ١٢ / ٣١٥.

إذا علموا[٥٨]، وقد وردت أيضاً في غير معنى النسب، وأكثر ما في القرآن على هذا، قال الله جلَّ ثناؤه: "**إِخْواناً عَلى سُرُرٍ**"[٥٩] فهم مثل الإخوان "في الحب والمودة"[٦٠] جمعتهم الأخوة في الدين، وذكر غير واحد من المفسرين في معنى الآية الكريمة أن إخواناً منصوب على الحال أي وهم يكونون إخواناً متوادين، يريد مثل الإخوان فيصفوا لذلك عيشهم[٦١].

وفي التنزيل العزيز أيضاً: "**وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ** "[٦٢] يعني إخوان الشياطين من الكفار[٦٣] قال القرطبي: "قيل المعنى وإخوان الشياطين وهم الفجار من خلال الإنس تمدهم الشياطين في الغي[٦٤]. وقال جل ثناؤه أيضاً: "**إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ**"[٦٥] يعني أنهم في حكمهم إذ المبذر ساعٍ في إفساد كالشياطين[٦٦] فهم سالكون طريقهم، وهذا كما يقال عن مَن لازم السفر هو أخو السفر[٦٧]، فالإخوان هنا جمع أخ من غير النسب[٦٨] أي الأخوة في الدين والولاية في الشِّرك[٦٩].

ومن ثم فالجمعان (إخوة – إخوان) لا ينفردان بمعنى دلالي مستقل إذ رأينا أن كليهما يستخدمان فيما وضع له اللفظ وفيما اتسع فيه، بيد أن من الاستقراء الدلالي لكلا الجمعين في مواضعهما من القرآن الكريم يتبين لنا جلياً أن غالباً ما يستخدم جمع الإخوة في النسب أي الولادة، والإخوان في معنى المودة والصداقة والولاية والصحبة، وهذه المعاني كلها لازمة للمعنى الأصلي الموضوع له هذا اللفظ أعني الأخوة في النسب وما يستتبعه من مودة وملازمة ورفقة وولاية إلى غير ذلك، فهذه المشابهة هي التي سوَّغت هذا الاستخدام.

---

[٥٨]() السابق - ١٢ / ١٥.
[٥٩]() سورة الحجر، الآية: { ٤٧ }.
[٦٠]() الوجوه والنظائر للدامغاني - ١ / ٩٠، وانظر الأشباه والنظائر للبلخي / ٣٠٨.
[٦١]() مجمع البيان للطبرسي - ٤ / ٣٠، وانظر تفسير البيضاوي - ١ / ٣٤٧ - ٣٤٨ ، والبحر المحيط لأبي حيان، تحقيق:صدقي محمد جميل، (الناشر: دار الفكر – بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ)، ٥/ ٥٣، ٦/ ٤٨٢.
[٦٢]() سورة الأعراف، الآية: { ٢٠٢ }.
[٦٣]() الأشباه والنظائر للدامغاني - ١ / ٩٠.
[٦٤]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ٧ / ٣٥١.
[٦٥]() سورة الإسراء، الآية: { ٢٧ }.
[٦٦]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ١٠ / ٢٤٨، وانظر البحر المحيط لأبي حيان - ٦ / ٣٠.
[٦٧]() مجمع البيان للطبرسي - ٤ / ٤٠.
[٦٨]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ١٠ / ٢٤٨.
[٦٩]() الأشباه والنظائر للبلخي / ٣٠٨، وانظر الأشباه والنظائر للدامغاني - ١ / ٩٠.

ولهذا الملحظ الدلالي ما يؤيده من آراء اللغويين، بل إن منهم من ذهب إلى قصر جمع الإخوة على معنى النسب لا يتعداه، وقصر جمع الإخوان على معنى الصداقة لا يتجاوزه، ففي لسان العرب نقلاً عن تهذيب اللغة: "هم الأخوة إذا كانوا لأب، وهم الإخوان إذا لم يكونوا لأب. قال أبو حاتم: قال أهل البصرة أجمعون: الإخوة في النسب، والإخوان في الصداقة، تقول: قال رجل من إخواني وأصدقائي، فإذا كان أخاه في النسب قالوا إخوتي"(٧٠)، وفي أساس البلاغة: إخوان الوداد، أقرب من إخوة الولادة(٧١) .

ويجاب عن ذلك بالنصوص القرآنية السابقة، والتي ورد فيها استعمال الجمعين في كلا المعنيين. قال أبو حاتم: "وهذا غلط يقال للأصدقاء وغير الأصدقاء إخوة وإخوان، قال الله عز وجل: **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)** ولم يعنِ النسب، وقال: **(أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ)** وهذا في النسب"(٧٢).

والتوسط بين الرأيين أولى فالأغلب والأكثر استعمال الإخوة في النسب، والإخوان في الأصدقاء، ومن اللغويين من ذهب هذا المذهب، فقد ذكر الجوهري أن أكثر ما يستعمل الإخوان في الأصدقاء، والإخوة في الولادة(٧٣)، وقد يستعمل كل منهما مكان الآخر(٧٤) وهو الأولى بالقبول.

ولقد راعى القرآن الكريم هذا الفرق الدلالي تأسيساً على مبدأ كثرة الاستعمال عند العرب، فمما يقوي هذا الفرق الدلالي ويؤيده ما ورد في القرآن الكريم من موضع سورة يوسف في الآية السابقة(٧٥) حيث استخدم القرآن الكريم لفظ " إخوة " بدلاً من لفظ "إخوان" لأنه الأنسب في معنى النسب مع أن إخوة يوسف كانوا أحد عشر، فالمناسب أن يجمع الأخ جمع كثرة على "إخوان" لأن الأحد عشر عدد كثير لكن القرآن لم يستعمل هنا لفظ "إخوان" لأنه

٧٠() لسان العرب لابن منظور - ١ / أ خ و.
٧١() أساس البلاغة للزمخشري - ١ / أ خ و .
٧٢() لسان العرب لابن منظور - ١ / أ خ و.
٧٣() الصحاح للجوهري - ٦ / أ خ و .
٧٤() البحر المحيط لأبي حيان - ٨ / ١١٢ وانظر معاني القراءات للأزهري - ٣ / ٢٤.
٧٥() "وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ" آية: { ٥٨ } وكذلك قوله تعالى: "قَالَ يَابُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ" آية: { ٥ } وقوله: "لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ" آية: { ٧ }، وقوله جل ثناؤه: "وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي" آية: { ١٠٠ }.

المستعمل غالباً في غير معنى النسب، من معنى الصداقة والمودة ونحوهما، فاستغنى بجمع القلة في هذا الموضع عن جمع الكثرة .

والعرب قد تستغنى في الاستعمال ببناء جمع القلة عن بناء جمع الكثرة، وكذا العكس حاصل أيضاً، فمما استغنوا به من بناء جمع القلة عن بناء جمع الكثرة، قولهم: رِجْل للجارحة وأرجل، وعُنُق وأعناق، ومما استغنوا به من بناء جمع الكثرة عن بناء جمع القلة قولهم: رَجُل ورجال، وقلب وقلوب[٧٦].

٢- أَسْرَى - أُسَارى:

الأسير من الأسر: الهمزة والسين والراء أصل واحد، وقياس مطرد، وهو الحبس، وهو الإمساك[٧٧]، يقال: أسرته أسراً من باب ضرب فهو أسير[٧٨]، والأسير فعيل بمعنى **مفعول،** من أسره إذا أوثقه، وهو فعل مشتق من **الاسم الجامد،** فإن الإسار هو السير من الجلد الذي يوثق به المسجون والموثوق، وكانوا يوثقون المغلوبين في الحرب بسيور من الجلد[٧٩]، ثم قيل لكل مأخوذ ومقيد وإن لم يكن مشدوداً ذلك[٨٠].

قال ابن فارس: "ومن ذلك الأسير، وكانواْ يشدونه بالقِدِّ، وهو الإسار، فسمي كل أخيذ، وإن لم يؤسر أسيراً، قال الأعشي: (من المتقارب)

وَقَيَّدَني الشِّعرُ في بيته * كما قَيَّد الآسِرات الحِمارا

أي أنا في بيته، يريد ذلك بلوغه النهاية فيه[٨١].

والعرب تقول: أسر قتبه أي شده، وقال الله تعالى:**"وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ "**[٨٢] يقال: أراد الخلق - أي شددنا خلقهم - وقيل مفاصلهم، والعرب تقول أيضاً: أسِرَ فلان أحسن الأسر، أي أحسن

---

[٧٦]() شرح ابن عقيل - ٤ / ٩٢ بتصرف, وانظر شرح اللمع للتبريزي / ٣٧٣ , والفوائد والقواعد للثمانيني / ٦٥٩ .

[٧٧]() مقاييس اللغة لابن فارس - ١ / أ س ر.

[٧٨]() المصباح المنير للفيومي - ١ / أ س ر .

[٧٩]() التحرير والتنوير لابن عاشور - ١ / ٥٩٠، وانظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي، (تفسير أبي السعود) - ١ / ١٥٩.

[٨٠]() المفردات للراغب الاصفهاني / أ س ر، وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ٨ / ٤٥.

[٨١]() مقاييس اللغة لابن فارس - ١ / أ س ر، وانظر الصحاح الجوهري - ٢ / أ س ر، ولسان العرب لابن منظور - ١ / أ س ر ، والبيت في ديوان الأعشى، ميمون بن قيس/ ٥٣.

[٨٢]() سورة الإنسان، الآية: { ٢٨ } .

الخلق[٨٣]، وجمع الأسير أسرى، وهو أصل باب أسير أن يجمع على فَعْلى كقتيل وقتلى، **وقالوا أيضاً في جمعه:** أُسارى بالضم مثل: **سَكْرى وسُكارى**[٨٤].

وعلة اشتراك هذين الجمعين على اسم واحد يكشف لنا عنه غير واحد من العلماء، فأسرى جمع الأسير إذ كان على فعيل، على مثال جمع الأسماء ذوي العاهات التي يأتي واحدها على تقدير فعيل إذ كان الأسر شبيه المعنى في الأذى والمكروه الداخل على الأسير ببعض معاني العاهات وألحق جمع المستلحق به بجمع ما وصفنا، فقيل أسير وأسرى، كما قيل مريض ومرضى، وكسير وكسرى، وجريح وجرحى[٨٥].

وقد ذكر الخليل فيما نقله سيبويه عنه أنهم إنما قالوأ: مرضى وهلكى وموتى وأشباه ذلك؛ لأن ذلك أمر يبتلون به، وأدخلوا فيه وهم له كارهون، وأصيبوا به، فلما كان المعنى معنى المفعول كسَّروه على هذا المعنى، وقد قالوا رجل سكران وقوم سكرى، وذلك لأنهم جعلوه كالمرض أصيبوأ به في عقولهم. وقالوأ: أسارى شبهوه بقولهم: كُسالى وكَسالى، وقالوأ: كسلى شبهوه بأسرى[٨٦].

وذلك لأن الأسير لما كان محبوساً عن كثير من تصرفه كالكسلان الذي حبسه الكسل عن كثير من تصرفه، فلما اشتبها في هذا المعنى حملا في الجمع على بناء واحد، فجمع كسلان على كسلى، وهو باب أسير، وجمع أسير على أسارى، وهو باب كسلان، فكل واحد محمول على الآخر[٨٧].

قال الزجاج: "فَعْلى جمع لكل ما أصيب به الناس في أبدانهم وعقولهم، يقال: هالك وهلكى، ومريض ومرضى، وأحمق وحمقى، وسكران وسكرى"[٨٨].

---

[٨٣]() مقاييس اللغة لابن فارس - ١ / أ س ر، ولسان العرب لابن منظور - ١ / أ س ر.

[٨٤]() المصباح المنير للفيومي - ١ / أ س ر، والكشف لمكي - ١ / ٤٩٦ .

[٨٥]() تفسير الطبري - ١ / ٣١٧، وانظر البحر المحيط لأبي حيان - ١ / ٤٥٤, روح المعاني للألوسي - ١ / ٣١٢ - ٣١٣ , ٥ / ٢٢٨، ومجمع البيان للطبرسي - ١ / ٣٤١.

[٨٦]() الكتاب لسيبويه - ٣ / ٦٤٧ وما بعدها، وشرح ابن عقيل - ٤ / ٩٧، والمقتضب للمبرد - ٢/ ٢١٧.

[٨٧]() الكشف لمكى - ١ / ٢٥١ - ٢٥٢, وانظر حجة القراءات لأبن زرعة / ١٠٤، وتفسير الطبري - ١ / ٣١٧.

[٨٨]() زاد السير في علم التفسير لجمال الدين أبي الفرج الجوزي - ١ / ٩٧, ولسان العرب لابن منظور - ١ / أ س ر.

وأسارى جمع الأسير أيضاً، حملواْ أسيراً على كسلان فجمعوه جمعه، كما حملواْ كسلان عليه، فقالواْ كسلى، كذا قال سيبويه، **ووجه الشبه:** أن الأسير محبوس عن كثير من تصرفه للأسر، والكسلان محبوس عن ذلك لعادته، وقيل إنه مجموع كذا ابتداء من غير حمل، كما قالواْ في قديم : قدامى[٨٩].

وهنا نلاحظ: تداخل هذين الجمعين "**فُعالى وفَعْلى**" على هذه المفردة أعني لفظ الأسير، فجمعوه تارة على فَعْلى، أدخلوه في هذا الباب الخاص بالأمراض والزمني والعاهات تشبيهاً وإلحاقاً بها، ولكأني بهذا الأسير، المحبوس بيد آسره المكره الممنوع من التصرف منع المريض أو الجريح أو حتى الصريع فجمعوه جمعه، **فقالواْ: أسير وأسرى**، كما قالواْ جريح وجرحى، ومريض ومرضى، وصريع وصرعى، بجامع المنع والحبس من التصرف في كلٍ.

وتارة أخرى قالواْ فيه: أسارى على فُعَالى، وفُعَالى بابه فعلان لا فعيل قالوا: سكران وسكارى، وكسلان وكسالى، وقالوا: أسير وأسارى، وليس من بابه ألحقوه به لذات العلة السابقة، كأن هذا الأسير المقيد بالإسار، المشدود في الوثاق محبوس عن التصرف حبس السكران المتمايل في قدَّه أو الكسلان المحبوس بطبعه، غلبت عليه عادته عدم القيام بالفعل المكلف به إلا بعد فترة.

هذا وقد ورد الجمعان في القرآن الكريم، ففي قول الله عز وجل :" **مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى**"[٩٠]، وقوله تعالى: "**يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى**"[٩١] ورد لفظ الأسرى جمعاً لأسير.

وفي قوله تعالى: "**وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ**"[٩٢] ورد لفظ الأسارى جمعاً لأسير، وقد كان توجيه العلماء[٩٣] لهذين الجمعين في القرآن الكريم نابعاً مما سقته سابقاً في بيان جواز

---

[٨٩]() روح المعاني للألوسي - ١ / ٣١٢، وانظر مجمع البيان للطبرسي - ١ / ٣٤١، التحرير والتنوير لابن عاشور - ١ / ٥٩٠ .

[٩٠]() سورة الأنفال، الآية : { ٦٧ }.

[٩١]() سورة الأنفال، الآية : { ٧٠ } .

[٩٢]() سورة البقرة، الآية : { ٨٥ } .

([٩٣]) انظر المصادر السابقة وصفحاتها.

الوجهين في جمع ما كان على فعيل على فَعْلى قياساً وعلى فعالى، وإن عَدُّواْ الأخير جمعاً نادراً [٩٤].

وقد ذهب الفراء إلى أن هذا التنوع في جمع لفظ أسير مردُّه إلى الاختلاف اللهجي، فمن العرب من جمع أسيراً على أسرى، ومنهم من جمعه على أسارى، قال: "أهل الحجاز يجمعون الأسير "**أسارى**" وأهل نجد أكثر كلامهم "**أسرى**" وهو أجود الوجهين في العربية، لأنه بمنزلة قولهم: جريح وجرحى، وصريع وصرعى[٩٥].

وبناء عليه فإن انفراد بعض العرب بجمع، وانفراد آخرين بجمع آخر لذات اللفظة هنا مرُّده إلى هذا المعنى، وكأنى بهم قد استنبط كل فريق دقيقة أو لطيفة في فقه معنى لفظ الأسير، فجمعه الجمع المناسب لهذا الفهم، أي أن منهم من رأى أن الأسير كالمريض أو الصريع فجمعوه جمعه، فقالواْ أسير وأسرى، ومنهم من رأى أن الأسير في حركته أو سيره لشده بالوثاق كالسكران يتمايل يميناً ويساراً، أو الكسلان المتثاقل في قومته أو مشيته، فألحقوه بجمعه تشبيهاً به، فقالواْ: أسيرا وأسارى.

ومن العلماء من لاحظ فرقاً دلالياً بين الجمعين، فقد روى الأصمعي عن أبي عمرو قال: الأسارى ما شدواْ، والأسرى في أيديهم إلا أنهم لم يشدواْ[٩٦] أي أن الأسرى من في اليد، والأسارى من في الوثاق[٩٧]. وكأن من يرى هذا الرأي يرى فرقاً دلالياً في استخدام القرآن الكريم لهذين الجمعين في موضعين مختلفين من آيات الذكر الحكيم، **أعني موضع البقرة آية: {٨٥}، وموضعي الأنفال آية : {٦٧}، وآية : {٧٠}**، وقد ورد في موضع الأنفال في البحر المحيط ما نصه: "وقرأ أبو عمرو ابن العلاء: الأسرى هم غير الموثقين عندما يؤخذون، والأسارى هم الموثقون ربطاً، وحكى أبو حاتم أنه سمع ذلك من العرب، وقد ذكره

---

[٩٤]() التحرير والتنوير لابن عاشور - ١ / ٥٩٠.

[٩٥]() زاد المسير لأبي الفرج الجوزي - ١ / ٩٧، وانظر مفاتيح الغيب = التفسير الكبير للرازي ٣/ ٢٩٢.

[٩٦]() زاد المسير لأبي الفرج الجوزي - ١ / ٩٧، وانظر تفسير الطبري - ١ / ٣١٧ ، ومعاني القراءات للأزهري - ١ / ٤٤٥.

[٩٧]() البحر المحيط لأبي حيان - ١ / ٤٥٤، وانظر روح المعاني للألوسي - ١ / ٣١٢ - ٣١٣ ، والكتاب المختار في معاني قراءات أهل الأمصار لأبي بكر أحمد بن إدريس - ١ / ٦٢.

أيضاً أبو الحسن الأخفش، وقال العرب لا تعرف هذا كلاهما عندهم سواء"[٩٨]. وإنكار أبي الحسن الأخفش معرفة العرب لهذا الفرق الدلالي بين الجمعين لا ينفي المسألة من أصلها، فأبو عمرو حجة ثقة في اللغة، وأبو حاتم كذلك الذي سمعها من العرب، ومن سمع حجة على من لم يسمع.

وإنك بالنظر والتأمل تلحظ ذلك في سياق الآيات القرآنية، فمن السائغ والمقبول أن يكون التعبير بالجمع "أسارى" للدلالة على أنهم ليسوا في أيديهم بعد، والتعبير بالمجئ والإتيان في قوله تعالى:"**وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى**" بيان لهيئتهم، أي وإن يجيئوا إليكم وهم على هذه الحالة والهيئة من شدِّهم بالإسار تفادوهم، أما التعبير بالجمع " أسرى" فلأنهم قد صاروا تحت أيديهم وفي ملكيتهم وحوزتهم، تلحظ ذلك من التعبير بلفظ اليد الدالة على استقرار الملك وحق التصرف فيه، كما تجده في قوله تعالى: "**يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى**" أو التعبير باللام أيضاً الدالة على الملك والاختصاص، كما تراه في قوله تعالى: "**مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى**".

بقى أن أشير إلى أن الزجاج ذهب إلى القول بأن أسارى بالضم والفتح في الهمزة هو جمع الجمع، يقال أسير وأسرى ثم أسارى جمع الجمع[٩٩]، أي أنهم جمعواْ أسيراً على أسرى، ثم جمعواْ أسرى على أسارى، فالأخير جمع الجمع، كما قالواْ كسلان وكسلى، ثم جمعواْ كسلى على كسالى.

٣- أَسْورَة - أَسَاور:

تناول اللغويون مفرد هذين الجمعين في مادة "س و ر"، وهي أصل واحد يدل على علو وارتفاع، من ذلك: سار يسور إذا غضب وثار، وإن لغضبه لسَورة، وسَورة الخمر:

---

[٩٨]() البحر المحيط لأبي حيان - ٥ / ٣٥٢, وانظر إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه - ١ / ٢٣٤، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢ / ٢٠ - ٢١.

[٩٩]() لسان العرب لابن منظور - ١ / أ س ر، وانظر الكتاب المختار لأبي بكر أحمد بن إدريس - ١ / ٣٤٧، وإعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه - ١ / ٢٣٤، وإبراز المعاني لأبي شامة الدمشقي / ٣٣٤.

حدتها وغليانها[١٠٠] وسار إليه يسور سؤوراً: وثب، وساوره، أي واثبه، والسورة: المنزلة، والسورة من البناء: ما حسن وطال، وهي كل منزلة من البناء، ومنه سورة القرآن لأنها منزلة بعد منزلة مقطوعة عن الأخرى[١٠١].

وسور المدينة: البناء المحيط بها، والجمع أسوار مثل نور وأنوار[١٠٢] والسوار: سُوار المرأة[١٠٣] القُلْب[١٠٤]، وهو الذي يلبس في الذراع من ذهب، فإن كان من فضة فهو قُلْب وجمعه قلبة، وإن كان من قرن أو عاج فهو مسكة، وجمعه مَسَك[١٠٥] والقُلْب من الفضة يُسَّمى سواراً، وإن كان من الذهب فهو أيضاً سُوار[١٠٦] فالسوار اسم لما يقلد في اليد ذهباً أو فضة أو لؤلؤاً، كما في قوله تعالى:" **يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ**"[١٠٧].

والجمع أَسْوِرَة جمع قلة على أفعلة مثل حمار وأحمرة، وسلاح وأسلحة، وأساور الأخيرة جمع الجمع[١٠٨]، وذهب الزجاج إلى أن الأساور جمع أسورة وأسورة جمع سوار، وهو سِوار المرأة وسُوارها[١٠٩] والإسوار كالسوار، والجمع أساورة، لغة في السوار[١١٠] وقد ذكر أبو عمرو بن العلاء أن واحدها إسوار يعني أساور[١١١]، وحكى قطرب في واحد الأساور

---

(١٠٠) مقاييس اللغة لابن فارس - ٢ / س و ر ، وانظر مجمل اللغة لابن فارس - ١/ س و ر، وأساس البلاغة للزمخشري - ١ / س و ر.

١٠١() الصحاح للجوهري - ٢ / س و ر ، ولسان العرب لابن منظور - ٣ / س و ر .

١٠٢() المصباح المنير للفيومي - ١ / س و ر ، وانظر الصحاح للجوهري - ٢ / س و ر .

١٠٣() الصحاح للجوهري - ٢ / س و ر ، وانظر لسان العرب لابن منظور - ٣ / س و ر .

١٠٤() لسان العرب لابن منظور - ٣ / س و ر ، وقُلب الفضة بالضم سوار غير ملوي مستعار من قلب النخلة لبياضة ، المصباح المنير - ٢ / ق ل ب .

١٠٥() تفسير غريب القرآن للسجستاني / ١٥٥، وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ١٠ / ٣٩٦.

١٠٦() لسان العرب لابن منظور - ٣ / س و ر.

١٠٧() سورة الحج، الآية: { ٢٣ }.

١٠٨() لسان العرب لابن منظور - ٣ / س و ر بتصرف.

١٠٩() تهذيب اللغة للأزهري / س و ر، ولسان العرب لابن منظور - ٣ / س و ر.

١١٠() لسان العرب لابن منظور - ٣ / سور.

١١١() الصحاح للجوهري - ٢ / س و ر.

إسوار[١١٢]. ولخص صاحب القاموس هذه الأقوال بقوله: "والسوار ككتاب وغراب: القُلب كالأسوار بالضم جمع أسورة وأساور وأساورة وسُوْر وسُؤور"[١١٣].

وقد وردا في أكثر من موضع في القرآن الكريم، فقد قال الله جل ثناؤه: "**وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ**"[١١٤]، وفي سورة الكهف: "**يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ**"[١١٥]. وفي سورة فاطر: "**يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ**"[١١٦] وفي سورة الحج: "**يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا**"[١١٧]، لما كانت: الملوك تلبس في الدنيا الأساور والتيجان جعل الله ذلك لأهل الجنة، وليس أحد من أهل الجنة إلا وفي يده ثلاثة أسورة، سوار من ذهب، وسوار من فضة، وسوار من لؤلؤ[١١٨]، وقيل: يجمع في يد أحدهم سواران من ذهب وسواران من فضة، وسواران من لؤلؤ[١١٩] فمن داخلة للتبعيض، أى: يحلون بعض أساور من ذهب[١٢٠]، وفي الزخرف وردت أساورة جمعاً لسوار في قول الله جل ثناؤه: "**فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ**"[١٢١] قرأها حفص: "**أسورة**" على وزن أفعلة، وقرأ الباقون "**أساورة**" على وزن "أفاعلة"، وحجة من قرأ على وزن " أفعلة " أنه جعله على جمع " سوار" كحمار وأحمرة، وحجة من قرأه على وزن "أفاعلة" أنه جعله جمع "أساور" حكى أبو زيد إساور المرأة وسوارها، وكان القياس في جمع "إسوار" أساوير، كإعصار وأعاصير، ولكن جعلت الهاء بدلاً من الياء وحذفت الياء كما جعلوا الهاء بدلاً من الياء في زنادقة، أي التي في زناديق، لما حذفت للتخفيف عوض منها الهاء، ويجوز أن

---

[١١٢]() الجامع لأحكام القرآن - ١٠ / ٣٩٦.
[١١٣]() القاموس المحيط للفيروزآبادي - ٢ / س و ر.
[١١٤]() سورة الإنسان، الآية : { ٢١ }.
[١١٥]() سورة الكهف، الآية : { ٣١ }.
[١١٦]() سورة فاطر، الآية : { ٣٣ }.
[١١٧]() سورة الحج، الآية : { ٢٣ }.
[١١٨]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ١٢ / ٢٨ - ٢٩.
[١١٩]() السابق - ١٩ / ١٤٧ .
(١٢٠) تفسير الكشاف (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري، (الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ)، ٣ / ٦١٤.
[١٢١]() سورة الزخرف، الآية :{ ٥٣ } .

يكون أساور جمع أسورة[١٢٢]، كما يقال في جمع الأسقية: أساقي[١٢٣]، وقرأ أبي "أساور" جمع إساور، وابن مسعود أساوير. وقال أبو عمرو بن العلاء: واحد الأساورة والأساور والأساوير: إساور، هي لغة في سُوار.

والمعنى عن مجاهد: كانوا إذا سوَّروا رجلاً سوَّروه بسوارين وطوَّقوه بطوق ذهب علامة لسيادته، فقال فرعون: هلا ألقى رب موسى عليه أساورة من ذهب إن كان صادقاً[١٢٤].

وثمة لطيفة تبدت لي عند التأمل في سياق الآيات القرآنية المنصوص فيها على الجمعين أن جمع "**أساور**" وهو جمع كثرة ورد في معرض الحديث عن ما أعده الله تعالى لعباده المؤمنين في الجنة، وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، يحلون فيها أساور متعددة كثيرة، تارة من فضة، وتارة من ذهب، وتارة ثالثة من ذهب ولؤلؤ، فضلا عن أن لباسهم فيها من حرير.

فأساور الجنان لا تقارن بأساور الدنيا لا من حيث النوع ولا من حيث العدد، ولا بما هي عليه من حسن وجمال وصفاء في ذهبها وفضتها ولؤلؤها، وإنك لتلاحظ أن أساور وردت منكرة في جميع الآيات "**من أساور**"، "وتنكيرها لتعظيم حسنها عن الإحاطة به"[١٢٥] فناسب ذلك أن يكون الجمع المستعمل هنا دالاً من حيث الكثرة والوصف على هذا المعنى لبيان ما أعده الله لعباده المؤمنين من جزاء في الآخرة، بينما نجد الجمع الآخر "**أسورة**" وهو جمع قلة ورد في سورة الزخرف، في معرض حديث حكاه القرآن جرى على لسان فرعون عن حلي الدنيا، وما ينبغي أن يتحلى به نبي الله موسى عليه السلام من أسورة وتيجان إن كان صادقاً مُرْسَلاً من قبل الله عز وجل، وذلك جرياً على عادة الملوك والحكام من لبس الأساور والتيجان في الدنيا، كما مر، فناسب القرآن الكريم وضع أسورة هنا لأسورة الدنيا، فمهما بلغت في عددها وقيمتها

---

[١٢٢]() الكشف لمكي - ٢ / ٢٥٩ ، وانظر معاني القرآن للأخفش - ٢ / ٥١٥ ، ومعاني القرآن للفراء - ٣ / ٢٥، وسر صناعة الإعراب لابن جني - ٢ / ٢٤٨، وحجة القراءات لأبي زرعة / ٦٥١.

[١٢٣]() معاني القرآن للفراء - ٣ / ٢٥.

[١٢٤]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ١٦ / ١٠٠ ، وانظر تفسير البيضاوي - ٢ / ٦٥٢ ، والبحر المحيط لأبي حيان - ٨ / ٢٣، وبهامشه تفسير النهر الماد لأبي حيان نفسه - ٨ / ٢٠، ط الثانية ١٩٩٢، الناشر دار الكتاب الإسلامي القاهرة .

[١٢٥]() تفسير البيضاوي - ١ / ٣٩١.

وصنعتها فهي قليلة نادرة لا يلبسها إلا عِلِيَة القوم من الملوك والأمراء والأغنياء، ولا يمكن أن تتوافر لعامة الناس بينما أساور الجنة هي مما أَعدَّه الله لعباده المؤمنين جميعاً لا فرق بين العامة والخاصة، أو بين ملك ورعية كما يحدث في الدنيا غالباً.

بقى لنا أن نذكر أن من اللغويين من ذهب إلى أن لفظ "السوار" غير عربي الأصل. يقول ابن فارس: "وما سوار المرأة والإساور من أساورة الفُرْس، وهم القادة فأراهما غير عربية"[١٢٦].

واللفظ في نظري عربي الأصل والأرومة " اشتقوا منه فعلاً، فقالوا: سوَّرته ألبسته بسوار فتسور، والمسوَّر: موضع السوار كالمخدَّم موضع الخدمة، والمخلخل موضع الخلخال، والمطوق: موضع الطوق، وفي الحديث: **"أَتُحِبِّينَ أَن يُسَوِّرَكِ اللهُ بِسِوَارَيْنِ مِنْ نَارٍ"**[١٢٧]، وسبق أن نصَّ اللغويون على أن السور: حائط المدينة أي ما يحيط بهما، فالسوار أيضاً لا يبعد عن هذا المعنى، لأنه يحيط بالمعصم كما يحيط السور بالمدينة.

٤- أُلُوف - آلاف:

أَلف: الهمزة واللام والفاء أصل واحد، يدل على انضمام الشيء إلى الشيء، والأشياء الكثيرة أيضاً. قال الخليل: الألف معروف، وقد آلفت الإبل ممدودة صارت ألفاً وقال ابن السكيت : وتقول: آلف القوم إذا صاروا ألفاً، وذكر ابن الأعرابي: آلفت القوم: صَيَّرتهم ألفاً، وآلفتهم: صيرتهم ألفاً بغيري، وهذا قياس صحيح لأن الألف اجتماع المئين، وألفت الشيء آلفه، والألفة مصدر الائتلاف، وإلفك وأليفك الذي تألفه، وكل شيء ضممت بعضه إلى بعض فقد ألفته تأليفاً[١٢٨].

---

[١٢٦] () مقاييس اللغة لابن فارس - ٢ / س و ر.

[١٢٧] () لسان العرب لابن منظور - ٣ / س و ر ، وشرح معلقة امرئ القيس لابن كيسان ٦٧ - ٦٨، وانظر مسند الإمام أحمد - ٢ / ١٧٨ ، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير - ٢ / ٣٧٧.

[١٢٨] () مقاييس اللغة لابن فارس -١ / أ ل ف، وإصلاح المنطق لابن السكيت / ٢٩٩ بتصرف، وانظر مجمل اللغة لابن فارس - ١ / أ ل ف، ولسان العرب لابن منظور - ١ / أ ل ف، والقاموس المحيط للفيروزآبادي - ٣ / أ ل ف .

والألف اسم لعقد من العدد[١٢٩] مذكر، يقال: ألف واحد، ولا يقال ألف واحدة[١٣٠]، وجمعه: ألوف، وآلاف[١٣١] وآلُف الأخيرة نصَّ عليها ابن سيده، ونقلها ابن منظور، وعنده يقال: ثلاثة آلاف إلى العشرة، ثم ألوف جمع الجمع[١٣٢]، أي جمع في القلة على "أفعال" وفي الكثرة على "فعول"، وأفعال لا يطرد في "فَعْل" الاسم الثلاثي الصحيح العين إذ القياس فيه "أفعل" في القلة، وهو ما يفسر لنا ما انفرد به ابن منظور في النقل عن ابن سيده في جمع ألف على:" أفعُل " فقالوا: "آلُف" جمعاً قياسياً، أما أفعال في فَعْل صحيح العين فشاذ مثل: فرخ وأفراخ[١٣٣].

وأقول: كيف يحكم النحاة بشذوذه مع وروده في القرآن الكريم، وقد قال الله تعالى أيضاً: "**وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ**"[١٣٤]، فهذا جمع حَمْل بالفتح والسكون فالأولى أن تخرج القاعدة مخرج الغالب توفيقاً بين وروده في أفصح كلام، القرآن الكريم ، وكثرة وروده في اللغة على خلاف ذلك، وهو ما ذهب إليه بعض النحاة[١٣٥]، فمنهم من رأى أن مجيء فرخ على أفراخ قليل في اللغة، ولم يحكموا بتشذيذه أو بخروجه عن بابه[١٣٦]، وقد أباح مجمع اللغة العربية جمع فَعْل على أفعال جمعاً قياسياً بغير استثناء[١٣٧].

هذا وقد ورد من الجموع الثلاثة في القرآن الكريم جمعان " ألوف وآلاف " ففي قول الله جلَّ ثناؤه: "**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ**"[١٣٨]، ورد جمع

---

[١٢٩] () المصباح المنير للفيومي ١/ أ ل ف.
[١٣٠] () إصلاح النطق لابن السكيت / ٢٩٩، وانظر الصحاح للجوهري - ٤ / أ ل ف.
[١٣١] () الصحاح للجوهري - ٤ / أ ل ف، والقاموس المحيط للفيروزآبادي - ٣ / أ ل ف، والمصباح المنير للفيومي - ١ / أ ل ف.
[١٣٢] () لسان العرب لابن منظور - ١ / أ ل ف، وقارن بالمحكم لابن سيده - ١٠/ أ ل ف.
[١٣٣] () انظر هذا المعنى في شرح ابن عقيل - ٤ / ٩٢ - ٩٤ ، والمقتضب للمبرد - ٢ / ١٩٣ - ١٩٤.
[١٣٤] () سورة الطلاق، الآية: { ٤ }.
[١٣٥] () انظر شرح اللمع للتبريزي / ٣٧٥ والتنبيهات لعلي بن حمزة / ٩٧ - ٩٩ فقد تعقب فيه المبرد لاتباعه سيبويه في القول بشذوذ أفعال في فَعْل علماً بأن سيبويه لم يصرح بالشذوذ، ونص كلامه: "وليس بالباب في كلام العرب" فلفظه محتمل معنى الباب المطرد ومعنى الباب الغالب في كلامهم.
[١٣٦] () انظر في ذلك الكتاب لسيبويه - ٣ / ٥٦٨، والمقتضب للمبرد - ٢ / ١٩٤.
[١٣٧] () كتاب في أصول اللغة - ٢ / ٢٧ وما بعدها من مطبوعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
[١٣٨] () سورة البقرة، الآية: { ٢٤٣ }.

الألوف مطابقاً مفهوم الكثرة فيه لمفهوم وسياق الآية الكريمة، فالآية تتحدث عن قوم من بني إسرائيل فروا من طاعون حلَّ ببلادهم، فنزلوا وادياً فأماتهم الله تعالى، وقيل فروا من الجهاد لما فرض عليهم خوفاً من الموت بالقتل، فأماتهم الله ليعرفهم أن الفرار لا ينجيهم من الموت، ثم أحياهم وأمرهم بالجهاد.

و"هم ألوف" ذهب الجمهور إلى أن المراد بألوف هنا كثرة العدد على أنها جمع ألف، فقال بعضهم: كانوا ستمائة ألف، وقيل كانوا ثمانين ألفاً، وعن ابن عباس: أربعين ألفاً، وعن السدي: سبعة وثلاثين ألفاً، وقيل: سبعين ألفاً، قاله عطاء بن أبي رباح، وكل هذه الآراء في العدد تتناسب من حيث الكثرة مع جمع ألف على "ألوف" في الآية الكريمة. وذهب بعض المفسرين إلى أنهم كانوا ثمانية آلاف، في رواية عن ابن عباس، وعنه أيضاً كانوا أربعة آلاف، وقيل ثلاثة آلاف[١٣٩].

والمعوَّل عليه في التأويل والأخذ به الرأي الأول من أنهم كانوا فوق العشرة آلاف من عشرة آلاف لموافقته ظاهر النصِّ القرآني، فالظاهر المقضي به أنهم كانوا أكثر من عشرة آلاف، لأن بناء فعول كما سبق معقود للكثرة، والكثرة في جموع التكسير ما زادت على العشرة، وما نقص عنها لا يقال فيه عشرة ألوف أو تسعة ألوف بل تقال عشرة آلاف وكذا كل ما كان دون العشرة تبنيه على بناء من أبنية جموع القلة. يقول القرطبي: "والصحيح أنهم زادوا على عشرة آلاف لقوله تعالى: "**وَهُمْ أُلُوفٌ**"، وهو جمع الكثرة، ولا يقال في عشرة فما دونها ألوف"[١٤٠].

ولكن قد يستعار أحد الجمعين للآخر وإن كان الأصل استعمال كل واحد منهما في موضوعه، وهذه التقديرات كلها لا دليل على شيء منها، ولفظ القرآن "**وَهُمْ أُلُوفٌ**" لم ينص على عدد معين، ويحتمل أن لا يراد ظاهر جمع ألف بل يكون ذلك المراد منه التكثير، كأنه قيل خرجوا من ديارهم وهم عالم كثيرون لا يكادون يحصيهم عادّ فعبر عن هذا المعنى بقوله: وهم ألوف، كما يصح أن تقول: جئتك ألف مرة لا تريد حقيقة العدد إنما تريد جئتك

[١٣٩]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ٣ / ٢٣٠ - ٢٣١ ، وانظر تفسير البيضاوي - ١ / ٥٤، والبحر المحيط لأبي حيان ٢ / ٢٤٩ ، ٢٥٠، ومجمع البيان للطبرسي - ٢ / ٢٦٩.

[١٤٠]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ٣ / ٢٣١ ، وانظر البحر المحيط لأبي حيان - ٢ / ٢٥٠.

مراراً كثيرة لا تكاد تحصى من كثرتها، ولعل من كان معه لم يكن ألوفاً، فضلاً عن أن يكونوا آلافاً ولكنه أراد بذلك التكثير لأن العرب تكثر بآلاف وتجمعه[١٤١].

هذا وقد خالف ابن زيد الجمهور في لفظة ألوف من الآية الكريمة " وهم ألوف " فذهب إلى القول بأن معناها: وهم مؤتلفون، أي لم تخرجهم فرقة قومهم ولا فتنة بينهم إنما كانوا مؤتلفين مجتمعي القلوب لا متباغضين، فألوف على هذا المعنى ليست جمع "ألف" العدد المعروف بل هي جمع آلف مثل: جالس وجلوس، وشاهد وشهود، وقاعد وقعود[١٤٢] من ألفته إذا أنست به، ومنه الألفة والائتلاف، وهو الالتئام والاجتماع، واسم الفاعل أليف مثل عليم، وآلف مثل عالم، والجمع أُلَّاف مثل كُفَّار[١٤٣]، وحكى بعضهم في جمع إلف الذي تألفه ألوف، قال ابن سيده: وعندي أنه جمع آلفِ كشاهد وشهود، وهو الأليف[١٤٤]. وما عليه الجمهور أولى بالقبول من كون ألوف هي جمع العدد ألف، لأن ورود الموت عليهم وهم كثرة عظيمة يفيد مزيد اعتبار، لأن موت جمع عظيم دفعة واحدة لا يتفق وقوعه يفيد اعتبارا عظيما وأما وروده على قوم بينهم ائتلاف ومودة ومحبة لا فرق بين وروده عليهم وهم على هذ الحال ووروده عليهم وبينهم اختلاف في أن وجه الاعتبار لا يتغير ولا يختلف[١٤٥].

أما الجمع الآخر "**آلاف**" فقد ورد في قول الله جلَّ ثناؤه: "**إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ** [١٢٤] **بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ**"[١٤٦] جمعه جمع قلة آلاف؛ لأن الملائكة كانوا ثلاثة آلاف، ثم مدهم الله بألفين فصاروا خمسة آلاف وما بين الثلاثة إلى عشرة يجمع جمع قلة.

وعلى كل فالملائكة كانوا ضعف المشركين خمس مرات، كانوا خمسة آلاف والمشركون كانوا بين التسعمائة والألف، وإذا كان المسلمون بين الثلاثمائة والثلاثمائة وتسعة

---

[١٤١] () البحر المحيط لأبي حيان - ٢ / ٢٥٠ ،

[١٤٢] () السابق - ٣ / ٢٣١ ، وانظر الكشاف للزمخشري ١ / ٢٩٠، زاد المسير لأبي الفرج الجوزي، ١/ ٢١٩، ومجمع البيان للطبرسي - ٢ / ٢٦٩ ، وتفسير الرازي، (مفاتيح الغيب) للرازي ٦/ ٤٩٦.

[١٤٣] () المصباح المنير للفيومي - ١ / أ ل ف .

[١٤٤] () المحكم لابن سيده - ١٠/ أ ل ف، وانظر لسان العرب لابن منظور - ١ / أ ل ف.

[١٤٥] () تفسير الرازي (مفاتيح الغيب) للرازي، ٦/ ٤٩٦، وانظر البحر المحيط لأبي حيان - ٢ / ٢٥٠.

[١٤٦] () سورة آل عمران، الآية: { ١٢٤ - ١٢٥ }.

عشر علمنا أن الملائكة بالنسبة لهم كانوا من الكثرة بمكان فهم خمسة عشر ضعفاً تقريباً، ثم تأمل الأعداد في الثلاثة تجدها كلها تدور في دائرة القلة، الملائكة خمسة آلاف، والمشركون دون الألف، أو في حيز الألف المفرد، والمسلمون فوق المائة الثالثة بقليل، لذا قال الله تعالى في شأنهم في الآية السابقة مباشرة: "**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**"(١٤٧)، والذي عليه المفسرون أن معنى أذلة "قليلون"(١٤٨) في العدد والعتاد، وليست أذلة من الجبن والهزيمة والهوان، بل كانوا في أنفسهم أعزة، أعزهم الله بالإسلام، وأعزهم بنبيهم محمد صلى الله عليه وسلم وبإيمانهم بأن الله – لا محالة – ناصرهم بحوله وطوله سبحانه، ولعلك تلحظ أن لفظة "**أذلة**" هي الأخرى جمع قلة على أفعلة "ليدل على أنهم كانوا قليلين"(١٤٩).

فالله يأمرهم بالتوكل عليه وتفويض أمرهم إليه فهو حسبهم، ولما كان الغرض هو ذاك ذكَّرهم الله تعالي ما يوجب التوكل عليه بأن يسر لهم الفتح والنصر يوم بدر وهم على ما هم عليه من الضعف والقلة والذلة، وقد تناسب جمع ألف على آلاف هنا مع الوصف بالذلة، وجمعه جمع قلة **(وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)**(١٥٠)، فالأذلة: جمع قلة والذلان جمع الكثرة، وجاء بجمع القلة ليدل على أنهم على ذلتهم كانوا قليلا، وذلتهم: ما كان بهم من ضعف الحال وقلة السلاح والمال والمركوب، وذلك أنهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم إلا فرس واحد. وقلتهم أنهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر، وكان عدوّهم في حال كثرة زهاء ألف مقاتل ومعهم مائة فرس(١٥١). فسبحان من نصرهم وأيدهم بجند من عنده.

---

(١٤٧) سورة آل عمران، الآية: { ١٢٣ }.

(١٤٨) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ٢ / ١٩٠، وتفسير البيضاوي - ١ / ٨٨، ومجمع البيان للطبرسي ٢ / ١٨٨، والبحر المحيط لأبي حيان - ٣ / ٤٧، والوجوه والوجوه والنظائر للداماغاني - ١ / ٣٤٨.

(١٤٩) البحر المحيط لأبي حيان - ٣ / ٤٧، وانظر زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج الجوزي - ١/ ٣٢٠.

(١٥٠) سورة آل عمران، آية: ٢٣.

(١٥١) تفسير الكشاف للزمخشري ١ / ٤١٠، ٤١١.

فالآية الكريمة والتي قبلها تجريان على هذا النسق الجمالى البديع المتناسب في اللفظ والمعنى (أذلة – ثلاثمائة – ألف مفرد – خمسة آلاف)، ولك أن تتخيل أن هذا العدد هو كل من كان يستطيع حمل السلاح مع النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار باستثناء بعض المتخلفين، أو بعض من في قلبه مرض أو من اليهود في مقابل قريش جاءت بقضها وقضيضها، وتستطيع إن الحرب امتدت لأيام أو أسابيع أن تمد جيشها بآلاف مدججين بالسلاح والعتاد، فمن ير المسلمين وهم على هذا النحو من القلة في الرجال والسلاح والعتاد، والفرسان يجزم أنهم لا محالة الجيش المهزوم؛ لأنهم لم يملكوا من أسباب النصر المادية ما يجعلهم يتفوقون على عدوهم، ولكن المقادير لا تجري على هذا النحو من التقدير، إذ رب المقادير والأقدار وعدهم بالنصر مع قلتهم، وبشرهم به مع ضعفهم في العدة والعتاد، ومدَّهم بجندٍ من عنده، من الملائكة مسومين، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم.

٥- البِحار – الأَبْحُر:

البحر: الماء الكثير، ملحاً كان أو عذباً، وهو خلاف البر، سمي بذلك لعمقه واتساعه، وقد غلب على الملح حتى قيل في العذب، وجمعه أبحر وبحور وبحار[١٥٢]، قال الخليل: سمي البحر بحراً لاستبحاره، وهو انبساطه وسعته[١٥٣]، وأصل البحر في اللغة كل مكان واسع جامع للماء الكثير[١٥٤].

هذا هو الأصل، وقد ورد في جمعه ما سبق النص عليه (أبحر، وبحور، وبحار) إذ ما كان على فَعْل من الأسماء على ثلاثة أحرف صحيح العين فإن تكسيره على "أفعل" إن أردت جمع القلة، وذلك قولك: كلب وأكلب، وكعب وأكعب، وكذا بحر وأبحر، والقياس المطرد في بناء الكثرة منه على "فعال وفعول"، وذلك قولك: كلب وكلاب، ونسر ونسور، وقد

---

[١٥٢] () لسان العرب لابن منظور - ١ / ب ح ر، وانظر الصحاح للجوهري - ٢ / ب ح ر، والمصباح المنير للفيومي - ١ / ب ح ر.

[١٥٣] () مقاييس اللغة لابن فارس - ١ / ب ح ر، وانظر بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي - ١ / ٥٠٩.

[١٥٤] () المفردات للراغب الأصفهاني / ب ح ر.

تجتمع اللغتان أعني فعال وفعول على اسم واحد، وذلك قولك: في كعب: كعاب وكعوب، وفحل: فحال وفحول، وكذا بحر: بحار وبحور[١٥٥] .

ومن هذه الثلاثة ورد جمعان في القرآن الكريم، أبحر جمعاً للقلة، وبحار جمعاً للكثرة، وهذا الأصل الدلالي في اللغة نلحظه بجلاء من خلال سياق الآيات القرآنية والنص على جمع بعينه دون سواه، كما في قوله تعالى: "**وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ**"[١٥٦] وقوله تعالى: "**وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ**"[١٥٧]، قال الفراء في معنى قوله تعالى: "**وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ**" أفضى بعضها إلى بعض فصارت بحراً واحداً"[١٥٨].

ومع أن هذه قاعدة كلية في التفريق بين بعض جموع التكسير على أساس من القلة والكثرة إلا أن بعض السياقات القرآنية التي معنا قد تتجاوز هذه القاعدة الكلية المرسومة في اللغة لغرض وعلة في سياق الآية القرآنية كمراعاة التناسب بين ألفاظ الآية الواحدة، فيستخدم الأبحر الموضوع للقلة في معنى الكثرة استغناء عن لفظ بحار، أو بحور، الموضوع أصلاً لهذا المعنى لما ألمحنا إليه من غرض التناسب، وضح ذلك جلياً في قوله تعالى: "**وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**"[١٥٩] فقوله: "**سَبْعَةُ أَبْحُرٍ**" لا يراد الاقتصار على هذا العدد بل جيء به للدلالة على الكثرة، كقوله:" المؤمن يأكل في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء " لا يراد به العدد بل ذلك إشارة إلى القلة والكثرة، ولما كان لفظ سبعة ليس موضوعاً في الأصل للتكثير، وإن كان مراداً به التكثير جاء مميزه بلفظ القلة، وهو أبحر، ولم يقل: بحوراً، وإن كان لا يراد

---

[١٥٥]() الكتاب لسيبويه - ٣ / ٥٦٧ بتصرف، وانظر المقتضب للمبرد - ٢ / ١٩٣، وشرح اللمع لأبي زكريا التبريزي - ١ / ٣٧٦, وشرح ابن عقيل - ٤ / ٩٢ - ١٠٠.

[١٥٦]() سورة الإنفطار، الآية: { ٣ }.

[١٥٧]() سورة التكوير، الآية: { ٦ }.

[١٥٨]() معاني القرآن للفراء - ٣ / ٢٣٩ ، وانظر تفسير غريب القرآن للسجستاني / ٢٧٩.

[١٥٩]() سورة لقمان، الآية: { ٢٧ }.

به أيضاً إلا التكثير ليناسب بين اللفظين، فكما يجوز في سبعة واستعمل للتكثير كذلك يجوز في أبحر واستعمل للتكثير[١٦٠].

ولا شك أن السياق العام للآية الكريمة هو الذي فرض هذا الوضع الجديد على صورة هذا الجمع، فالمولى عز وجل لما ذكر أنه سخر لهم ما في السموات وما في الأرض وأنه أسبغ عليهم النعم ظاهرة وباطنة نبَّه على أن الأشجار لو كانت أقلاماً والبحار مداداً فكتب بها عجائب صنع الله الدالة على قدرته ووحدانيته لم تنفذ تلك العجائب، فالغرض الإعلام بكثرة معاني كلمات الله، وهي نفسها غير متناهية، وإنما قرَّب الأمر على أفهام البشر بما يتناهى لأنه غاية ما يعهده البشر من الكثرة لا لأنها تنفذ بأكثر من هذه الأقلام وهذه البحور[١٦١]، فإيثار جمع القلة للإشعار بأن ذلك لا يفي بالقليل فكيف بالكثير[١٦٢]. قال الزمخشري: "فإن قلت: الكلمات جمع قلة، والموضع موضع التكثير لا التقليل. فهلّا قيل: كلم الله؟ قلت: معناه أنّ كلماته لا تفي بكتبتها البحار، فكيف بكلمه"[١٦٣]؟

ناهيك عن هذا التناسب الظاهر في ألفاظ الآية الكريمة، بين الجمعين في الآية (أقلام، وأبحر)، وكذا (كلمات) جمع المؤنث السالم الدَّال بالوضع أيضا على معني القلة، مع أنها أيضا موضوعة موضع (كلام، وكلم)، والمعنى: كلمات الله، أي كلام الله، وكلام جمع كثرة، والعدد (سبعة) الموضوع للدلالة على القلة، وإن كان لا يراد منه هنا العدد القليل بل مطلق العدد، وقوله: (مِن شَجَرَةٍ) اسم جنس جمعي يفرق بنه وبين واحده بالتاء، فدخلته التاء للدلالة على الإفراد، أي شجرة واحدة، والعدد واحد يدل على القلة بل هو أقل الأعداد، هذا هو الظاهر من اللفظ والمراد في المعنى الكثرة أيضا مثل سائر الألفاظ التي معنا هنا، إذ (شجرة) نكرة وقعت في سياق الشرط، والنكرة إذا وقعت في سياق الشرط أو النفي أو النهي

---

[١٦٠]() البحر المحيط لأبي حيان - ٧ / ١٩١, وانظر روح المعني للألوسي - ١ / ٩٦ - ٩٧، تفسير القرآن العظيم تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، ٦/ ٣١٢، والتحرير والتنوير لابن عاشور، والبرهان للزركشي - ٤ / ٢٢.

[١٦١]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ١٤ / ٧٦، وانظر تفسير الكشاف للزمخشري - ٣/ ٤٨٥، زاد المسير لأبي الفرج الجوزي - ٦ / ١٧٣، والتحرير والتنوير لابن عاشور - ١٠ / ١٨١ - ١٨٢.

[١٦٢]() تفسير البيضاوي - ٢ / ٥٤٦.

[١٦٣]() تفسير الكشاف للزمخشري ٣/ ٥٠١.

أو الاستفهام أفادت العموم والشيوع، فهي فرد شائع في جنسه الكثير المتعدد، ثم إن اسم الجنس يدل على الكثرة، وهي هنا في هذا الموضع تؤول إلى معنى جمع الكثرة، إذ "المراد تفصيل كل الشجر واستقصاؤه شجرة فشجرة، حتى لا تبقى واحدة من أنواع الأشجار إلا وتحولت إلى أقلام"(١٦٤). يقول الزمخشري: "فإن قلت: لم قيل: مِنْ شَجَرَةٍ على التوحيد دون اسم الجنس الذي هو شجر؟ قلت: أريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة، حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة إلا قد بريت أقلاما"(١٦٥)، فتكون الأقلام بعدد كل شجرة(١٦٦)، فضلا عن أن قوله: "**مِنْ شَجَرَةٍ**"، وقعت وصفا لاسم الموصول "**ما**" في قوله: "**أَنَّما**"، واسم الوصول يدل على الاستغراق والعموم، أي ولو أن كل ما في الأرض من شجرة بمختلف أنواعها صارت أقلاما، ولفظ البحر مفرد في اللفظ ، دل على العموم والكثرة، لأنه اسم جنس دخل عليه اللام فدل على الاستغراق والعموم، ليشمل كل بحرعظيم يصدق عليه وصف بحر. قال الرازي: "(وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ) تعرِيف البحر باللَام لاستغراق الجنس وكل بحر مِدَادٌ"(١٦٧).

ومن ثم فقد جيء بلفظ (أبحر) الموضوع في اللغة على معنى القلة ـ وإن أريد به أيضا الكثرة في المعنى في هذا الموضع ـ متوسطا بين هذه الجموع والمفردات ليناسب أقلام الموضوعة في اللغة للدلالة على القلة، وكذا كلمات الدّالة على القلة، والعدد سبعة التي تدل قيمته العددية على القلة، وشجرة الدالة على معنى الوحدة، والبحر، الدال على الإفراد، فظاهر الألفاظ جميعها تجري على هذا النسق البديع العجيب، إذ في ظاهرها جموع قلة، أو مفردات دالة على الوحدة، متناسبة في اللفظ متضامنة في المعنى بدلالاتها جميعا على معنى الكثرة، أو قد ترى بعد هذا الجمال اللفظى اللغوي والإبداع الدلالى كان يناسب أن تأتى الآية الكريمة هنا وفي هذا الموضع وبين هذه الجموع والمفردات الدالة على القلة وضعا

(١٦٤) التفسير الوسيط د/ محمد سيد طنطاوي ١١/ ١٢٩.
(١٦٥) تفسير الكشاف للزمخشري ٣/ ٥٠١.
(١٦٦) مفاتيح الغيب للرازي ٢٥/ ١٢٨
(١٦٧) مفاتيح الغيب للرازي ٢٥ / ٥٢٨.

ولفظا بجمع أو بلفظ يدل على الكثرة فيكون نابيا قلقا كأنه غريب غير مألوف بين أسرة ألف أفردها بعضهم بعضا؟!!.

ولربَّ سائل يسأل ما بالك تقول إن الجمع مع وضعه للقلة في اللغة استخدم استثناء أو توسعا للدلالة على الكثرة فلماذا يمتنع القول باستعماله هنا فيما وضع له أصلا وحقيقة في اللغة؟ بمعنى آخر ما دليلك على أنها استعملت في غير ما وضعت له؟ ويجاب عن ذلك بكل ماجردناه سابقا من فقه التناسب بين الألفاظ، وأراء العلماء السابقة في معرض تفسيرهم القلة والكثرة فيها، ويضاف إلى ذلك أمران يدعم الثاني منها الأول ويقويه:

فالأول أن الآية الكريمة مسوقة لتعظيم كلمات الله وبيان أنها كثيرة غير متناهية، ولا يحيط بها إلا الله جل ثناؤه، وفي ذلك إجماع أهل التفسير وأهل اللغة، كما كشفنا من قبل في معنى الآية الكريمة.

أما الأمر الثاني الذي يدعم الأول ويقويه ويجاب به عن السؤال فهو سياق الموقف، أو الحال وما يستصحبه من مناسبة أوسبب، وما يقتضيه الأسلوب من مراعاته، وإن كان خارجيا عن نص الآيات وتركيبها إلا أنه متصل بها كاتصال نظم ألفاظها، فسبب نزول الآية الكريمة يكشف لنا عن أن السياق العام في مقام الكثرة حتى وإن استعمل في تأديته جموعا أو مفردات دالة على معنى القلة، فقد جاء في سبب النزول ما ذكره الطبرِي وابن عطية والواحدي عن سعيد بن جبير وعكرِمة وعطاء بن يسار بروايات متقارِبة: أن اليهود سألوا رسول الله أو أَغروا قريشًا بسؤَاله لما سمعوا قول الله تعالى في شأنهم: "**وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**"[١٦٨]، فقالُوا: كيف وأنت تتلو فيما جاءك أنا قد أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شيء! فقال رسول الله ﷺ لمن سألوه: هي في علم الله قليل، ثم أنزل الله ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام .

وعن السدي قالت قريش: ما أَكثر كلام محمد! فنزلت: ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام. وعن قتادة قالت قريش: سيتِم هذا الكلام لمحمد وينحسر- أي محمد ﷺ فلا يقول

[١٦٨]() سورة الإسراء، آية: {٨٥}.

بعده كلامًا. وفي رواية: سينفد هذا الكلام[١٦٩] فنزلت اللآيات لتدل على أن كلام الله لا ينفد فهو عظيم كثير غير متناه، لا يحصى ولا ينحصر ولاينحسر قائله ﷻ، ولا يكفي في كتابته أقلام أشجار الأرض ولا بمداد بحورها مجتمعة، بحرا بعد بحر ما نعرفه منها وما نجهله.

ثم انظر أيضا إلى الآيات التى ورد فيها لفظ البحر مجموعا على "**بحار**" "**وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ**"، وقوله تعالى: "**وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ**" تلحظ هذا التناسب العجيب من حيث ورود الجمع دالا على الكثرة ليتناسب مع كثرة الفعل المفهوم من مجئ الفعل على صورة التضعيف في فعلي الآيتين الكريمتين (سُجِّرت – فُجِّرت)، ودلالته على كثرة التسجير، والتفجير، أي بحار كثيرة، كثر فيها التسجير والتفجير، ولو ذهبت تضع جمع قلة هنا موضع جمع الكثرة، كأبحر موضع بحار، فقلت في غير القرآن الكريم: وإذا الأبحر سجرت، وإذا الأبحر فجرت، لفات الكثير من جمال المعنى وبهائه، ولنقضت عرى هذا الأسلوب البديع والبيان البليغ؛ لتناقضه مع مقام التهويل والتعظيم المقصود في الآيتين، وما ذلك إلا بسبب إغفال التناسب بين الأبحر القليلة وما أسند إليها في الفعل من كثرة التسجير والتفجير، وعدم مراعاة السياق الذي ورد فيه جمع (القلة) وما يقتضيه من استخدام جمع دال على الكثرة أعنى (بحارا).

٦- أَبْرار – بَرَرَة:

الباء والراء في المضاعف أربعة أصول في اللغة منها: الصدق[١٧٠]، ومن الصدق الأبرار والبررة، يقال بَرَّ الرجل يَبرُّ براً، وزان علم يعلم علماً، فهو بَرَّ بالفتح ، وبار أيضاً أي صادق أو تقي, وهو خلاف الفاجر[١٧١]، والبر فعل النفع اجتلاباً للمودة، وأصله: اتساع

---

[١٦٩]() التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ٢١/ ١٨١، وانظر الوسيط في تفسير القرآن المجيد لأبي حسن علي بن علي الواحدي ٣/ ٤٤٦، تفسير الكشاف للزمخشري - ٢/ ٦٩٠، ٣/ ٥٠١، ومفاتيح الغيب للرازي ٢٥/ ١٢٧، والدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي - ٦/ ٥٢٧.

[١٧٠]() مقاييس اللغة لابن فارس - ١ / ب رَّ.

[١٧١]() المصباح المنير للفيومي - ١ / ب ر ر.

النفع، ومنه البرَّ سمي به تفاؤلاً باتساع النفع[١٧٢]، وإنما سمي التقي براً لأنه بَرَّ ربه أي صدَّقه، ووفى له بما شهد له من الأمر بالتقوى[١٧٣].

وقد ورد الجمعان في القرآن الكريم. قال الله جلَّ ثناؤه: "**كِرَامٍ بَرَرَةٍ**"[١٧٤] واحدهم: البار، والبررة جماعة الأبرار[١٧٥]، قال القرطبي: "في بررة جمع بار مثل : كافر وكفرة، وساحر وسحرة، وفاجر وفجرة، يقال بر وبار إذا كان أهلاً للصدق، فمعنى "بررة" مطيعون لله، صادقون لله في أعمالهم[١٧٦]. وذكر البيضاوي في معنى بررة أنهم أتقياء[١٧٧]. وهو من أمثلة جمع الكثرة على زنة " فَعَلَة " مطرد فيما كان وصفاً على فاعل صحيح اللام لمذكر عاقل نحو: كامل وكملة، وساحر وسحرة، وكذا بار وبررة[١٧٨].

أما الجمع الآخر "**الأبرار**" فقد ورد أيضاً في أكثر من موضع، من ذلك قول الله ﷻ: "**إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا**"[١٧٩]، وقال جل ثناؤه: "**إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ**"[١٨٠] قيل: الأبرار أهل الصدق واحدهم بَرٌّ، وهو من امتثل أمر الله تعالى[١٨١]، وهم أيضاً الشاكرون عبر عنهم بالأبرار زيادة في الثناء عليهم[١٨٢].

هذا وقد جرى خلاف بين العلماء في مفرد هذين الجمعين، فمنهم من رأى أنهما يعودان إلى مفرد واحد، ومنهم من رأى أن كل جمع مستقل بمفرد، فالجوهري يرى أن جمع البر: الأبرار، وجمع البار: البررة[١٨٣]. وهو ما نص عليه غير واحد[١٨٤]، وفي التحرير والتنوير: وأصل بَرَّ يبرٌّ من باب فرح، ومصدره كالفرح، فهذا من باب الوصف مثل: عدل،

---

[١٧٢]() مجمع البيان للطبرسي - ٦ / ٣٥.
[١٧٣]() التحرير والتنوير لابن عاشور - ١٥ / ١٨٢.
[١٧٤]() سورة عبس، الآية: { ١٦ }.
[١٧٥]() معاني القرآن للأخفش - ٢ / ٥٦٧.
[١٧٦]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ١٩ / ٢١٧، وانظر الوجوه والنظائر للدامغاني - ٢ / ١٧٣.
[١٧٧]() تفسير البيضاوي - ٢ / ٧١٤.
([١٧٨]) شرح ابن عقيل - ٢ / ٩٧ بتصرف، وانظر المقتضب للمبرد - ٢ / ٢١٨.
[١٧٩]() سورة الإنسان، الآية: { ٥ }.
[١٨٠]() سورة الإنفطار، الآية: { ١٣ }.
[١٨١]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ١٩ / ١٢٥.
[١٨٢]() التحرير والتنوير لابن عاشور - ١٥ / ٣٧٩.
[١٨٣]() الصحاح للجوهري - ٢ / ب ر ر.
[١٨٤]() لسان العرب لابن منظور - ١ / ب ر ر، والمصباح المنير للفيومي - ١ / ب ر ر.

وقد اختص البررة بجمع بَرَّ، ولا يكون جمع بار ..... قال الراغب: لأن بررة أغلب من أبرار، إذ هو جمع بر, وأبرار جمع بار، وبَرَّ أبلغ من بار، كما أن عدلاً أبلغ من عادل[١٨٥].

إلا أن هذا القول لم يسلم لهم، فالأبرار عند غيرهم جمع بَرَّ أو بار، كرب وأرباب وشاهد وأشهاد[١٨٦]. وفي بعض مصادر التفسير، واللفظ من الجامع لأحكام القرآن: والأبرار جمع بار مثل: شاهد وأشهاد، وقيل جمع بَرَّ مثل: نهر وأنهار[١٨٧].

وهنا نلاحظ اتحاد المفرد مع الجمع من جهة جواز أن يكون جمعاً لبار أو بَرَّ، وقد سبق أن قيل أن بررة جمع بار، وبَرَّ. أما من اختصاص البررة بالبر، والأبرار بالبار على نحو ما ذكر الراغب، واعتبار ذلك وجهاً من أبلغية جمع البررة، فيجاب عنه بما ذكره الفراء من أن البررة الواحد منهم في قياس العربية بار، لأن العرب لا تقول: فَعَلة ينوون به الجمع إلا والواحد منه فاعل مثل: كافر وكفرة، وفاجر وفجرة، فهذا الحكم على واحده بار، والذي تقول العرب: رجل بَرَّ وامرأة برة، ثم جمع على تأويل فاعل، كما قالوا: قوم خيرة بررة. سمعتها من بعض العرب، وواحد الخيرة: خير، والبررة: بَرَّ[١٨٨].

هذا وقد ورد وصف البررة صفة للملائكة في الحديث الصحيح قوله: "**الذي يقرأ القرآن، وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة**"[١٨٩]، وهو كذلك في قول الله جلَّ ثناؤه: **(فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ)**[١٩٠] ورد وصفاً للكتبة الكرام من الملائكة، وهو ما يجرنا إلى الحديث عن الملحظ الدلالي في القرآن الكريم من جواز ورود جمع البررة مختصاً بالملائكة، والأبرار بغيرهم من الآدميين، فينفرد كل جمع بمعنى خاص به وإن أويا إلى مفرد واحد، ومعنى كلي عام يضم جميع أجزاء معانيه يدور حول ما أصلناه سابقاً في المادة والاشتقاق على السواء من كون المنعوت بهذا الجمع متصفاً بالصدق

---

[١٨٥] () التحرير والتنوير لابن عاشور - ١٥ / ١١٩.
[١٨٦] () الكشاف للزمخشري - ٤ / ٦٥٥.
[١٨٧] () الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ١٩ / ١٢٥، وانظر مجمع البيان للطبرسي - ٦ / ١٣٧، والتحرير والتنوير - ١٥ / ٣٧٩.
[١٨٨] () معاني القرآن للفراء - ٣ / ٢٣٧، وانظر معاني القرآن للأخفش - ٢ / ٥٢٧.
[١٨٩] () التحرير والتنوير لابن عاشور - ١٥ / ١١٩ ومسند الإمام أحمد بن حنبل - ٢ / ٩٨، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير - ١ / ١١٧.
[١٩٠] () سورة عبس، الآية: { ١٣ - ١٦ }، وانظر تفسير النهر الماد لأبي حيان - ٨ / ٤٢٦.

والتقوى والطاعة لله ﷻ, ومن العلماء من وقف على هذا الفقه الدلالي الدقيق، فذكر أن "الغالب في اصطلاح القرآن الكريم أن البررة الملائكة، والأبرار الآدميون"(١٩١).

قال السيوطي: "حيث ورد البار مجموعاً في صفة الآدميين قبل أبرار، وفي صفة الملائكة قبل: بررة، ذكره الراغب، ووجهه بأن الثاني أبلغ لأنه جمع بار، وهو أبلغ من بر مفرد الأول"(١٩٢)

ثم إنك لتلحظ كيف حافظ القرآن الكريم على الفاصلة هنا فآثر الجمع "بررة" لأجل سفرة قبلها مراعاة للتناسب بين الآيات القرآنية، كما أن الوقف على بررة يكون بالهاء، وهو مناسب لما قبلها وما بعدها من وقوف "**كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ**" إلى قوله تعالى: "**فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ**"، فلو قيل في غير القرآن الكريم مثلاً" **بأيدي سفرة كرام أبرار**" لنبا السمع عنها لأنها قلقة في موضعهاغير متوافقة ولا متناسبة مع سائر الألفاظ الموقوف عليها بجوارها.

وهذا التوافق أو التناسب الصوتي تلحظه أيضاً في جمع "الأبرار" من المواضع القرآنية الأخرى التي ورد فيها، كقوله تعالى: "**إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ، وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ**"، حيث قابل بين الأبرار والفجار فجئ بلفظ الأبرار بإزاء لفظ الفجار لما فيه من امتداد الصوت الحاصل من حرف المد " الألف" فروعي في جمعه "الأبرار" ليتوافق ويتناسب صوتياً مع الامتداد الصوتي الذي تراه حاصلاً في لفظ "الفجار"، ولو قيل في غير القرآن الكريم مثلاً" إن البررة لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم " لنفرت الأذن من سماعه ولمجه الذوق لأنه غير مستساغ ولا متناسب مع لفظ الفجار بل لأصبحت لفظة "البررة" نابية قلقة متجافية حتى مع لفظة نعيم والتي روعي فيها أيضاً أن تؤدي للأذن من الناحية الصوتية القيمة الصوتية نفسها التي تؤديها لفظة "جحيم" إذ هما على وزن "فعيل" ثم في مقابل لفظ "جحيم" وآخر الآية أيضاً، فناسب أول الآية (الأبرار) أول الآية التالية (الفجار)، كما ناسب آخر الآية الفاصلة (نعيم) آخر الآية (جحيم) فضلاً عن أن كل لفظة هي عكس الأخرى وضدها في معناها (الأبرار – الفجار) (نعيم – جحيم)، فكما ارتبطت فيما بينها في المعنى بعلاقة الضدية

---

(١٩١) التحرير والتنوير لابن عاشور - ١٥ / ١١٩.

(١٩٢) الإتقان للسيوطي - ١ / ١٩٤، وانظر المفردات للراغب - ١ / ب ر ر .

ارتبطت صوتياً فيما بينها أيضاً، مما سهل على النفس والأذن قبول هذا اللون من التناغم والتناسب والتوافق الصوتي والمعنوي بين ألفاظ الآيات القرآنية.

٧- حُمُر - حَمِير:

الحمار: النَّهاق من ذوات الأربع أهلياً كان أو وحشياً، وذكر الأزهري أن الحمار: العير الأهلي وكذا الوحشي، وجمعه: أحمرة وحُمُر وحمير وحُمْر وحمور، وحمورات جمع الجمع كجزرات وطرقات[١٩٣] ويعبر عن الجاهل بذلك كقوله: "**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا**"[١٩٤]، وقال: "**كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ**"[١٩٥].

ومن هذه الجموع السابقة ورد جمعان في القرآن الكريم: حُمُر، وهو القياس[١٩٦]، إذا أردت أكثر العدد بنيته على فُعُل[١٩٧] مطرد في كل اسم رباعي قد زيد قبل آخره مدة بشرط كونه صحيح الآخر، وغير مضاعف، إن كانت المدة ألفاً نحو: كُراع وكرع، وذراع وذرع، وحمار وحمر[١٩٨]. ويجمع أيضاً على حمير، ففي قول الله تعالى جل ثناؤه: "**وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**"[١٩٩]، ذكر صاحب التحرير والتنوير أن الحمير جمع تكسير حمار، وقد يجمع على أحمرة، وعلى حُمُر، وهو غالب للذكر من هذا النوع، وأما الأنثى فأتان، وقد روعي في الجمع التغليب[٢٠٠].

ولفظ الحُمُر وردت في قوله تعالى: "**كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ**" وخصَّ هنا بالحمار الوحشي لا الأهلي، كما يتضح من أقوال المفسرين. قال ابن عباس: أراد الحمر الوحشية[٢٠١] إذا عاينت الأسد هربت منه، كذلك هؤلاء الكفار إذا سمعواْ النبي ﷺ يقرأ القرآن

---

[١٩٣]() لسان العرب لابن منظور - ٢ / ح م ر، وانظر المصباح المنير للفيومي - ١ / ح م ر، والمفردات للراغب / ح م ر.

[١٩٤]() سورة الجمعة،الآية: { ٥ }.

[١٩٥]() سورة المدثر، الآية: { ٥٠ }، وانظر المفردات للراغب / ح م ر .

[١٩٦]() البحر المحيط لأبي حيان - ٥ / ٤٧١ - ٤٧٢ , ٢ / ٢٨٦.

[١٩٧]() الكتاب لسيبويه - ٣ / ٦٠١، وانظر شرح اللمع للتبريزي / ٣٧٧.

[١٩٨]() شرح ابن عقيل - ٤ / ٩٦ بتصرف، وانظر المقتضب للمبرد - ٢ / ٢١٠ - ٢١١.

[١٩٩]() سورة النحل، الآية: { ٨ }.

[٢٠٠]() التحرير والتنوير لابن عاشور - ٧ / ١١٠.

[٢٠١]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ١٩ / ٨٨، وانظر البحر المحيط لأبي حيان - ٨ / ٣٨٠.

هربواْ منه، فكأنهم في نفارهم عن الحق وإعراضهم عنه حمر من حمر الوحش إذا فرت ممن يريد صيدها من أسد[٢٠٢]، أو من الرجال الرماة القناصين[٢٠٣]، والذي في التحرير والتنوير: والحُمُر: جمع حمار، وهو الحمار الوحشي، وهو شديد النفار، إذا أحس بصوت القانص، وهذا من تشبيه المعقول بالمحسوس[٢٠٤] شبههم في إعراضهم عن القرآن وتدبره واستماع الذكر والموعظة وشرادهم عن ذلك بحمر جَدَّت في نفارها مما أفزعها، وفي تشبيههم بالحمر مذمة ظاهرة وتهجين لحالهم بَيِّن، كما في قوله تعالى:" **كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا**" وشهادة عليهم بالبله، وقلة العقل، ولا نرى مثل نفار حمير الوحش واطرادها في العدو إذا رابها رائب، ولذلك كان أكثر تشبيهات العرب في وصف الإبل، وشدة سيرها بالحمر، وعدوها إذا وردت ماءً فأحست عليه بقانص[٢٠٥].

والناظر في الاستخدام القرآني لهذين الجمعين يجد أن القرآن الكريم خصَّ جمع حمار على فعيل "حمير" للحمير الأهلية، وهو الجمع الشائع في الاستعمال على الألسنة إلى الآن، لما هو مستأنس عند الإنسان من هذا النوع يمتهنه في كثير من أعماله بدلالة قوله تعالى: "**لتركبوها**" فدل ذلك على أن الكلام عن الحمير الأهلية يركبها الإنسان، بينما نجد في الموضع الآخر جمع حمار على فُعُل "حُمُر" وخصها بالوحشية غير المستأنسة بدلالة قوله تعالى: "**فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ**" فسرت القسورة على أنها الأسد، أو الرماة رجال القنص[٢٠٦]، فإذا سمعت هذه الحمر، وهي لا عقل لها صوت الأسد أو الرامي كانت أشد نفوراً وجماحاً، كذلك حال هؤلاء القوم المعاندين المعرضين في جهلهم بما بعث به النبي صلى الله عليه وسلم، وفي نفورهم عن الدعوة والقرآن، فقد نفروا عما فيه سعادتهم ونجاتهم في الدنيا والآخرة نفور تلك الحمر، ثم لاحظ كيف تضافرت لفظة "**مستنفرة**" مع جمع التكسير حمر في إبراز

---

[٢٠٢]() تفسير ابن كثير - ٨/ ٢٨٢، وانظر مجمع البيان للطبرسي - ٦ / ١١٩.
[٢٠٣]() الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي - ٨/ ٣٣٩.
[٢٠٤]() التحرير والتنوير لابن عاشور - ٥ / ٣٢٩.
[٢٠٥]() الكشاف للزمخشري - ٤ / ٦٤٣، وانظر إعلام الموقعين لابن القيم - ١ / ١٢٦، وتفسير البيضاوي - ٢ / ٧٧١ . والبحر المحيط لأبي حيان - ٨ / ٣٨٠ - ٣٨١.
[٢٠٦]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ١٩ / ٨٩ ، غريب القرآن لابن قتيبة - / ٤٢٥، والبحر المحيط لأبي حيان ٨ / ٣٨٠، وتفسير غريب القرآن للسجستاني / ٢٦٨، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي - ٢١/ ٧٨.

وتصوير هذه الحمر الكثيرة واجتهادها في النفور عما يريبها ويخيفها، فمستنفرة أبلغ من نافرة فكأنها لشدة نفورها قد استنفر بعضها بعضا وحضَّتها على النفور، فإن في الاستفعال من الطلب قدرا زائدا على الفعل المجرد فكأنها تواصت فيما بينها بالنفور وتواطأت عليه[٢٠٧].

هذا وقد ورد في النصوص النبوية ما يفهم منه هذه الخصوصية في الغالب من أن الحمر جمعاً يراد به الحمر الوحشية، فإذا أريد بها المعنى جاءت عارية خالصة من أي قيد أو وصف يصرفها عن هذا المعنى، وإذا أريد بها الأهلية قيدت بهذا الوصف "الحمر الأهلية"، أو "الحمر الإنسية" والأمر بالعكس حاصل أيضاً، فيقال الحمير الوحشية إذا أريد بهذا الجمع غير الأهلية، لكي يكون الوصف مانعاً من إرادة المعنى الآخر حال إطلاقه بلا قيد، كما في حديث **عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَامَ خَيْبَرَ عَنْ نِكَاحِ الْمُتْعَةِ وَعَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ**"[٢٠٨]، **وفي سنن ابن ماجه: عن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْ مُتْعَةِ النِّسَاءِ يَوْمَ خَيْبَرَ، وَعَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ الْإِنْسِيَّةِ**"[٢٠٩]. **وعنِ ابنِ عمرَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ نهى عن أكلِ لحومِ الحُمُرِ الأهْلِيَّةِ**[٢١٠].

بينما لا تجد هذا القيد غالبا بل العكس هو الحاصل مع الجمع الآخر أعني جمع "حمير"، فإذا أطلق فهم منه الحمير الأهلية، فلا حاجة إلى قيده بالأهلية، أو الأنسية، كما في حديث خالد بن الوليد ﷺ: "**نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ لُحُومِ الْخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ وَكُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ**"[٢١١].

٨- خُلفاء - خَلائف:

الخاء واللام والفاء أصول ثلاثة: أحدها أن يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه، والثاني: خلاف قُدَّام والثالث: التغير. والأول هو الذي معنا، ومنه: الخَلَف والخَلَف: ماجاء بعد، ويقولون خلف صدق من أبيه، وخلف سوء من أبيه، والخِلِّيفَي: الخلافة، وإنما سميت

---

[٢٠٧]() إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم الجوزية - ١/ ١٢٦، ١٢٧.
(٢٠٨) المسند للإمام الشافعي - ١/ ٣٨١، وانظر صحيح مسلم - ٢ / ١٠٢٧.
(٢٠٩) سنن ابن ماجه - ٣/ ١٣٦.
(٢١٠) مسند الإمام أحمد بن حنبل - ٥ / ٢٤٠.
(٢١١) سنن الدراقطني - ٥ / ٥١٨.

خلافة لأن الثاني يجيء بعد الأول قائماً مقامه، وتقول: قعدت خلاف فلان أي بعده، والخلفة: نبت ينبت بعد الهشيم، وخلفة الشجر: ثمر يخرج بعد الثمر[٢١٢].

والخليفه: السلطان الأعظم[٢١٣]، وهو الذي يستخلف ممن قبله[٢١٤]، والجمع خلائف، جاءوا بها علي الأصل[٢١٥]، يعني علي لفظ خليفة[٢١٦] مثل كريمة وكرائم[٢١٧] وصحيفة وصحائف، وكتيبة وكتائب، وحظيرة وحظائر، وكذا خليفة وخلائف، جاءوا به علي الأصل من جمع فعيلة على فعائل جمع كثرة، وهو جمع: "لكل اسم رباعي بمدة قبل آخره مؤنثاً بالتاء نحو: سحابة وسحائب، وصحيفة وصحائف، وحلوبة وحلائب"[٢١٨].

وقالوا في جمعه أيضاً: خلفاء" من أجل أنه لايقع إلا على مذكر، فحملوه على المعني، وصاروا كأنهم جمعوا خليف، حيث علموا أن الهاء لا تثبت في تكثير"[٢١٩]، أي أنهم جمعوه على إسقاط الهاء، فصار مثل ظريف وظرفاء، لأن فعيلة بالهاء لايجمع على فعلاء [٢٢٠] وعلى هذا الوجه من الجمع يكون الأصل في خليفة "**خليف**" بغير هاء لأنه بمعنى فاعل، والهاء زيدت فيه للمبالغه مثل: علامة ونسابة[٢٢١] وصف خاص للرجل[٢٢٢] أو على حد قول سيبويه فيما سبق لايقع إلا على مذك.

---

[٢١٢]() مقاييس اللغة لابن فارس - ٢ / خ ل ف بتصرف ، وانظر له مجمل اللغة / خ ل ف، والاشتقاق لابن دريد / ١٢٧، والصحاح للجوهري - ٤ / خ ل ف , ولسان العرب لابن منظور - ٢ / خ ل ف .

[٢١٣]() الصحاح للجوهري - ٤ / خ ل ف . وانظر القاموس المحيط للفيروزآبادي - ٣ / خ ل ف.

[٢١٤]() لسان العرب لابن منظور - ٢ / خ ل ف.

(٢١٥) الكتاب لسيبويه - ٣ / ٦٣٦، وانظر الصحاح للجوهري - ٤ / خ ل ف.

(٢١٦) لسان العرب لابن منظور - ٢ / خ ل ف، وانظر المحكم لابن سيده - ٥ / خ ل ف، والاشتقاق لابن دريد / ١٢٧.

(٢١٧) الصحاح للجوهري - ٤ / خ ل ف، ولسان العرب لابن منظور - ٢ / خ ل ف.

(٢١٨) شرح ابن عقيل - ٤/ ١٠٥، وانظر شرح المفصل لابن يعيش - ٥ / ٥٢.

(٢١٩) الكتاب لسيبويه - ٣ / ٦٣٦. وانظر شرح المفصل لابن يعيش - ٥ / ٥٢.

(٢٢٠) الصحاح - ٤ / خ ل ف، وانظر لسان العرب لابن منظور - ٢ / خ ل ف.

(٢٢١) المصباح المنير للفيومي - ١ / خ ل ف بتصرف، وانظر الاشتقاق لابن دريد / ١٢٧.

(٢٢٢) السابق - ١ / خ ل ف، وانظر لسان العرب لابن منظر - ٢ / خ ل ف.

وفعلاء من جموع الكثرة أيضاً، وهو جمع مقيس في فعيل بمعنى فاعل صفة لمذكر عاقل، غير مضاعف ولا معتل نحو ظريف وظرفاء، وكريم وكرماء، وبخيل وبخلاء[٢٢٣]، وكذا خليف بغير هاء وخلفاء.

وقد ورد الجمعان في القرآن الكريم في مواضع عدة، ففي قول الله جل ثناؤه: "**وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ**"[٢٢٤]، ورد خلفاء جمعاً لخليفة، فيه يقول الأخفش: "وقال: "**خَلَائِفَ الْأَرْضِ**"[٢٢٥]، وقال: "**خلفاء**" وكل جائز، وهو جماعة الخليفة[٢٢٦]، خلفاء على التذكير والمعنى، وخلائف على اللفظ، كما مَرَّ، والمعنى مَنَّ الله عليهم بأن جعلهم سكان الأرض بعد قوم نوح[٢٢٧] في مساكنهم أو في الأرض بأن جعلكم ملوكاً فإن شداد بن عاد ممن ملك معمورة الأرض[٢٢٨].

كما قد ورد الجمع الآخر "**خلائف**" في قوله تعالى: "**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ**"[٢٢٩] فخلائف جمع خليفة ككرائم جمع كريمة، وكل من جاء بعد من مضى فهو خليفة، أي جعلكم خلفاً للأمم الماضية وللقرون السالفة[٢٣٠] يخلف بعضكم بعضاً، أو خلفاء الله في أرضه تتصرفون فيها على أن الخطاب عام، أو خلفاء الأمم السابقة على أن الخطاب للمؤمنين[٢٣١]، وقيل في معناه: تفعلون فيها فعل الخليفة متمكنين من كل ما تريدونه[٢٣٢] وذكر الفراء أن المقصود بالخطاب هم أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم جعلت خلائف كل الأمم"[٢٣٣]، فباطن الآية الكريمة يمثل بشارة بإعلاء دين

---

(٢٢٣) شرح ابن عقيل - ٤ / ١٠٤ .
(٢٢٤) سورة الأعراف، الآية : { ٦٩ } .
٢٢٥() سورة الأنعام، الآية : { ١٦٥ } .
٢٢٦() معاني القرآن للأخفش - ١ / ٣٣٢.
٢٢٧() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ٧ / ٢٣٦، تفسير غريب القرآن للسجستاني/ ٨٨ ، والوجوه والنظائر للدامغاني - ٢ / ٣١٤.
٢٢٨() تفسير البيضاوي - ١ / ٢١٠.
٢٢٩() سورة الأنعام، الآية : { ١٦٥ }.
٢٣٠() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ٧ / ١٥٨.
٢٣١() تفسير البيضاوي - ١ / ١٩٨، وانظر تفسير غريب القرآن للسجستاني / ٨٨ والبحر المحيط لأبي حيان - ٤ / ٢٦٣.
(٢٣٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعى - ٧ / ٣٤٤.
٢٣٣() معاني القرآن للفراء - ١ / ٣٦٧، وانظر لسان العرب لابن منظور - ٢ / خ ل ف.

الإسلام على الدين كله وغلبة أهله على أكثر أهل الأرض في زمنه الأول زمن النبى ﷺ وصحابته الكرام، وعلى جميع أهل الأرض في آخر الزمان[٢٣٤].

وإنك لتلحظ من خلال النظر في الآيات السابقة أن جمع خليفة على خلفاء جاء في معرض الامتنان على قوم عاد بأن استخلفهم الله بعد قوم نوح، فأعطاهم الله الملك وزادهم بسطة في القامة والقوة، وإنك لتجد هذا المعنى أيضاً في قصة ثمود مع أخيهم صالح استخلفهم الله من بعد عاد. قال جل ثناؤه: "**وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ**"[٢٣٥] ومكنهم في الأرض يتخذون من سهولها قصوراً، وينحتون من الجبال بيوتاً، وهذا دليل على ما وصلوا إليه من سلطان وقوة .

فلعل هذا المعنى الذي لاحظته (الملك – السلطان – القوة) يشير إلى قصر جمع خليفة على خلفاء، إن فُهم هذا المعنى كما تبين من آيتي عاد وثمود، وإنك لتلحظ أيضاً أن خلفاء وردت في الأصل جمعاً لخليف "فعيل" ألحقوا به التاء للمبالغة والتعظيم، وهو ما يناسب معنى الملك والسلطان والقوة، فزادوا التاء في لفظ المفرد تفخيماً وتعظيماً مراعاة لمعنى الملك والسلطان والقوة.

أما خلائف فهو جمع خليفة أيضاً "فعيلة " ولكن الملاحظ أن الاستعمال فيه أعم وأشمل فخلائف تستعمل في معرض الحديث عن أمة أو جماعة أو أمم سالفة غابرة تخلفها أمة أو جماعة أو أمم في عمارة الأرض أو في الحياة، سواء أكان لها ملك وسلطان أم لا، وهو ما يتفق مع المعنى العام للفظ خليفة في اللغة وما أصله ابن فارس في صدر هذه المسألة"، فكل من جاء بعد من مضى فهو خليفة"[٢٣٦]، وتأمل الآيات التي ورد فيها لفظ "خلائف "تجد هذا المعنى العام شاخصا أمامك، في قوله تعالى: "**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ**"،وقوله جل ثناؤه: "**وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا**"[٢٣٧]، وقوله تعالى:"**ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ**"[٢٣٨].

---

[٢٣٤] () نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي - ٧ / ٣٤٤.
[٢٣٥] () سورة الأعراف، الآية : { ١٦٥ }.
[٢٣٦] () الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ٧ / ١٥٨.
[٢٣٧] () سورة يونس، الآية : { ٧٣ } .
[٢٣٨] () سورة يونس، الآية : { ١٤ } .

٩- ذُكور - ذُكْران:

الذَّكَر: خلاف الأنثى، والجمع ذكور وذكورة، وذكارة، وذكران، ولا يجوز جمعه بالواو والنون فإن ذلك مختص بالعلم العاقل، والوصف الذي يجمع مؤنثه بالألف والتاء، وما شذ من ذلك فمسموع لا يقاس عليه[٢٣٩]، وقال كراع: ليس في الكلام فَعَل يكسر على فعول وفُعْلان إلا الذكر[٢٤٠].

ومن هذه الجموع السابقة ورد جمعان في القرآن الكريم. قال الله جلَّ ثناؤه: "**وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا**"[٢٤١] وقال أيضاً: "**أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ**"[٢٤٢]، وقد ورد الجمعان في قوله تعالى: "**لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا**"[٢٤٣]، وقدم إناثاً هنا وأخَّرَ الذكور "للمحافظة على الفاصلة"[٢٤٤] مع الآية السابقة فقد ذيلت بقوله: "**وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ**"[٢٤٥] ويحفظ فُعُول في فَعل نحو: أسد وأسود، وكذا ذَكَر وذكور، ومما يفهم منه أنه غير مطرد[٢٤٦]، ومن أبنية جمع الكثرة " فُعلان" وهو مقيس في اسم صحيح العين على فَعْل كظَهْر وظهران، أو على فَعَل نحو: ذكر وذكران[٢٤٧].

ولعل في إيثار جمع ذكران في قوله تعالى "**أتأتون الذكران**" إشارة إلى اكتمال الذكورة، وأن المقصود بها البالغين من الذكور، بدلالة أتأتون، وفيه تقبيح لأفعالهم وتشنيع بسلوكهم لتركهم المأتى النافع الملائم للفطرة أعني الإناث، فإن قيل: ذكران وردت في معرض الحديث عن هبة الله تعالى لخلقه من إناث أو ذكور، أو يهب لبعضهم ذكراناً وإناثاً فهذا دليل على إطلاقه على الذكر مطلقاً، قلت: الأول إن الموضع الأول فيه مزيد معنى، فذكران فيه تفخيم

---

[٢٣٩] () المصباح المنير للفيومي - ١ / ذ ك ر.
[٢٤٠] () لسان العرب لابن منظور - ٣ / ذ ك ر.
[٢٤١] () سورة الأنعام، الآية : { ١٣٩ } .
[٢٤٢] () سورة الشعراء، الآية : { ١٥٦ } .
[٢٤٣] () سورة الشورى، الآيتان : { ٤٩ - ٥٠ } .
[٢٤٤] () تفسير البيضاوي - ٢ / ٦٤٥.
[٢٤٥] () سورة الشورى، الآية: ٤٨.
[٢٤٦] () شرح ابن عقيل - ٤ / ١٠٢ بتصرف.
[٢٤٧] () الكتاب لسيبويه - ٥٧٠/٣، وانظر المقتضب للمبرد - ١٩٨/٢، وشرح ابن عقيل - ١٠٣/٤.

للفظ بفتح الفم للنطق بالمد بعد الراء، وفي ذلك تصوير وتعظيم لما يرتكبونه من فحش بلغ النهاية بإتيانهم الذكران ، كما أن من يجمع له في ذريته بين الذكران والإناث أعظم منزلة وأعلى مرتبة ممن يفرد له بأحد النوعين الذكورأو الإناث، ومما يعضد ذلك تقديم الذكران على الإناث؛ لأن ميل النفوس إليها أعظم وأكثر، ولعلك تلحظ أن موضع الشعراء فيه قوله: "**مِنَ العَالَمِينَ**" وفيه إشارة إلى أنهم كانواْ يأتون الذكران من أنواع المخلوقات كالبهائم والحيوانات، فذكران فيه تكثير لنوع الذكر مع تهويل وتفخيم وتعظيم لما أتوه من جُرْم، أو أراد بالعالمين الناس، أى: أتأتون من بين أولاد آدم عليه السلام – على فرط كثرتهم وتفاوت أجناسهم وأعراقهم وغلبة إناثهم على ذكورهم في الكثرة – ذكرانهم، كأن الإناث قد أعوزتكم[٢٤٨]، لقلتها وندرتها.

١٠– الرَّكْب – الرُّكْبان:

الراء والكاف والباء أصل واحد مطرد منقاس، وهو علو شيء شيئاً، والرَّكْب: القوم الركبان، وذكر الخليل أن الراكب والأركوب راكبوا الدواب، وأن الرُّكاب ركاب السفينة[٢٤٩].

وفي المصباح المنير: "وراكب الدابة جمعه ركب مثل: صاحب وصحب، وركبان[٢٥٠]، وقال بعضهم: الراكب للبعير خاصة، والجمع رُكَّاب وركبان ورُكوب، قال ابن السكيت وغيره: تقول مَرَّ بنا راكب إذا كان على بعير خاصة، فإذا كان الراكب على فرس أو حمار أو بغل قلت: مَرَّ بنا فارس على حمار، ومَرَّ بنا فارس على بغل. قال ابن بري: قول ابن السكيت: مَرَّ بنا راكب إذا كان على بعير خاصة إنما يريد إذا لم تضفه، فإذا أضفته جاز أن يكون للبعير والحمار والفرس والبغل، ونحو ذلك، فتقول: هذا راكب جمل، وراكب فرس، وراكب حمار، فإن أتيت بجمع يختص بالإبل لم تضفه، كقولك: ركب ورُكبان، لا تقل ركب إبل ولا ركبان، لأن الرَّكب والرُّكْبان لا يكون إلا لركاب الإبل. وأما الرُّكّاب فيجوز إضافته إلى الخيل والإبل وغيرهما، كقولك: هؤلاء ركاب خيل، وركاب إبل، بخلاف الركب والركبان[٢٥١].

---

[٢٤٨]() تفسير الكشاف للزمخشري - ٣/ ٣٢٩، ٣٣٠، وانظر تفسير أبي السعود - ٦/ ٢٦٠.
[٢٤٩]() مقاييس اللغة لابن فارس - ٢ / ر ك ب، وانظر الصحاح للجوهري - ١ / ر ك ب.
[٢٥٠]() المصباح المنير للفيومي - ١ / ر ك ب ، وانظر الفوائد والقواعد للثمانيني / ٦٧٤.
[٢٥١]() لسان العرب لابن منظور - ٣ / ر ك ب، وقارن بإصلاح المنطق لابن السكيت - ٤٠ / ٣٣٨ , وانظر تهذيب إصلاح المنطق للتبريزي - ١ / ١٣٦ ، ٢ / ٢٠٣ , حواشي ابن بري ١/ ر ك ب

هذا وقد قيل إن الرَّكْب ركبان الإبل اسم للجمع، وليس بتكسير راكب، والركب أصحاب الإبل في السفر دون الدواب، وقال الأخفش: هو جمع، وهم العشرة فما فوقها، ورأى الأخفش أن الركب قد يكون للخيل والإبل، واستشهد على ذلك بقول السليك بن السلكة، وكان فرسه قد عطب: (من الوافر)

وما يُدْرِيك ما فَقرى إليهِ * إذا ما الرَّكْبُ في نَهْبٍ أَغاروا

وفي التنزيل العزيز :"**وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ**"[٢٥٢]، فمن الجائز أن يكونوا رَكْب خيل، وأن يكونوا ركب إبل، وقد يجوز أن يكون الجيش منهما جميعاً[٢٥٣].

والرَّكْب في الأصل هو راكب الإبل خاصة، ثم اتسع فأطلق على كل من ركب دابة[٢٥٤]، ولعل إطلاق الركب على راكب الإبل خاصة يرجع إلى أن الإبل كان أداة السفر وعدته ووسيلته التي يسافر عليها، وقد ورد هذا الجمع في القرآن الكريم كما في الآية الكريمة السابقة، وقد قالوا في معناها: "يعني ركب أبي سفيان وعيره كانوا في موضع أسفل منهم إلى ساحل البحر وفيه الأمتعة. وقيل: هي الإبل التي كانت تحمل أمتعتهم، وكانت في موضع يأمنون عليها توفيقاً من الله عز وجل لهم فذكرهم نعمه عليهم[٢٥٥].

وركبان جمع راكب أيضاً وردت في قول الله عز وجل:"**فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا**"[٢٥٦]، أي كائنين على ظهور الدواب على هيئة التمكن[٢٥٧] **والركبان:** جمع راكب كالفرسان جمع فارس، وكل شيء علا شيئاً فقد ركبه، أي على ظهور دوابكم عنى بها صلاة الخوف من العدو[٢٥٨].

---

[٢٥٢]() سورة الأنفال، الآية: {٤٢}.

[٢٥٣]() لسان العرب لابن منظور - ٣ / ر ك ب، وانظر معاني القرآن للأخفش - ٢ / ٥٤٦، والنهاية لابن الأثير - ٢ / ٢٣٣.

[٢٥٤]() السابق - ٣ / ر ك ب، وانظر النهاية لابن الأثير - ٢ / ٢٣٣، والبيت في المفضليات منسوب إلى بشر بن أبي حازم. المفضليات للمضل بن سالم الضبي / ٣٤٥.

[٢٥٥]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ٨ / ٢١، وانظر معاني القرآن للفراء - ١ / ٤١١, ومجمع البيان للطبرسي - ٣ / ١٥٢ - ١٥٣، والبحر المحيط لأبي حيان - ٤ / ٥٠٠.

[٢٥٦]() سورة البقرة ، الآية: { ٢٣٩ }.

[٢٥٧]() نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي - ٣/ ٣٧١.

[٢٥٨]() مجمع البيان للطبرسي - ١ / ٢٦٣ - ٢٦٤ ، وانظر البحر المحيط لأبي حيان - ٢ / ٢٤٣.

١١- سُجَّد - سُجود:

السين والجيم والدال أصل واحد مطرد يدل على تطامن وذل، يقال: سجد إذا تطامن، وكل ما ذلَّ فقد سجد، قال أبو عمرو: أسجد الرجل إذا طأطأ رأسه وانحنى[٢٥٩]، يقال: سجد يسجد سجوداً: وضع جبهته بالأرض، وقوم سُجَّد وسُجُود[٢٦٠] .

وقد ورد الجمعان في القرآن الكريم قال الله ﷻ: "**وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا**"[٢٦١] قال ابن عباس: منحنين ركوعاً، وقيل متواضعين خضوعاً لا على هيئة متعينة[٢٦٢]، وقال تعالى: "**ووَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا**"[٢٦٣] هذا سجود إعظام لا سجود عبادة لأن بني يعقوب لم يكونوا يسجدون لغير الله ﷻ[٢٦٤].

أما الجمع الآخر فقد ورد في قوله ﷻ: "**وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**"[٢٦٥] أي المُصلون عند الكعبة، وخَصَّ الركوع والسجود بالذكر لأنها أقرب أحوال المصلي إلى الله تعالى[٢٦٦] في مجمع البيان: "**والركع**" جمع الراكع، والسجود: جمع "الساجد"، وكل فعل مصدره على فعول جاز في جمع الفاعل منه أن يكون على فعول، كالقعود والركوع والسجود ونحوها[٢٦٧] وذلك إذا كان "فاعل" صفة لمذكر، فإنه يجيء على "فُعَّل" قالوا شاهد وشُهَّد، ونائم ونُؤَّم، وراكع وركَّع، وكذا ساجد وسُجَّد كما جمعوا على "فُعُول" وقالوا: شاهد وشهود، وقاعد وقعود، وكذا ساجد وسجود[٢٦٨].

وقد جمع "الركع السجود" جمع تكسير لمقابلتهما ما قبلهما من جمعي السلامة (الطائفين والعاكفين) فكان ذلك تنويعاً في الفصاحة، وخالف بين وزني تكسيرهما تنويعاً في

---

[٢٥٩]() مقاييس اللغة لابن فارس - ٣ / س ج د، وانظر مجمل اللغة لابن فارس - ٢ / س ج د.
[٢٦٠]() لسان العرب لابن منظور - ٣ / س ج د، وانظر المحكم لابن سيده / س ج د.
[٢٦١]() سورة البقرة، الآية: { ٥٨ }.
[٢٦٢]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ١ / ٢١٠، وانظر البحر المحيط لأبي حيان - ١ / ٢٢١.
[٢٦٣]() سورة يوسف، الآية: { ١٠٠ }.
[٢٦٤]() لسان العرب لابن منظور - ٣ / س ج د.
[٢٦٥]() سورة البقرة، الآية: { ١٢٥ } .
[٢٦٦]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ١ / ١١٤. وانظر البحر المحيط لأبي حيان - ١ / ٣٨٢.
[٢٦٧]() مجمع البيان للطبرسي - ١ / ٤٥٩ , وانظر معاني القرآن للأخفش - ١ / ١٥٥، وتفسير البيضاوي - ١ / ٧٦، والبيان في غريب إعراب القرآن لابن البركات بن الأنباري - ٢ / ٤٤.
[٢٦٨]() الفوائد والقواعد للثمانيني - ٦٧٣ - ٦٧٤ بتصرف، وانظر المقتضب للمبرد - ٢ / ٢١٦، و شرح ابن عقيل - ٢ / ٩٨.

الفصاحة أيضاً، وكان آخرها على فعول لا على فعل لأجل كونها فاصلة والفواصل قبلها وبعدها آخرها قبله حرف مد ولين[٢٦٩].

١٢- شَتَّى - أَشْتاتاً:

الشين والتاء أصل يدل على تفرق وتزيل، من ذلك: تشتيت الشيء المتفرق، تقول: شَتَّ شعبهم شتاتاً وشَتّاً، أي تفرق جمعهم، **قال الطرماح: (من الرمل)**

شتَّ شَعْبُ الحَيِّ بعدَ التئامْ وشَجاكَ الرَّبْعُ رَبعُ المقامْ[٢٧٠]

وشتَّ الأمر يشِتَ شتّاً وشتاتاً: تفرّق، وقوم شَتَّى: متفرقون، وجاء القوم أشتاتاً: متفرقين واحدهم شت، وإن المجلس يجمع شتوتاً من الناس وشتّى، أي فرقاً، والشت: المتفرق، وتثنيته: شتّان، وجمعه: أشتات[٢٧١].

وفي التنزيل العزيز: "فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى"[٢٧٢]، أي مختلفة جداً في الألوان والمقادير والمنافع والطبائع والطعوم[٢٧٣]. يقول البيضاوي: "من نبات بيان وصفة لأزواجاً وكذلك شتى، ويحتمل أن يكون صفة لنبات، فإنه من حيث إنه مصدر في الأصل يستوي فيه الواحد والجمع، وهو جمع شتيت كمريض ومرضى، أي متفرقات في الصور والأغراض والمنافع"[٢٧٤]، وهي مناسبة للفواصل القرآنية في السورة: طغى، هدى، الأولى، ولا ينسى. النهي، أخرى، أبى، فأواخر هذه الآيات القرآنية على هذا النسق.

ومثلها: "إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى"[٢٧٥] فواصلها، يغشى، تجلى، والأنثى، بالحسنى إلى آخر ذلك. والمعنى: "أي مساعيكم لشتى لمتفرقة مختلفة"[٢٧٦]، أَي أنَّ أَعْمَالَ عباده لشتى

---

[٢٦٩]() البحر المحيط لأبي حيان - ١ / ٣٨٢ وانظر النهر الماد لأبي حيان - ١ / ٣٨٢، والدر المصون للسمين الحلبي ٢/ ١٠٨.

[٢٧٠]() مقاييس اللغة لابن فارس - ٣ / ش تّ ، وانظر البيت في ديوان الطرماح بن حكيم / ٢٢٧.

[٢٧١]() لسان العرب لابن منظور - ٤ / ش ت ت، وانظر الصحاح للجوهري - ١ / ش ت ت.

[٢٧٢]() سورة طه، الآية: { ٥٣ }.

[٢٧٣]() نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي - ١٢/ ٢٩٧.

[٢٧٤]() تفسير البيضاوي - ١ / ٤١٨، وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ١١ / ٢٠٩ - ٢١٠.

[٢٧٥]() سورة الليل، الآية: { ٤ }.

[٢٧٦]() البحر المحيط لأبي حيان - ٨ / ٤٨٣.

أي مختلفة في الجزاء وشتَّى جمع شَتِيت مثل مَرْضَى ومرِيض، وإنما قيل للمختلف: شَتَّى، لتباعد ما بين بعضه وبعضه، وَالشَّتَات هو التباعد والافتراق[٢٧٧].

وأشتاتاً ورد في قوله تعالى: **"لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا"**[٢٧٨]، وأشتاتاً جمع شَتّ المصدر بمعنى التفرق، يقال: شت القوم أي تفرقوا[٢٧٩]، والمعنى: مجتمعين أو متفرقين[٢٨٠]، **ومثلها: "يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ"**[٢٨١]، جمع شت أي فرقاً مؤمن وكافر وعاص سائرون إلى العرض ليروا أعمالهم[٢٨٢]، وذكر ابن عطية أن أَشْتاتاً بمعنى: يتصرفون موضع وردهم مختلفي الأحوال وواحد الأشتات: شت، وأَشْتاتاً: معناه: قوم مؤمنون وقوم كافرون، وقوم عصاة مؤمنون، والكل سائر إلى العرض ليرى عمله، ويقف عليه[٢٨٣].

وبالنظر ترى أن أشتاتاً جمع شت، وشتى جمع شتيت، فالمفرد فيهما مختلف وإن كان المعنى فيهما واحد، وقد ذهب السيوطي إلى أن أشتاتاً جمع شت وشتيت[٢٨٤]، وإن صح ذلك فالجمعان يلتقيان على مفرد واحد وهو شتيت على حد ما ذهب إليه السيوطي، وإن انفرد أشتات بمفرد شت.

١٣- شِداد - أَشِدّاء:

الشين والدال أصل واحد يدل على قوة في الشيء وفروعه ترجع إليه من ذلك: شددت العقد شداً أَشُدُّه، والشِّدَّة المرة الواحدة[٢٨٥] والتشديد خلاف التخفيف، ورجل شديد: قوي، والجمع أشداء وشداد وشُدُد عند سيبويه[٢٨٦]، وهن شِداد وشدائد[٢٨٧].

---

(٢٧٧) مفاتيح الغيب للرازي - ٣١/ ١٨٢، وانظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي - ٢٢/ ٨٨.

٢٧٨() سورة النور، الآية: { ٦١ }.

٢٧٩() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ١٢ / ٣١٧.

٢٨٠() تفسير البيضاوي - ٢ / ٤٧٤، وانظر البحر المحيط لأبي حيان - ٦ / ٤٧٤.

٢٨١() سورة الزلزلة، الآية: { ٦ }.

٢٨٢() البحر المحيط لأبي حيان - ٨ / ٥٠١، وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ٢٠ / ١٥٠، وتفسير البيضاوي - ٢ / ٨٠٧.

٢٨٣() المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، تحقيق: عبد السلام عبدالشافي، (الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ)، ٥/ ٥١١.

٢٨٤() الإتقان للسيوطي - ١ / ١٩٥.

٢٨٥() مقاييس اللغة لابن فارس - ٣ / ش دَّ.

٢٨٦() لسان العرب لابن منظور - ٤ / ش د د، وانظر تاج العروس للزبيدي - ٨ / ش د د.

٢٨٧() المعجم الوسيط - ١ / ش د د.

وقد ورد الجمعان "**أَشدّاء وشِداد**" في التنزيل العزيز، ففي قول الله جل ثناؤه: "**أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**"[٢٨٨]. يقول البيضاوي: "وأشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم، والمعنى: أنهم يغلظون على من خالف دينهم، ويتراحمون فيما بينهم"[٢٨٩].

واختير جمع شديد ههنا على أشداء لتتناسب مع الاسم الممدود "**رحماء**" ومراعاة التناسب مطلب قرآني نراه بادياً في نظم الآيات القرآنية، وهو ما تجده أيضاً في قوله تعالى: "**بَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا**"[٢٩٠]، روعيت فيها الفواصل القرآنية لتتناسب مع ما قبلها وما بعدها مهاداً وأوتاداً وأزواجاً وسباتاً ولباساً ومعاشاً وشداداً ووهاجاً إلى آخر السورة، ولا يغيب عنا أن الأول أشداء للمذكر "شديد"، وشداد في الموضع الثاني جمع لمؤنث شديدة، ولو قيل في غير القرآن سبعاً شدائد لفات هذا الغرض، وما يحدثه في نفس السامع وأذنه.

والمعنى في قوله: "**سَبْعًا شِدَادًا**": أقوياء محكمات لا يؤثر فيها مرور الدهر[٢٩١]، أي موصوفة بالشدة والقوة، وفي قوله تعالى: "**ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ**"[٢٩٢]، من قولهم: الشدة: المجاعة، والشدائد: الهزاهز والشدة صعوبة الزمن، والشدة والشديدة من مكاره الدهر، وجمعها: شدائد، فإن كان جمع شديدة فهو على القياس [٢٩٣]، أي إذا جاءت السنون الجدبة تقوت الناس بما ادخروه، وحذف المميز أي سبع سنين شداد لدلالة قوله: "**سبع سنين**" عليه وأسند الأكل إليهن على سبيل المجاز من حيث إنه يؤكل فيها[٢٩٤].

هذا وقد اطرد فعال في كل صفة على فعيل بمعنى فاعل مقترنة بالتاء أو مجردة عنها ككريم وكرام، وكريمة وكرام، ومريض ومراض، ومريضة ومراض[٢٩٥]. يقول سيبويه:

---

[٢٨٨]() سورة الفتح، الآية: { ٢٩ }.
[٢٨٩]() تفسير البيضاوي - ٢ / ٦٨١، وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ١٦ / ٢٩٢، والبحر المحيط - ٨ / ١٠٢.
[٢٩٠]() سورة النبأ، الآية: { ١٢ }.
[٢٩١]() تفسير البيضاوي - ٢ / ٧٨٠، وانظر التحرير والتنوير لابن عاشور - ٣٠/ ٢٣.
[٢٩٢]() سورة يوسف، الآية: { ٤٨ }.
[٢٩٣]() لسان العرب لابن منظور - ٤ / ش د د.
[٢٩٤]() البحر المحيط لأبي حيان - ٥ / ٣١٥، وانظر تفسير البيضاوي - ١ / ٣١٦ , والجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ٩ / ٢٠٤.
[٢٩٥]() شرح ابن عقيل - ٢ / ١٠١.

"فأما ما كان من هذا مضاعفاً فإنه يكسر على "فِعال" كما كسر غير المضاعف، وذلك: شديد وشداد، وحديد وحداد[٢٩٦]، وإذا لحقت الهاء فعيلاً للتأنيث فإن المؤنث يوافق المذكر على فعال، وذلك: صبيحة وصباح، وظريفة وظراف، وكذا شديدة وشداد، وقد يكسر على فعائل كما كسرت عليه الأسماء، وذلك: صبائح وصحائح، وكذا شديدة وشدائد[٢٩٧].

ومن أمثلة جموع الكثرة: فعلاء، وهو مقيس في فعيل بمعنى فاعل صفة لمذكرعاقل غير مضاعف ولا معتل نحو: ظريف وظرفاء، وكريم وكرماء، وينوب عنها في المضاعف والمعتل: أفعلاء نحو: شديد وأشداء، وولي وأولياء[٢٩٨]. يقول سيبويه: "ونظير فعلاء فيه "**أفعلاء**"، وذلك: شديد وأشداء، ولبيب وألباء، وشحيح وأشحاء، وإنما دعاهم إلى ذلك إذ كان مما يكسر عليه فعيل كراهية التقاء المضاعف[٢٩٩].

ومن ثم فقد اختص المذكر بأفعلاء " **أشداء** " والتي انفرد به النص القرآني، إذ كان الحديث عن النبي ﷺ والذين آمنوا معه، كما اختص المؤنث بفعائل فقالوا: شديدة وشدائد وإن كان الأصل فيه أنه جمع لكل اسم رباعي بمدة قبل آخره بالتاء، كصحيفة وصحائف، وحلوبة وحلائب، فخرج بالاسم الوصف إلا أنهم أجروها مجرى الأسماء فكسروها تكسيره، وهو قليل على ما يفهم من قول سيبويه سابقاً.

واشترك كل من المؤنث والمذكر في "**فِعال**" فقالوا: رجال شداد، وفي القرآن الكريم: "**سَبْعٌ شِدَادٌ**"، و "**سَبْعًا شِدَادًا**"، إذ كان وصفاً يستوي فيه المذكر والمؤنث، وإنك لتلحظ أن القرآن الكريم لم يستخدم الجمع المشترك بين المذكر والمؤنث "**شداد**" في كلٍ بل قصر المذكر على أشداء في موضع الفتح وأفرد المؤنث على فِعال في موضعي يوسف والنبأ السابقين.

هذا والثلاثي المزيد "**فِعال وفَعال وفعيل وفعول وفُعال**" تجمع في القلة على "**أفعلة وفِعلة**"[٣٠٠]، ولفظ شديد مذكراً ومؤنثاً لم يرد فيه جمع قلة عن العرب، إذ لم يضعوا له بناء

---

[٢٩٦]() الكتاب لسيبويه - ٣ / ٣٣٤.
[٢٩٧]() السابق - ٣ / ٣٣٦.
[٢٩٨]() شرح ابن عقيل - ٢ / ١٠٤.
[٢٩٩]() الكتاب لسيبويه - ٣ / ٦٣٤.
[٣٠٠]() الفوائد والقواعد للثمانيني / ٦٦٨.

من الأبنية السابقة، حيث اقتصروا فيه على بناء الكثرة، والقلة داخلة في حكمه إذا كان الوضع فيهما عند العرب على السواء، ويفرق بينهما بالدليل من خلال السياق، فهو الذي يكشف عن اختصاص أحد البناءين بمعنى الكثرة أو القلة، وبالنظر في سياق بناء" **أشداء**" من موضع سورة الفتح تجد أن المقصود به معنى الكثرة وضعاً حقيقياً لا مجازياً، فالذين آمنوا مع النبي محمد ﷺ من الكثرة بمكان بالإضافة إلى أنها جاورت لفظ الكفار، وبناؤه موضوع للكثرة فناسب بينهما، ثم على نفس المنوال جاءت "**رُحَمَاء**" في سياقها القرآني، إذ إن بناءها هو الأصل في جمع فعيل أعني فعلاء كرحيم ورحماء، وظريف وظرفاء، وقد نابت أفعلاء عنها إذ كان بناؤها هو الآخر وصفاً في فعيل بمعنى فاعل كصحيح وأصحاء، وكذا شديد وأشداء، فألفاظ الآية الكريمة كلها تجري على هذا النسق البديع، ففيها أصل البناء **(رحماء)** فعيل وفعلاء، وكذا ما نابت عن بنائه الأصلي "**أشداء**" فعيل وأفعلاء، فلو ذهبت تبدلها بأخرى حتى ولو كانت صنوها "**شداداً**" ما قامت مقامها ولا أدت دورها في سياقها، فسبحان من نظم فأعجز!!.

بينما نجد البناء الآخر "**فعال**" من خلال لفظ "**شِداد**" في موضعيهما من القرآن الكريم "**سَبْعٌ شِدَادٌ**"، و "**سَبْعًا شِدَادًا**" وقع وصفا لسبع، وهو لا يدل بالوضع الحقيقي – لا المجازي – إلا على معنى القلة، إذ كما عرفنا من قبل أن لا صيغة لجمع القلة لهذا البناء، اقتصروا فيه على جمع الكثرة للدلالة على جمع القلة، والسياق هو الذي خلص هذا البناء ههنا لهذا المعنى، بدلالة لفظ "**سبع**" في الآيتين، والذي يدل على أن بناء فعال فيهما موضوع للقلة لا للكثرة، فالسماوات سبع على الحقيقة، والسنون التي أصابت أهل مصر كانت سبعاً على الحقيقة. وإن كنت تلحظ أيضاً أنها وردت بمعنى الكثرة وضعاً حقيقياً في وصف الملائكة الموكلين بالنار في قول الله جل ثناؤه: "**عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ**"[٣٠١].

١٤– شُهَداء – شُهود – أَشْهاد :

الشين والهاء والدال أصل يدل على حضور وعلم وإعلام لا يخرج شيء من فروعه عن الذي ذكرناه[٣٠٢]، وفي المصباح المنير: "..... وشهدت الشيء اطلعت عليه

[٣٠١]() سورة التحريم، الآية: {٦}.
[٣٠٢]() مقاييس اللغة لابن فارس - ٣ / ش ه- د.

وعاينته فأنا شاهد، والجمع أشهاد وشهود مثل شريف وأشراف، وقاعد وقعود، وشهيد أيضاً، والجمع شهداء[٣٠٣].

والشاهد: العالم الذي يبين ما علمه، شهِد شهادة، ورجل شاهد، وكذلك الأنثى، لأنَّ أعرف ذلك إنما هو في المذكر، والجمع أشهاد وشهود، وشهيد والجمع شهداء، والمشاهدة المعاينة، وشهده شهوداً أي حضره فهو شاهد، وقوم شهود أي حضور، وهو في الأصل مصدر، وشُهَّد أيضاً مثل راكع وركع، والشاهد والشهيد: الحاضر، والجمع شهداء وشُهَّد وأشهاد وشهود[٣٠٤].

وقد ورد في القرآن الكريم في أكثر من جمع، فشهود وردت في قول الله جلَّ ثناؤه: "**وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ**"[٣٠٥]، أي حضور يعني الكفار كانوا يعرضون الكفر على المؤمنين، فمن أبى ألقوه في النار، وفي ذلك وصفهم بالقسوة ثم بالجد في ذلك، وقيل :"**على**" بمعنى "**مع**" أي وهم مع ما يفعلون بالمؤمنين شهود[٣٠٦]، ومعنى شهادتهم على إحراق المؤمنين أنهم وُكلوا بذلك، وجعلوا شهوداً يشهد بعضهم لبعض عند الملك أن أحداً منهم لم يفرط فيما أمر به، وفوض إليه من التعذيب، ويجوز أن يراد أنهم شهود على ما يفعلون بالمؤمنين يؤدون شهادتهم يوم القيامة[٣٠٧]، فيشهدون يوم القيامة بما تشهد به عليهم أيديهم وأرجلهم على أنفسهم بهذا الظلم، ويشهد بعضهم على بعض ويعادي بعضهم بعضاً، ويحيل كل على الآخر طمعاً في النجاة[٣٠٨]. وقال الطبرسي: " شهود " أي حضور ..... الشهود جمع الشاهد، وهم كل حاضر على ما شهدوه إما بسمع أو بصر[٣٠٩]، فهم مشاهدون

---

[٣٠٣]() المصباح المنير للفيومي - ١ / ش ه- د.
[٣٠٤]() لسان العرب لابن منظور - ٤ / ش ه- د، وانظر المغرب في ترتيب المعرب الشين مع الهاء - ١ / ٤٥٩.
[٣٠٥]() سورة البروج، الآية : { ٧ }. وانظر البحر المحيط لأبي حيان - ٨ / ٤٥٠.
[٣٠٦]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ٢٠ / ٢٩٤، مفاتيح الغيب للرازي ٣١/ ١١١، ١١٢، وتفسير ابن كثير - ٨/ ٣٩٥، والتفسير الوسيط لشيخ الأزهر محمد سيد طنطاوي - ١٥/ ٣٤٥.
[٣٠٧]() الكشاف للزمخشري - ٤ / ٧١٨، وانظر التحرير والتنوير لابن عاشور - ١٥ / ٢٤٣، وتفسير البيضاوي - ٢ / ٧٩٢.
([٣٠٨]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي - ٢١/ ٣٥٧.
[٣٠٩]() مجمع البيان للطبرسي - ٦ / ٩٣.

لما يفعل بالمؤمنين من عذاب، حضور لا يرقّون لهم لغاية قسوة قلوبهم[٣١٠] ثم إنك لتلاحظ هنا إيثار شهود جمعاً على غيره، فلم يقل شُهَّد أو أشهاد مراعاة للفواصل القرآنية إذ لا يصح وضع غيره هنا لقوله في الفواصل التي قبلها: "**وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣) قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦)**"[٣١١].

والأشهاد جمع الشاهد أيضاً، وقد ورد في قول الله جل ثناؤه: "**أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ**"[٣١٢] الأشهاد يعني الملائكة الحفظة، عن مجاهد وغيره، وعن الضحاك هم الأنبياء والمرسلون، وقيل الملائكة والأنبياء والعلماء الذين بلغوا الرسالات[٣١٣]، وَقَالَ قَتَادَةُ وَمُقَاتِلٌ: الْأَشْهاد الناس كما يقال على رؤوس الأشهاد، يعني على رؤوس النَّاسِ[٣١٤].

وفي قول الله جل ثناؤه: "**إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ**"[٣١٥] ذكر القرطبي أن المقصود بهذا اليوم: "يوم القيامة "، و قال زيد بن أسلم: الأشهاد أربعة: الملائكة، والنبيون، والمؤمنون، والأجساد. وبيَّن مجاهد والسدي أن الأشهاد هم الملائكة، تشهد للأنبياء بالإبلاغ، و تشهد على الأمم بالتكذيب. وقال قتادة: الملائكة والأنبياء. ثم قيل: الأشهاد جمع شهيد مثل: شريف وأشراف، وذكر الزجاج أن الأشهاد جمع شاهد مثل: صاحب وأصحاب. وقال النحاس: ليس باب فاعل أن يجمع على أفعال ولا يقاس عليه، ولكن ما جاء مسموعاً أدَّى كما سمع، وكان علي حذف الزائد[٣١٦]؛ وإنما لم ينقس لأن أفعالاً حقه أن يكون جمعاً للأسماء الثلاثية على أي وزن كانت كجمل وأجمال،

([٣١٠]) روح المعاني للألوسي - ١٥/ ٢٩٩

[٣١١]() سورة البروج، الآيات : { ٢ - ٦ }.

[٣١٢]() سورة هود، الآية : { ١٨ }

[٣١٣]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ٩ / ١٨، وانظر مجاز القرآن لأبي عبيدة - ١ / ٥١ , والدر المنثور للسيوطي - ٧ / ٢٩٣.

([٣١٤]) مفاتيح الغيب للرازي - ١٧/ ٣٣١، وانظر روح المعاني للألوسي - ٦/ ٢٣١.

[٣١٥]() سورة غافر، الآية: {٥١}.

[٣١٦]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ١٥ / ٣٢٢ - ٣٢٣ , وانظر البحر المحيط لأبي حيان - ٥/ ٢١٢ ، ٧ / ٤٧٠ ، وفتح القدير للشوكاني - ٤ / ٣٧٠٦، والمحرر الوجيز لابن عطية - ٤ / ٦٣٠ .

وكبد وأكباد، وعنق وأعناق، وثوب وأثواب، وشذ من الصفات جمع شهيد وعدو وجلف على أشهاد وأعداء وأجلاف[٣١٧]، وحكى ابن عطية[٣١٨] اختلاف العلماء في رد هذا الجمع إلى مفرده، جمع شاهد أو شهيد، وذكر الألوسي أن الأشهاد جمع شاهد بمعنى حاضر- كصاحب وأصحاب- بناء- على جواز جمع فاعل على أفعال، أو جمع شهيد بمعناه كشريف وأشراف[٣١٩]، وقد قيل: أشهاد جمع شَهْد بالسكون اسم جمع كركب وصحب[٣٢٠].

وعطف **(وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ)** وهو جمع قلة على **(فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)** يكشف لنا أن نصر الله لرسله وتأييده لهم وللطائفة المؤمنة معهم ليس مقصورا على الدنيا فحسب بل يشمل يوم القيامة أيضا، عندما يقوم الأشهاد من الأنبياء والملائكة وسائر المقربين، وإنك لتلحظ أنه جئ بجمع القلة (أشهاد) هنا ليناسب حال الرسل في دعوتهم، وما يكون عليهم حالهم من ضعف وقلة الأتباع من المؤمنين بصدق دعوتهم، وقد جاءت الآية بعد بيان ما حاق بآل فرعون من سوء العذاب ثم تلتها ما آل إليه أمر موسى ﷺ وقومه **(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ)**[٣٢١] فلقد نصرنا موسى رسولنا مع إبراق فرعون وإرعاده ووعيده، عطف عليه قوله دالاً على الكرامة والرحمة، مؤكداً لإزالة ما استقر في النفوس من أن ملوك الدنيا لا يغلبهم الضعفاء[٣٢٢].

فضلا عن أن الأشهاد إذا ما قورنوا بأهل المحشر يوم القيامة فإن عددهم قليل للغاية، فهم على حد قول البقاعي كالشعرة البيضاء في الثور الأسود، وإنما عبر بذلك إشارة إلى أهل الحكم بصفات الجبروت للقسط، فيرفع أولياءه بكل اعتبار، ويهين أعداءهم كل إهانة في الدنيا والآخرة يوم يقوم الأشهاد، جمع شهيد، وفيه إشارة إلى أن شهادتهم بليغة في بابها، لما لهم من الحضور التام، وإلى ذلك يشير تذكير الفعل والتعبير بجمع القلة[٣٢٣].

---

[٣١٧]() جامع الدروس العربية للغلايني - ٤ / ٢.
([٣١٨]) المحرر الوجيز لابن عطية - ٤ / ٥٦٤.
([٣١٩]) روح المعاني للألوسي ٦ / ٢٣١.
[٣٢٠]() الكليات لأبي البقاء (فصل الشين) - ١ / ٨٣٢ ، وانظر الصحاح للجوهري - ٢ / ش ه- د.
[٣٢١]() سورة غافر، الآية: {٥٣}.
([٣٢٢]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعى ١٧/ ٨٩.
([٣٢٣]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي / ١٧، ٨٧، ٨٨.

هذا ويقال للشاهد شهيد ويجمع على شهداء[٣٢٤]، وقد ورد في قول الله تعالى: "**وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**"[٣٢٥]، أي استصرخوا كل من يعتد بحضوره من هؤلاء الشهداء، الذين يكثرون الحضور لديكم وتستبصرون بما حضروه وشهدوا عليه، ممن تقدرون على دعائه من الموجودين بحضرتكم في بلدتكم أو ما قاربها[٣٢٦]، والمعنى عند ابن عباس: يعني أعوانكم وأنصاركم الذين يظاهرونكم على تكذيبكم، وسمي أعوانكم شهداء لأنهم يشاهدونهم عند المعاونة، والشهيد يكون بمعنى الشاهد كالجليس والأكيل، ويسمى الشاهد على الشيء لغيره بما يحقق دعواه بأنه شهيد أيضاً[٣٢٧].

١٥- شّهْر - أَشْهُر:

الشَّهْر واحد الشهور[٣٢٨]، قيل معرب، وقيل عربي مأخوذ من الشهرة، وهي الانتشار، وقيل الشهر الهلال سمي به لشهرته ووضوحه، ثم سميت الأيام به، وجمعه شهور وأشهر[٣٢٩]، وقد ورد الجمعان في القرآن الكريم، ففي قوله تعالى: "**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ**"[٣٣٠] معناه وقت الحج هذه الأشهر، والأشهر المعلومات شوال، وذي القعدة، وعشر من ذي الحجة[٣٣١] ولفظ الأشهر قد يقع على شهرين وبعض الثالث لأن بعض الشهر يتنزل منزلة كله، كما يقال: رأيتك سنة كذا، أو على عهد فلان ولعله إنما رآه في ساعة منها، فالوقت يذكر بعضه بكله، كما قال النبي ﷺ: "**أيام من ثلاثة**" وإنما هي يومان وبعض الثالث. ويقولون: رأيتك اليوم، وجئتك العام. وقيل: لما كان الاثنان وما فوقها جمع

---

[٣٢٤]() لسان العرب لابن منظور - ٤ / ش ه- د.

[٣٢٥]() سورة البقرة، الآية : { ٢٣ }.

[٣٢٦]() نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي - ١/ ١٦٤، ١٦٥، وانظر روح المعاني للألوسي - ١/ ١٩٧.

[٣٢٧]() مجمع البيان للطبرسي - ١ / ١٣٦ , وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ١ / ٢٣٢ - ٢٣٣، والمحرر الوجيز لابن عطية - ٤ / ٦٠٩ الزمر.

[٣٢٨]() الصحاح للجوهري - ٢ / ش ه- ر.

[٣٢٩]() المصباح المنير للفيومي - ١ / ش ه- ر, وانظر لسان العرب لابن منظور - ٤ / ش ه- ر، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير - ٢ / ٤٦٠، والقاموس المحيط للفيروزآبادي - ٢ / ش ه- ر.

[٣٣٠]() سورة البقرة، الآية: { ١٩٧ }.

[٣٣١]() معاني القرآن للفراء - ١ / ١١٩ بتصرف، وانظر تفسير البيضاوي - ١ / ٤٢، والبحر المحيط - ٢ / ٨٤.

قال أشهر[٣٣٢]، ويلاحظ هنا جمع القلة المستخدم في الآية الكريمة ليناسب القليل من العدد" شهرين وبعض الثالث.

هذا وقد ورد الجمع الآخر " **شهور** " في قول الله عز وجل :" **إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا**"[٣٣٣] أي عدد شهور السنة في حكم الله وتقديره اثنا عشر شهراً، وإنما تعبد الله المسلمين أن يجعلوا سنيهم على اثنى عشر شهراً ليوافق ذلك عدد الأهلة ومنازل القمر دون ما دان به أهل الكتاب، والشهر مأخوذ من شُهرة الأمر لحاجة الناس إليه في معاملاتهم، ومحل ديونهم وحجهم وصومهم، وغير ذلك من من مصالحهم المتعلقة بالشهور[٣٣٤].

قال القرطبي: "قوله تعالى: "**إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ**" جمع شهر، فإذا قال الرجل لأخيه لا أكلمك الشهور، وحلف على ذلك فلا يكلمه حولاً، قاله بعض العلماء، وقيل: لا يكلمه أبداَ. ابن العربي: "وأرى إن لم تكن له نية أن يقتضي ذلك ثلاثة أشهر لأنه أقل الجمع الذي يقتضيه صيغة فعول في جمع فعل"[٣٣٥].

وإنك لتلحظ أن كلا الجمعين ناسبا من حيث القلة والكثرة السياق والموضع الذي وردا فيه, وجاء على ما عليه القياس في اللغة، فأفعل "أشهر من جمع لفَعْل قياساً مضطرداً دال على القلة، إذا كان مفتوح الفاء ساكن العين سالماً من الياء والواو تقول: كعب وأكعب، وبحر وأبحر، وفلس وأفلس، وكذا شهر وأشهر[٣٣٦]، ولما كانت شهور الحج ثلاثة "شهران وبعض الثالث" على ما تبين سابقاً، والثلاثة قلة اقتضى ذلك أن يجمع الشهر على أشهر ليتناسب الجمع مع المعنى.

---

[٣٣٢] () الجامع لأحكام القرآن - ٢ / ٤٠٥، وانظر مجمع البيان للطبرسي - ١ / ١٥٨، والبحر المحيط - ٢ / ٨٤ والنهر الماد على هامش البحر المحيط - ٢ / ٨٤ وكتاب الدر اللقيط من البحر المحيط للإمام تاج الدين الحنفي - ٢ / ٨٤ - ٨٥ على هامش البحر المحيط لأبي حيان.

[٣٣٣] () سورة التوبة، الآية : { ٣٦ }.

[٣٣٤] () مجمع البيان للطبرسي - ٣ / ٥٦.

[٣٣٥] () الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ٨ / ١٣٢ .

[٣٣٦] () الفوائد والقواعد للثمانيني / ٦٦١ بتصرف، وانظر المقتضب للمبرد - ٢ / ١٩٣، وشرح ابن عقيل - ٤ / ٩٢ .

وإذا أرادوا الكثرة لجأوا إلى جمع فَعْل على فعول جمعاً قياسياً مضطرداً، كما نراه في جمع الشهر على شهور، ولما كانت عدة السنة اثنى عشر شهراً، وهو عدد كثير ناسبوا جمع الشهر جمع كثرة على فعول, فقالوا: شهور، كما قالوا: "فلس وفلوس، وبحر وبحور، ودرب ودروب، وكعب وكعوب"[٣٣٧].

وقد لخص الفراء الجمعين، فذكر في قوله تعالى:" **فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ**"[٣٣٨] يقال شهر وأشهر، للقليل ما دون العشرة فإذا جزت العشرة فهي الشهور، قال الله ﷻ: "**إن إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا**" فقال "**الشهور**" لما جاوزت العشرة، وقال: "**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ**" لما كانت ثلاثة، وقال: "**منها**" للكثير، "**ومنهن**" للقليل، وذلك قوله: "**مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ**" أي من الاثنى عشر، ثم قال: "**فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ**" يعني في الأربعة الأشهر الحرم فعادت النون على القلة والهاء على الكثرة"[٣٣٩].

١٦- شِيَع - أَشْياع:

الشين والياء والعين أصلان، يدل أحدهما على معاضدة ومساعفة، والآخر على بث وإشادة. **فالأول** : قولهم شَيَّع فلان فلاناً عند شخوصه، ويقال آتيك غداً أو شيعه، أي اليوم الذي بعده، كأن الثاني مشيّع للأول في المضي، والشيعة: الأعوان والأنصار. وأما الآخر فقولهم: شاع الحديث: إذا شاع وانتشر، ومن الباب قولهم في ذلك: له سهم شائع إذا كان غير مقسوم[٣٤٠]. والشيعة: القوم الذين يجتمعون على الأمر، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم بعضاً وليس كلهم متفقين، والشيعة: أتباع الرجل وأنصاره، وجمعها: شيع وأشياع جمع الجمع، ويقال شايعه كما يقال والاهُ من الوَلى[٣٤١] وأصل الشيعة الفرقة من الناس، ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر

---

[٣٣٧]() الفوائد والقواعد للثمانيني / ٦٦٢، وانظر المقتضب للمبرد - ٢ / ١٩٣.

[٣٣٨]() سورة التوبة، الآية: { ٢ }.

[٣٣٩]() الأيام والليالي والشهور للفراء / ٩١، وانظر مجالس ثعلب - ١ / ٢٢٧، المذكر والمؤنث لابن الأنباري - ٢ / ٢٨٣ - ٢٨٤. والبحر المحيط لأبي حيان - ٥ / ٣٩.

[٣٤٠]() مقاييس اللغة لابن فارس - ٣ / ش ي ع.

[٣٤١]() لسان العرب لابن منظور - ٤ / ش ي ع، والصحاح للجوهري ٣ / ش ي ع، والفروق اللغوية لأبي هلال العسكري/ ٢٣٠.

والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد، وقد غلب هذا الاسم على من يتولى عَلياً وأهل بيته ﷺ حتى صار لهم اسماً خاصاً، فإذا قيل فلان من الشيعة عرف أنه منهم، وفي مذهب الشيعة كذا: أي عنده، وأصل ذلك من المشايعة وهي المتابعة والمطاوعة[٣٤٢].

وفِعَل من جموع الكثرة، وهو جمع لاسم على فعلة، نحو: كسرة وكسر، وحجة وحجج، ومرية ومرى[٣٤٣]، وكذا شيعة وشيع، والأشياع جمع الشيعة أيضاً[٣٤٤]، وقيل: الأشياع جمع الجمع[٣٤٥]، يقال: شيعة والجمع شيع، ثم جمعوا شيعاً فقالوا: أشياع[٣٤٦] .

ولقد ورد الجمعان في القرآن الكريم، وفي أكثر من موضع، ففي قول الله جلَّ ثناؤه: "**إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ**"[٣٤٧] أي بدَّدوا دينهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض، وافترقوا فيه[٣٤٨] والمراد اليهود والنصارى في قول مجاهد وقتادة والسدي والضحاك[٣٤٩] لأن النصارى بعضهم يكفر بعضاً، وكذلك اليهود، والنصارى تكفر اليهود، واليهود تكفرهم، وكانوا أمروا بشيء واحد[٣٥٠].

وقيل: عني المشركين، عبد بعضهم الصنم وبعضهم الملائكة، وكل من ابتدع وجا ء بما لم يأمر الله ﷻ به فقد فرق دينه، ومعنى شيعاً: فِرَقاً وأحزاباً وكل قوم أمرهم واحد يتبع

---

[٣٤٢]() لسان العرب لابن منظور - ٤ / ش ي ع، وانظر القاموس المحيط للفيروزآبادي - ٣ / ش ي ع، والمصباح المنير للفيومي - ١ / ش ي ع، والتعريفات للجرجاني - ١٧١ .

[٣٤٣]() شرح ابن عقيل - ٤ / ٩٦, وانظر الكتاب لسيبويه - ٣ / ٥٩٤ .

[٣٤٤]() القاموس المحيط للفيروزآبادي - ٣ / ش ي ع، والتحرير والتنوير لابن عاشور - ٤ / ٣٣٤، وتفسير القاسمي (محاسن التأويل) لمحمد جمال الدين بن محمد قاسم الحلاق القاسمي - ٩/ ٩٧.

[٣٤٥]() المصباح المنير للفيومي - ١ / ش ي ع، وانظر لسان العرب - ٤ / شيع .

[٣٤٦]() مجاز القرآن لأبي عبيدة - ١ / ١٠٣، وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ١٤ / ٣١٨.

[٣٤٧]() سورة الأنعام، الآية : { ١٥٩ }.

[٣٤٨]() تفسير البيضاوي - ١ / ١٩٨، وانظر الأشباه والنظائر للبلخي / ١٥٣ والوجوه والنظائر للداماغاني - ٤٥٩/١.

[٣٤٩]() الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي - ٧ / ١٤٩, وانظر تفسير البيضاوي - ١ / ١٩٨، والبحر المحيط - ٤ / ٢٦٠.

[٣٥٠]() لسان العرب لابن منظور - ٤ / ش ي ع، وانظر تهذيب اللغة للأزهري / ش ي ع.

بعضهم بعضاً فهم شيعاً[٣٥١]، وقال النحاس: "الشيع: الفرق، ومعنى شايعت في اللغة تابعت، وكانوا شيعاً، وكانوا فرقاً كل فرقة يتبع بعضهم بعضاً"[٣٥٢].

ووصف المشركين بأنهم فرقوا دينهم وكانوا شيعاً يؤذن بأنه وصف شنيع إذ ما وصفهم الله به إلا في سياق الذم فيؤذن ذلك بأن الله يحذر المسلمين أن يكونوا في دينهم كما كان المشركون في دينهم[٣٥٣] .

وفي قول الله ﷻ: "**أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ**"[٣٥٤] أي يخلطكم فرقاً متحزبين على أهواء شتى فينشب القتال بينكم[٣٥٥] وهو معنى: "**وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ**" أي بالحرب والقتل في الفتنة[٣٥٦]، والشيع جمع الشيعة بكسر الشين، وهي الجماعة المتحدة في غرض أو عقيدة أو هوى فهم متفقون عليه، وتشتت الشيعة وتعدد الآراء أشد في اللبس والخلط لأن اللبس الواقع كذلك لبس لا يرجى بعده انتظام[٣٥٧].

ولما كان اللبس عن اختلاط في الآراء واختلاط في الأهواء والمشارب جعل معهما لفظ شيع لتبين لنا مدى ما وصل إليه أمرهم من تعصب وتشرذم وتفرق أعقبه تحارب وتقاتل وفتنة، فرسمت الآية الكريمة صورة منفرة لما كانت عليه الأمم السابقة، وبينت ما سيؤول إليه أمرهم وحالهم إن ساروا على نهجهم من تحزب وتشيع، فهو الله القادر على إهلاككم بعذاب من فوقكم، كما أهلك من قبلكم " قوم نوح، وقوم لوط، وأصحاب الفيل" أو من تحت أرجلكم كما أغرق " فرعون، وخسف بقارون"[٣٥٨] .

---

[٣٥١]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ٧ / ١٤٩ - ١٥٠ بتصرف، وانظر تفسير البيضاوي - ١ / ١٩٨، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي - ٣ / ٧٥٠، والنكت والعيون للماوردي - ٣ / ١٩٣، وتفسير القاسمي - ٤ / ٥٥٠.

[٣٥٢]() معاني القرآن للنحاس - ٣ / ٥٣٣.

[٣٥٣]() التحرير والتنوير لابن عاشور - ٥ / ٣٨٤ , ٧ / ١٤٤.

[٣٥٤]() سورة الأنعام، الآية: { ٦٥ }.

[٣٥٥]() تفسير البيضاوي - ١ / ١٧٩، وانظر الجامع لأحكام القرآن - ٧ / ٩، والأشباه والنظائر للبلخي/ ١٥٤ والوجوه والنظائر للداماغاني - ١ / ٤٦١.

[٣٥٦]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ٧ / ٩ . وانظر البحر المحيط لأبي حيان - ٤ / ١٥١.

[٣٥٧]() التحرير والتنوير لابن عاشور - ٧ / ٢٨٤. (طبعة الدار التونسية للنشر – تونس - سنة النشر: ١٩٨٤ هـ).

[٣٥٨]() تفسير البيضاوي - ١ / ١٧٩، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ٧ / ٩ . والبحر المحيط لأبي حيان - ٤ / ١٥١.

وانظر إلى هذه المفردة الفريدة "**شيع**" كيف أدت هذا المعنى البديع في قول الله جل ثناؤه: "**إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا**" أي جعل أهل مصر طوائف وفرقاً كثيرة متناحرة كل فرقة تتشيع إليه وتتعصب لأتباعها، وتعادي الفرقة الأخرى مما يومىء إلى أن فرعون أوقع بين هذه الشيع العداوة والبغضاء والفرقة كيلا يتفقوا عليه، ولكي يسلم له الأمر فينشغلوا فيما بينهم من صراعات عن الاشتغال بالحكم أو بطلبه، وذلك على ما هو معروف في سياسات الملوك والحكام من نشر الفرقة والنزاعات بين الرعية لتظل لهم السيادة والحكم عملاً بمبدأ فرق تسد، لذا كانت النتيجة التالية لكونهم شيعاً متناحرة أنها ضعيفة، فقال جل ثناؤه: "**يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ**"[٣٥٩].

ولعلك تلحظ أن هذا الجمع " **شِيعا** " فيما سبق ورد في الأخبار عن هذه الفرق السالفة، وما وقع بينهما من فرقة واختلاف وفتنة، قصداً من ذلك ضرب المثل، وأخذ العظة والعبرة مما وقع لها فناسب مقام الإخبار عنها أن يجمع لفظ "شيعة" على "شيع" جمع كثرة، لكثرة تعددها وتشعبها.

أما الجمع الآخر "**أشياع**" فقد ورد في أكثر من موضع من آيات الذكر الحكيم، ففي قوله تعالى: "**وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ**"[٣٦٠]. قال المفسرون: "بأشباههم من كفرة الأمم الدارجة، فإنه قد حيل بينهم وبين ما يشتهون من الإيمان والنجاة من الموت"[٣٦١]، والأشياع: المشابهون في النحلة، وإن كانوا سالفين، وأصل المشايعة المتابعة في العمل والحلف ونحوه، ثم أطلقت هنا على مطلق المماثلة على سبيل المجاز المرسل بقرينة قوله: "**من قبل** " أي كما فعل بأمثالهم في الدنيا من قبل، وأما يوم الحشر فإنه يحال بينهم وبين ما يشتهون، وكذلك أشياعهم في وقت واحد. وفائدة هذا التشبيه

---

[٣٥٩] () انظر هذا المعنى في التحرير والتنوير - ١١ / ٤٢٥ وما بعدها، وتفسير البيضاوي - ٢ / ٥١١، والبحر المحيط - ٧ / ١٠٤.

[٣٦٠] () سورة سبأ، الآية: { ٥٤ }.

[٣٦١] () تفسير البيضاوي - ٢ / ٥٧٣. وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ١٤ / ٣١٨، والمحرر الوجيز لابن عطية - ٤/ ٤٢٧، والبحر المحيط لأبي حيان - ٧ / ٢٩٥، والنهر الماد لأبي حيان - ٧ / ٢٨٩ هامش البحر المحيط.

تذكير الأحياء منهم، وهم المشركون من أهل مكة بما حلَّ بالأمم من قبلهم ليوقنوا أن سنة الله واحدة، وأنهم لا تنفعهم أصنامهم التي زعموها شفعاء عند الله[٣٦٢].

وفي قوله جل ثناؤه: "**ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر**"[٣٦٣] أي أشباهكم في الكفر من الأمم الخالية، وقيل أتباعكم وأعوانكم , فهل من متعظ[٣٦٤].

والأشياع جمع شيعة، والشيعة: الجماعة الذين يؤيدون من يضافون إليه، وأطلق الأشياع هنا على الأمثال والأشباه في الكفر على طريق الاستعارة بتشبيههم بأشياع موجودين[٣٦٥]. ولأن مشركي مكة[٣٦٦] هم المعنيون بخطاب التهديد والوعيد لإنكارهم أن يقع عليهم ذلك بين المولى ﷻ حال من سبقوهم من أمثالهم وأشباههم في الكفر والضلال والعناد من الأمم السالفة، وهذا المقصد هو الذي لأجله أكد الخبر بلام القسم وحرف قد "**ولقد أهلكنا**" أما إهلاك من قبلهم فقد وقع وهو معلوم لا يحتاج إلى تأكيد[٣٦٧]، هذا ولما كان القصد ضرب المثل لتستبين حقيقة من كانوا مثلهم في الكفر والضلال مع الأخذ في الحسبان أن المقام مقام تهديد ووعيد لمشركي مكة بأن يلحقهم من الهلاك والعذاب ما لحق غيرهم من الأمم الغابرة إن ساروا على نهجهم، ناسب هذا جمع الشيعة على أشياع جمع قلة، فهم مهما بلغوا من العدة والعتاد والكثرة بمنزلة القلة القليلة صغراً وحقارة أمام بطش الله العزيز الجبار بهم، وبياناً أنهم أيضاً المعنيون بالخطاب مهما بلغوا في العدد والكثرة واغتروا بأنفسهم وهذا فيه من الردع والوعيد ما فيه مما يجعل المخاطب مدركاً أن العقاب أمر محقق وهو نازل بهم لا محالة إن ظلوا على ما هم عليه من كفر وعناد[٣٦٨].

---

[٣٦٢]() التحرير والتنوير لابن عاشور - ٢٢ / ٢٤٥.
[٣٦٣]() سورة القمر، الآية : { ٥١ } .
[٣٦٤]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ١٧ / ١٤٩، وتفسير البيضاوي - ٢ / ٧٠٤.
[٣٦٥]() التحرير والتنوير لابن عاشور - ٢٧ / ٢٢٢
[٣٦٦]() انظر في ذلك الأشباه والنظائر لمقاتل بن سليمان البلخي / ١٥٤ والوجوه والنظائر للداماغاني - ١ / ٤٦٠.
[٣٦٧]() التحرير والتنوير لابن عاشور -٢٧/ ٢٢٢.
[٣٦٨]() السابق - ٢٧ / ٢٢٢، ٢٢٣.

١٧- ضُعَفَاء - ضِعاف:

الضاء والعين والفاء أصلان متباينان يدل أحدهما على خلاف القوة ..... فالأول الضَّعف والضُّعف، وهو خلاف القوة، يقال ضَعُف يضعف ورجل ضعيف وقوم ضعفاء وضعاف[٣٦٩]. وفي الصحاح: "الضَّعف والضُّعف: خلاف القوة، وقد ضعف فهو ضعيف وأضعفه غيره، وقوم ضعاف وضُعَفاء وضَعفة"[٣٧٠]، وجاء ضَعَفة وضَعْفى لأن فعيلا إذا كان صفة وهو بمعنى مفعول جمع على فعلى مثل: قتيل وقتلى، وجريح وجرحى. قال الخليل: قالوا هلكى وموتى ذهاباً إلى أن المعنى معنى مفعول، وقالوا: أحمق وحمقى ..... لأنه عيب أصيبوا به فكان بمعنى مفعول، وشذ من ذلك سقيم فجمع على سقام بالكسر لا على سَقْمى ذهاباً إلى أن المعنى معنى فاعل ولوحظ في ضعيف معنى فاعل فجمع على ضعاف، وضعفة مثل: كافر وكفرة[٣٧١] أي أن ضعافاً مفرده ضعيف، فعيل الأصل فيه أن يجمع على ضعفاء، ولكن لما لاحظوا فيه معنى الفاعل جمعوه على فعال فقالوا ضعاف والضعف قد يكون في النفس وفي البدن وفي الحال[٣٧٢].

وقد ورد الجمعان **(ضعفاء وضعاف)** في القرآن الكريم، ففي قول الله جلَّ ثناؤه: "**وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا**"[٣٧٣] ورد لفظ الضعفاء جمعاً لضعيف، وفيه يقول الزمخشري: "الضعفاء: الأتباع والعوام، والذين استكبروا: ساداتهم وكبراؤهم الذين استتبعوهم وصدوهم عن الاستماع إلى الأنبياء وأتباعهم"[٣٧٤] وقال الألوسي: "الضعفاء: جمع ضعيف والمراد بهم ضعاف الرأي، وهم الأتباع"[٣٧٥].

---

[٣٦٩]() مقاييس اللغة لابن فارس - ٣ / ض ع ف.
[٣٧٠]() الصحاح للجوهري - ٤ / ض ع ف .
[٣٧١]() المصباح المنير للفيومي - ٢ / ض ع ف، وانظر الكتاب لسيبويه - ٣ / ٦٤٧، والمقتضب للمبرد - ٢ / ٢١٧، وشرح ابن عقيل - ٤ / ٩٧، ولسان العرب لابن منظور - ٤ / ض ع ف.
[٣٧٢]() المفردات للراغب الأصفهاني / ض ع ف .
[٣٧٣]() سورة إبراهيم، الآية : { ٢١ } .
[٣٧٤]() الكشاف للزمخشري - ٢ / ٥٢٧ , وانظر البحر المحيط لأبي حيان - ٥ / ٤١٦ , والنهر الماد لأبي حيان - ٥ / ٤١٥ , ومجمع البيان للطبرسي - ٤ / ٢٠٩ , والتحرير والتنوير لابن عاشور - ٧ / ٢١٦ , وتفسير البيضاوي - ١ / ٣٣٩.
[٣٧٥]() روح المعاني للألوسي - ٧ / ١٩٤، وانظر زاد المسير لأبي الفرج الجوزي - ٤ / ٢٧١.

أما ضِعاف جمع ضعيف أيضاً فقد وردت في قول الله تعالى: "**وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا**"[٣٧٦] والضِعاف: جمع ضعيف، وهم الأولاد الصغار[٣٧٧]، وقرأ الجمهور ضعافاً جمع ضعيف، كظريف وظراف، وأما فتحة العين حمزة وجمعه على فعال قياس، وقرأت عائشة والسلمي والزهري، وأبوحيوة وابن محيصن ضعفاء بضم الضاد والمد كظريف وظرفاء، وهو أيضاً قياسي[٣٧٨].

هذا ومن خلال التأمل في موضع الجمعين من آيات القرآن الكريم تجد أن القرآن الكريم استعمل ضعفاء جمع ضعيف في معنى ضعف الرأي والعجز عن الحيلة لصغر أو لكبر سن أو لمرض، فالعجز عن التصرف وحسن التدبير بيّن، أو لاستضعاف غيرهم لهم لتبعيتهم لهم، ولاعتبارهم سفلة ضَعَفة لا يأبه لهم ولا ينزل على رأي لهم. انظر في قوله تعالى: "**وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ**"[٣٧٩] والمعنى: "أيود أحدكم لو كانت له جنة وأصابه الكبر، وله ذرية ضعفاء صغار لا قدرة لهم على الكسب، فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت"[٣٨٠].

وكذا تأمل قوله تعالى: "**لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ**"[٣٨١] أي كالهرمى والزمني، قال أبو حيان: "والضعفاء جمع ضعيف، وهو الهرم, ومن خلق في أصل البنية شديد النحافة والضؤولة بحيث لا يمكنه الجهاد[٣٨٢]، وكذا انظر في قول الله ﷻ: "**فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا**" أي الأتباع جمع

---

[٣٧٦]() سورة النساء، الآية: { ٩ }.
[٣٧٧]() زاد المسير لأبي الفرج الجوزي - ٢ / ١٥، وانظر مجمع البيان للطبرسي - ٢ / ٢٩.
[٣٧٨]() البحر المحيط لأبي حيان - ٣ / ١٧٨، وانظر الكشاف للزمخشري - ١ / ٤٦٨.
[٣٧٩]() سورة البقرة، الآية: ٢٦٦.
[٣٨٠]() تفسير البيضاوي - ١ / ١٦، وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ٣ / ٣١٨ - ٣١٩، والبحر المحيط - ٢ / ٣١٤.
[٣٨١]() سورة التوبة، الآية : {٩١ } .
[٣٨٢]() البحر المحيط لأبي حيان - ٥ / ٨٥ وانظر له النهر الماد هامش البحر المحيط - ٥ / ٨٤.

ضعيف يريد به ضعاف الرأي من السفلة[٣٨٣]. قال ابن كثير: وهم الأتباع لقادتهم وسادتهم وكبرائهم للذين استكبروا عن عبادة الله وحده لا شريك له وعن موافقة الرسل[٣٨٤].

أما ضعاف فقد فسرت فيما سبق على معنى أولاد صغار فحسب كما في موضع النساء" **ذرية ضعافاً**" وكما ترى فإن دلالة الجمع الأول "**ضعفاء**" في القرآن الكريم أوسع وأشمل وأعم من دلالة الجمع الآخر "**ضعاف**".

١٨- ظِلال - ظُلل:

الظِّلّ: نقيض الضَّحِّ، وبعضهم يجعل الظل الفيء، وكل موضع يكون فيه الشمس فتزول عنه فهو ظل وفيء، وقيل: الفيء بالعشي والظل بالغداة، فالظل ما كان قبل الشمس، والفيء ما فاء بعد، وكل شيء أظلك فهو ظلة، ويقال: ظِل وظِلال، وظلة وظلل مثل: قلة وقلل، والظلة والمظلة سواء، وهو ما يستظل به من الشمس، والظلة: الشيء يستتر به من الحر والبرد، وهي كالصفة، والظلة الصيحة، والجمع ظلل وظلال[٣٨٥]، وفي المصباح المنير: "وجمع الظل ظلال وأظلة وظلل"[٣٨٦].

وقد ورد جمع الظلة على الوجهين (ظِلال وظُلَل) في قول الله جلَّ ثناؤه: "**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ**"[٣٨٧]، وقرأ قتادة وأبو جعفر يزيد بن القعقاع والضحاك: "**في ظِلالٍ من الغَمَامِ**". قال القرطبي: "ظُلل جمع ظلة في التكسير كظلمة وظلم، وفي التسليم ظُلُلات . **وأنشد سيبويه:** (للنابغة من الطويل):

إذا الوحش ضمَّ الوحش في ظللاتها * سواقط من حر وقد كان أظهرا

---

[٣٨٣]() تفسير البيضاوي - ١ / ٢٦٤ - ٣٣٩، وانظر الوجوه والنظائر للدامغاني - ٢ / ٣٢ - ٣٣، والأشباه والنظائر للبلخي / ٢٩١.

[٣٨٤]() تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) - ٤/ ٤١٩.

[٣٨٥]() لسان العرب لابن منظور - ٤ / ظ ل ل. وانظر الصحاح للجوهري / ظ ل ل، والمحكم لابن سيده / ظ ل ل.

[٣٨٦]() المصباح المنير للفيومي - ١ / ظ ل ل.

[٣٨٧]() سورة البقرة، الآية: { ٢١٠ }.

وظُلَّات وظِلال جمع ظل في الكثير، والقليل أظلال، ويجوز أن يكون ظلال جمع ظلة مثل قوله: قلة وقلال[٣٨٨]. وقال الزمخشري: جمع ظلل جمع ظلة، وهي ما أظلك، وقرئ : ظلال، وهي جمع ظلة، كقلة وقلال، أو جمع ظل[٣٨٩]. وقال الله تعالى: "**فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُون**"[٣٩٠] جمع ظِل إذ الجنة لا شمس فيها[٣٩١]، وقرأ ابن مسعود، وعبيد بن عمير والأعمشي ويحي وحمزة والكسائي وخلف " **في ظُلّل**" بضم الظاء من غير ألف[٣٩٢]. قال الفراء: وقوله: "**في ظلل**" أراد جمع ظلة وظلل، ويكون أيضاً "ظلالاً" وهي جمع لظلة، كما تقول: حُلَّة وحلل فإذا كثرت فهي الحلال والجلال والقلال، ومن قال في ظِلال فهي جمع ظِل[٣٩٣]، ويحتمل أيضاً أن يكون جمع ظُلّة كبُرمة وبرام وعُلبة وعلاب، فتكون القراءتان بمعنى واحد، وهو الاختيار لأن الأكثر عليه[٣٩٤].

وقال تعالى: "**وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ**"[٣٩٥] الظلال جمع الظل، وهو ستر الشخص ما بإزائه[٣٩٦]، والمعنى ظلال الخلق ساجدة لله تعالى بالغدو والآصال لأنها تبين في هذين وتميل من ناحية إلى ناحية[٣٩٧]. وقال الله جلَّ ثناؤه أيضاً: "**أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ**"[٣٩٨] ظلاله جمع ظل، وإنما جمع وهو مضاف إلى واحد لأنه واحد يراد به الكثرة[٣٩٩].

---

[٣٨٨]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ٣ / ٢٥، وانظر تفسير غريب القرآن لسجستاني - ٣٤ / ٢٠٨، والمحتسب لابن جني - ١ / ١٢٢، والبيت في ديوان النابغة / ٨٩.

[٣٨٩]() الكشاف للزمخشري - ١ / ٢٥١، وانظر البحر المحيط لأبي حيان - ٢ / ١٢٥.

[٣٩٠]() سورة يس، الآية: { ٥٦ } .

[٣٩١]() البحر المحيط لأبي حيان - ٧ / ٣٤٢.

[٣٩٢]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ١٥ / ٤٤.

[٣٩٣]() معاني القرآن للفراء - ٢ / ٣٨٠، وانظر معاني القراءات لأبي منصور الأزهري - ٢ / ٣١٠.

[٣٩٤]() الكشف لمكي - ٢ / ٢١٩، وانظر حجة القراءات لأبي زرعة / ٦٠١ ، والبحر المحيط لأبي حيان - ٧ / ٣٤٢.

[٣٩٥]() سورة الرعد، الآية: { ١٥ }.

[٣٩٦]() مجمع البيان للطبرسي - ٤ / ١٥٤.

[٣٩٧]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ٩ / ٣٠٢.

[٣٩٨]() سورة النحل، الآية : { ٤٨ }.

[٣٩٩]() زاد المسير لأبي الفرج الجوزي - ٤ / ٣٤٣, وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ١٠ / ١١١ .

والظلة أيضاً شيء كهيئة الصفة وعليه حمل قوله تعالى: "**وَإِذا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ**"[٤٠٠] أي لقطع السحاب، وقوله جل ثناؤه: "**لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ**"[٤٠١].

١٩- عِباد - عَبيد:

العين والباء والدال أصلان صحيحان، الأول منهما يدل على الاستعباد والذل، ومنه العبد: وهو المملوك، واستعبدت فلاناً: اتخذته عبداً. ومن الباب البعير المعبَّد: أي المهنوء بالقطران، لأن ذلك يذله ويخفض منه.

والمُعَبَّد: الذلول، يوصف به البعير أيضاً، والطريق المعبَّد: المسلوك المذلل[٤٠٢]، ويقال: فلان عبد بيّن العبودية، وأصل العبودية الخضوع والتذلل، والعبادة في اللغة: الطاعة مع الخضوع[٤٠٣]. **والعبد:** الإنسان حُرَّاً كان أو رقيقاً، يذهب بذلك إلى أنه مربوب لباريه جل وعز، والعبد: المملوك: خلاف الحر، قال سيبويه: هو في الأصل صفة، قالوا: رجل عبد ولكنه استعمل استعمال الأسماء، والجمع أعبد وعبيد، مثل: كلب وكليب، وهو جمع عزيز، وعباد وعُبُد مثل سقف وسُقُف[٤٠٤].

وقد ورد جمع العبد في القرآن الكريم على عباد، وعبيد، ففي قول الله جلَّ ثناؤه: "**وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**"[٤٠٥]، "**وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**"[٤٠٦]، "**وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ** "[٤٠٧]، أي فأعذب ما ليس لي تعذيبه[٤٠٨].

---

[٤٠٠]() سورة لقمان، الآية: { ٣٢ }.
[٤٠١]() سورة الزمر، الآية : { ١٦ }، وانظر المفردات للراغب / ظ ل ل .
[٤٠٢]() مقاييس اللغة لابن فارس - ٤ / ع ب د ، وانظر مجمل اللغة له - ٢ / ع ب د ، والقاموس المحيط - ٢ / ع ب د.
[٤٠٣]() لسان العرب لابن منظور - ٤ / ع ب د، وانظر تاج العروس تاج العروس للزبيدي - ٨ / ع ب د .
[٤٠٤]() المحكم لابن سيده - ١ / ع ب د، وانظر لسان العرب لابن منظور - ٤ / ٤ / ع ب د، وتاج العروس للزبيدي ٨ / ع ب د .
[٤٠٥]() سورة آل عمران،الآية: { ١٨٢ }، سورة الأنفال، الآية : { ٥١ }، سورة الحج، الآية: { ١٠ }.
[٤٠٦]() سورة فصلت، الآية:{ ٤٦ }.
[٤٠٧]() سورة ق، الآية: { ٢٩ }.
[٤٠٨]() تفسير البيضاوي - ٢ / ٦٨٨، وانظر الوسيط في تفسير القرآن المجيد (تفسير الواحدي) - ١ / ٥٢٨، ٢/ ٤٦٦،

والمعنى: وما ربك يا محمد بحامل عقوبة ذنب مذنب على غير مكتسبه، بل لا يعاقب أحداً إلا على جرمه الذي اكتسبه في الدنيا أو على سبب استحقه به منه[٤٠٩] ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد، فعطفت على ما قدَّمت وسببته للعذاب، من حيث نفي الظلم يستلزم العدل المقتضي إثابة المحسن ومعاقبة المسيء[٤١٠].

وإنك لتلحظ أن سائر الآيات السابقة التي ورد فيها جمع عبد على عبيد جمع كثرة ورد الجمع فيها مقروناً بصيغة المبالغة "**ظَلّام**" الدالة على الكثرة في سياقها المنفي، نفي المولى ﷻ عن نفسه الظلم قليله وكثيره، وإذا انتفت المبالغة انتفى غيرها[٤١١]، بمعنى أن ظلاماً صيغة مبالغة من ظالم مثل: قتَّال من قاتل، وعلاَّم من عالم، وضرَّاب من ضارب، والنفي كما ترى في الآيات القرآنية وقع على صيغة المبالغة، ونفي المبالغة لا يترتب عليه نفي الأصل، وهو ظالم، فالوصف الأصلي موجود، كما تنفي مثلاً عن فلان أنه علاَّم فإن هذا يعني نفي الزيادة في العلم المفهومة من المبالغة، ولا يعني نفي الأصل أعني "عالم"، ومن ثم فهل نفي المبالغة "ظلام" عن الذات العلية يعني عدم نفي الأصل "ظالم"؟ تعالى الله عن ذلك، وللإجابة عن ذلك كما سبق، من حيث إن إزالة الإشكال عن التعبير بصيغة المبالغة، إذ الغرض نفي الظلم من أصله، فالله جل وعز نفى ظلمه للعبيد، والعبيد في غاية الكثرة، والظلم المنفي عنهم تستلزم كثرتهم كثرته فناسب ذلك الإتيان بصيغة المبالغة للدلالة على كثرة المنفي عنهم الظلم، إذ لو وقع على كل عبد ظلم ولو قليلاً كان مجموع ذلك الظلم في غاية الكثرة[٤١٢]، أي أنه ناسب بين اللفظين فوردت ظلام مبالغة لكثرة العبيد لفظاً ومعنى. قال البيضاوي: "وظلام للتكثير لأجل العبيد"[٤١٣]، وقيل: إذا نفى الظلم الكثير اتبع القليل ضرورة لأن الذي يظلم إنما يظلم لانتفاعه بالظلم، فإذا ترك الكثير مع زيادة نفعه في حق من يحوز عليه النفع والضرر كان للظلم القليل المنفعة أترك[٤١٤]، ومن ثم تجد جميع الأقوال

---

[٤٠٩] () تفسير الطبري ٢١ / ٤٨٧.
[٤١٠] () تفسير البيضاوي - ١ / ٩٨، وانظر ١ / ٢٤٢ من المصدر نفسه.
[٤١١] () الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ١٥ / ٣٧٠.
[٤١٢] () أضواء البيان للشنقيطي ٧ / ٣٢ بتصرف، وانظر الكشاف للزمخشري ٢ / ٢٢٩.
[٤١٣] () تفسير البيضاوي - ١ / ٢٤٢ ، ٢ / ٤٤٠.
[٤١٤] () البحر المحيط لأبي حيان - ٣ / ١٣١.

تربط بين استخدام القرآن لصيغة من صيغ جموع الكثرة والمعنى المقصود من سياق الآيات التى ورددت فيها، فالله عز وجل من أسمائه الحسنى وصفاته العليا أنه العدل فلا يعاقب إلا على كفر أو ذنب، ومن عدله أن يعاقب المسئ ويكافئ المحسن، فليس الله بظلام للعبيد، ومما قيل في ربط صيغة الجمع بالمعنى وسياق الآية أيضاً: "وقيل: ظلام للتكثير لأجل العبيد، أو لأن العذاب من العظم بحيث لولا الاستحقاق لكان المعذب بمثله ظلاما بليغ الظلم متفاقمه[٤١٥]، وذهب السمين الحلبي إلى أن الأحسن من ذلك كله في توجيه المعنى أن يحمل لفظ " ظلَّلام على النسب لا المبالغة، أي ليس بذي ظلم[٤١٦].

هذا وكما ناسب بين ظلام وعبيد في المعنى ناسب أيضاً في اللفظ بين عبيد وغيره من الألفاظ التي وقعت فواصل في الآيات التي سبقتها أو تلتها، من حيث مجيئها على وزن فعيل مراعاة للفاصلة كما تراه في موضع آل عمران، كما روعي ذلك أيضاً في مواضع الأنفال والحج، وفصلت، وق فضلاً عن مجيء فعيل في مواضع السورة الثلاثة الأخيرة منتهية فاصلتها في بعضها بحرف الدال لتتناسب كلياً مع لفظ عبيد، ففي فصلت: عزيز، حميد، أليم، بعيد، مريب، عبيد، شهيد ..... وفواصل ق: عتيد، تحيد، الوعيد، وشهيد، حديد، عنيد، مريب، مزيد، بعيد، حفيظ، منيب، وكذلك الأمر في موضع سورة الحج، وهو ما يكشف لنا عن السر في إيثار جمع عبد على عبيد هنا واختصاصها دون الجمع الآخر "عباد" يقول أبو حيان: "وناسب لفظ هذا الجمع دون لفظ عباد لمناسبة الفواصل التي قبله مما جاءت على هذا الوزن، كما ناسب ذلك في سورة فصلت، وكما ناسب لفظ عباد في سورة غافر ما قبله وما بعده"[٤١٧].

ولعل في إيثار لفظ عبيد هنا أنه وقع في سياق نفي الظلم عن الحاكم العادل المنزه عن كل نقص، الله جل جلاله، وكلنا عبيد لله، ولفظ العبيد جمع شاع في الرقيق والمماليك، وهم مظنة ذلك لوقوع الظلم عليهم ممن استعبدهم في الدنيا أو من غيرهم، بل العبودية لغير الله، واسترقاق البشر من أكبر ألوان الظلم وأشنعه، ذلك الذي يقع من الإنسان على أخيه

[٤١٥]() الكشاف للزمخشري - ٢/ ٢٢٩، وانظر الدر المصون للسمين الحلبي - ٨/ ٢٣٧.
[٤١٦]() الدر المصون للسمين الحلبي - ٨/ ٢٣٧.
[٤١٧]() البحر المحيط لأبي حيان - ٣ / ١٣١.

الإنسان، ففي لفظ عبيد إشارة لطيفة من أن عبوديتنا لله يكتنفها عدله وحكمته ورحمته مما يشعر المرء بالطمأنينة والرضا، فهو لن يُظلم على نحو ما كان في الدنيا، وإن وقع عليه عقاب من خالقه فبما قدَّمت يداه.

أما الجمع الآخر عباد فقد ورد في مواضع كثيرة من القرآن. قال الله جل ثناؤه: "**وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ**"[٤١٨] **وقوله:" بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ**"[٤١٩]، "**فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا**"[٤٢٠]، **وقوله جل ثناؤه: "وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا**"[٤٢١]، "**وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ**"[٤٢٢]، "**قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ**"[٤٢٣]، "**عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ**"[٤٢٤]، إلى غير ذلك من الآيات القرآنية.

هذا وقد ذكر الخليل أن العامة قد اجتمعت على تفرقة ما بين عباد الله، والعبيد المماليك، فقالوا: هذا عبد من عباد الله، وهؤلاء عبيد مماليك[٤٢٥]، ويقال للمشركين هم عبدة الطاغوت، ويقال للمسلمين عباد الله يعبدون الله[٤٢٦].

والعباد: هم المخلوقون من العقلاء، وهو في الأصل جمع عبد لكن الاستعمال خصه بالمخلوقات، وخصَّ العبيد بجمع عبد بمعنى مملوك[٤٢٧]، أي أن العبد بمعنى عبد الله، أو عبد لله يطلق على الإنسان حراً كان أو عبداً، وجمعه عباد[٤٢٨]، وفي مصادر الوجوه والنظائر: "العباد: المماليك، فذلك قوله في الزمر: "**قُلْ يَا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ**"

---

[٤١٨]() سورة الأنعام ، الآية: { ١٨ }.
[٤١٩]() سورة الإسراء، الآية: { ٥ }.
[٤٢٠]() سورة الكهف، الآية: { ٦٥ }.
[٤٢١]() سورة الفرقان، الآية: { ٦٣ }.
[٤٢٢]() سورة الزمر، الآية: { ٧ }.
[٤٢٣]() سورة الزمر، الآية: { ٥٣ }.
[٤٢٤]() سورة الإنسان، الآية: { ٦ }.
[٤٢٥]() العين للخليل - ١ / ع ب د بتصرف , وانظر تهذيب اللغة للأزهري - ١ / ع ب د، ومقاييس اللغة لابن فارس - ٤ / ع ب د .
[٤٢٦]() لسان العرب لابن منظور- ٤ / ع ب د ، وانظر مقاييس اللغة لابن فارس - ٤ / ع ب د.
[٤٢٧]() التحرير والتنوير لابن عاشور - ٧ / ١٦٥.
[٤٢٨]() السابق - ٢٦ / ٢٩٠ .

يعني مماليكي، وقال في الزخرف: "**وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا**"[٤٢٩]، يعني مماليكه، وقال: "**وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبادِكُمْ**"[٤٣٠]، يعني مماليككم[٤٣١]، فأظهرت الآية الأخيرة: "**من عبادكم**" جواز إطلاق العباد على الأرقاء العبيد، ولكن في تقديري أن جواز ذلك لا يكون إلا بقرينة صارفة للفظ عن المعنى الأول المستعمل فيه في القرآن الكريم غالباً، وهي هنا كما ترى إضافتها إلى المخلوقين المخاطبين "من عبادكم".

ولعلك تلحظ أن لفظ عباد في غالب الاستعمال القرآني يأتي مضافاً إلى لفظ الجلالة "عباد الله" أو إلى ضميره أو اسم من أسمائه الحسنى، كما في "**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا**"، و " **قُلْ يَا عِبادِيَ**"، و "**عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا**"[٤٣٢] و "**فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا**" كأنه قال: عبداً من عباد الله، مما يدل على أن استعمال لفظ عباد جمعاً مختص بالله جلَّ ثناؤه، وهي تعني الإنسان حراً أو عبداً.

والعباد كمصطلح قرآني إذا أضيف إلى اسم الجلالة فإنه يراد به عباد مقربون، قال تعالى: "**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ**"[٤٣٣]، فالعباد المقربون هم المؤمنون هذا في الغالب إلا إذا قامت قرينة تدل على خلاف ذلك، كما في قوله تعالى: "**أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ**"[٤٣٤]، فهذا في غير المؤمنين.

هذا وقد ذهب ابن عطية إلى أنه استقرى لفظ عباد فتبين له أنه جمع عبد متى سيقت اللفظة في مضمار الترفع والدلالة على الطاعة دون أن يقترن بها معنى التحقير وتصغير الشأن، وانظر قوله: "**وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ**"[٤٣٥] و"**بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ**"[٤٣٦] و "**يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم**" وقول الله تعالى على لسان عيسى في معنى الشفاعة والتعريض: "**إِنْ**

---

[٤٢٩]() سورة الزخرف، الآية:{ ١٥ }.
[٤٣٠]() سورة النور، الآية: { ٣٢ }.
[٤٣١]() الأشباه والنظائر لمقاتل سليمان - ٣ / ٢٨٨، وانظر الوجوه والنظائر للدامغاني - ١ / ٧٩.
[٤٣٢]() سورة الإنسان، الآية: {٦}.
[٤٣٣]() سورة الحجر، الآية: { ٤٢ }، وانظر التحرير والتنوير لابن عاشور - ٧ / ١٦٥ .
[٤٣٤]() سورة الفرقان، الآية: { ١٧ }، وانظر التحرير والتنوير لابن عاشور - ٢١ / ٢٣ .
[٤٣٥]() سورة البقرة، الآية: {٢٠٧}.
[٤٣٦]() سورة الأنبيا، الآية: {٢٦}.

تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ"[٤٣٧]، وأما العبيد فيستعمل في تحقيره، ومنه قول امرئ القيس: (من السريع)

قُولا لِدُوْدان عَبيدِ العَصا ❁ ما غَرَّكُم بالأَسَدِ البَاسِلِ[٤٣٨]

ومنه: "**وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**"؛ لأنه مكان تشفيق وإعلام بقلة انتصارهم ومقدرتهم وأنه تعالى ليس بظلام لهم مع ذلك، ولما كانت لفظة عباد تقتضي الطاعة لم تقع هنا، ولذلك أنسب بها في قوله تعالى: "**مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ**"[٤٣٩]، فهذا النوع من النظر يسلك بك سبيل العجائب في فصاحة القرآن العزيز على الطريقة العربية، وأنه تعالى ليس بظلام للعبيد"[٤٤٠].

وتعقب أبو حيان ابن عطية في هذا الرأي فردّه عليه، وعدَّه استقراء ليس بالصحيح، وإنما كثر استعمال عباد دون عبيد لأن فِعالاً في جمع فعل غير اليائي العين قياسيٌ مطرد، وجمع فَعْل على فعيل لا يطرد، قال سيبويه: وربما جاء فعيلاً وهو قليل نحو:" الكليب والعبيد "، فلما كان فعال مقيساً في جمع عبد جاء عباد كثيراً، وأما "**وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**" فحسن مجيئه هنا وإن لم يكن مقيساً أنه جاء لتواخي الفواصل، ألا ترى أن قوله: "**أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ**" وبعده "**قالوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ**"، فحسن مجيئه بلفظ العبيد مراعاة هاتين الفاصلتين، وأما مدلوله فمدلول عباد سواء، وأما بيت امرئ القيس فلم يفهم التحقير من لفظ عبيد إنما فهم من إضافتهم إلى العصا، ومن مجموع البيت[٤٤١]. قلت: رده عليه استقراءه من غير إتيانه بما يجزم الاستقراء مردود، وأما إدعاؤه أن التحقير مفهوم من السياق دون لفظ عبيد فممنوع، ولأنه إذا دار إحالة الحكم بين اللفظ وغيره فالإحاطة على اللفظ أولى[٤٤٢].

---

[٤٣٧]() سورة المائدة، الآية: { ١١٨ }.
([٤٣٨]) البيت في ديوان أمرئ القيس / ١٤١.
[٤٣٩]() سورة آل عمران، الآية: { ٧٩ }.
[٤٤٠]() المحرر الوجيز لابن عطية - ١ / ٤٧٨, وانظر الدر المصون في علم الكتاب المكنون للسمين الحلبي - ٣/ ٢٧٣ - ٢٧٥.
[٤٤١]() البحر المحيط لأبي حيان - ٢ / ٥٠٣ - ٥٠٤، وانظر الدر المصون في علم الكتاب المكنون للسمين الحلبي - ٣/ ٢٧٤، ٢٧٥، وقارن بالكتاب سيبويه - ٣ / ٥٦٨.
[٤٤٢]() الدر المصون في علم الكتاب المكنون للسمين الحلبي - ٣ / ٢٧٥.

٢٠ – عُمْي – عُمْيان:

العَمَى: ذهاب البصر[٤٤٣]، من العينين كلتاهما، والفعل منه عَمِيَ يَعْمَى عَمًى[٤٤٤] يقال: **عَمِي:** فقد بصره فهو أعمى، والمرأة عمياء، والجمع: عُمْي، من باب أحمر، وعميان أيضاً[٤٤٥]. و**العَمَى:** ذهاب نظر القلب، والفعل كالفعل والصفة كالصفة إلا انه لا يبني فِعْلُه على افْعالٌ لأنه ليس بمحسوس، وإنمَا هو على المثل وافْعالٌ إنما هي للمحسوس في اللون والعاهة[٤٤٦]، وكلما ذكر الله ﷻ العَمَى في كتابه فذمَّه فإنما يريد عمى القلب[٤٤٧]، بل لم يعدّ افتقاد البصر في جنب افتقاد البصيرة عَمًى حتى قال: **فَإِنَّها لا تَعْمَى الْأَبْصارُ وَلكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**[٤٤٨] والعمى: ظلمة في العين تمنع من إدراك المبصرات، والفعل منه على "فعِل" بكسر العين، واسم الفاعل على أفعل، وهو قياس الآفات والعاهات[٤٤٩].

وقد جاء في القرآن الكريم: "**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ**"[٤٥٠] جموع كثرة على وزن فُعْل، وهو قياس في جمع فعلاء وأفعل، سواء تقابلا نحو: أحمر وحمراء، أو انفردا لمانع في الخلقة نحو: عدل ورتق، فإن كان الوصف مشتركاً لكن لم يستعملا على نظام أحمر وحمراء، وذلك نحو: رجل آلي وامرأة عجزاء لم ينقس فيه فُعْل بل يحفظ فيه[٤٥١]، وليس الغرض نفي الإدراك عن حواسهم جملة وإنما الغرض نفيها من جهة ما، تقول: فلان أصم عن الخنا، وقال قتادة: صم عن استماع الحق, بكم عن التكلم به، عمي عن الإبصار له[٤٥٢].

---

[٤٤٣]() العين للخليل بن أحمد - ٢ / ع م ي.
(٤٤٤) مقاييس اللغة لابن فارس - ٤ / ع م ي.
[٤٤٥]() المصباح المنير للفيومي - ٢ / ع م ي.
(٤٤٦) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده - ٢ / ع م ى
[٤٤٧]() لسان العرب لابن منظور - ٤ / ع م ي ، وانظر المفردات للراغب الأصفهاني - / ٥٨٨.
(٤٤٨) سورة الحج، الآية: ٤٦، وانظر المفردات للراغب الأصفهاني / ٥٨٨، ونظم الدرر للبقاعي - ٦/ ٢٤٦.
[٤٤٩]() البحر المحيط لأبي حبان - ١ / ٧٥.
[٤٥٠]() سورة البقرة، الآية: { ١٨ }.
[٤٥١]() البحر المحيط لأبي حيان - ١ / ٧٥، والمقتضب للمبرد - ٢ / ٢١٥، وانظر شرح ابن عقيل - ٤ / ٩٥.
[٤٥٢]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ١ / ٢١٤ - ٢١٥ .

وأصل العَمَى: ذهاب الإدراك بالعين، والعمى في القلب مثل العمى في العين آفة تمنع من الفهم، فالعمى يقال في افتقاد البصر والبصيرة[٤٥٣]، **قال الزمخشري:** "كانت حواسهم سليمة، ولكن لما سدوا عن الإصاخة إلى الحق مسامعهم وأبوا أن ينطقوا به ألسنتهم، وأن ينظروا ويتبصروا، جعلوا كأنهم أيفَت مشاعرهم وانتقضت بناها التي بنيت عليها للإحساس والإدراك"[٤٥٤].

والجمع الآخر ورد في قول الله ﷻ: "**وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا**"[٤٥٥]، وهما حالان من الضمير "**يَخِرُّوا**" مراد بهما التشبيه بحذف حرف التشبيه، أي يخرون كالصمّ والعميان في عدم الانتفاع بالمسموع من الآيات والمبصر منها مما يذكّرون به[٤٥٦].

وعميان قياس في نظائره، إذ كل ما كان على **(أفعل – فعلاء)** صفة في الألوان والخلق نحو: أعور وعوراء، وأحول وحولاء، وأعرج وعرجاء، وأعمى وعمياء، وأحمر وحمراء، وأسود وسوداء يكسر على "**فُعْل وفُعلان**" تقول عور وعوران، وحول وحولان، وعرج وعرجان، وعمي وعميان، وحمر وحمران، وسود وسودان[٤٥٧].

٢١– عُيون – أَعْيُن:

العين والياء والنون أصل واحد صحيح يدل على عضو به يُبْصَر وينظر، ثم يشتق منه. قال الخليل: العين الناظرة لكل ذي بصر، حاسة البصر والرؤية، أنثى تكون للإنسان وغيره من الحيوان، ومن الباب العين: الذي تبعثه يتجسس الخبر، كأنه شيء ترى به ما يغيب عنك، والعين: الجارية النابعة من عيون الماء، وإنما سميت عيناً تشبيهاً لها بالعين الناظرة لصفائها ومائها، ومن الباب قولهم: أعيان القوم، أي أشرافهم، وهم قياس ما ذكرناه،

---

[٤٥٣]() مجمع البيان للطبرسي - ١ / ١٢٠، والمردات للراغب الأصفهاني - / ٢٨٨.
[٤٥٤]() الكشاف للزمخشرب - ١ / ٨٣، وانظر البحر المحيط لأبي حيان - ١ / ٨١ - ٨٢، التحرير والتنوير لابن عاشور - ١ / ٣١٤.
[٤٥٥]() سورة الفرقان، الآية: { ٧٣ } .
[٤٥٦]() التحرير والتنوير لابن عاشور - ٩ / ٨١، وانظر البحر المحيط لأبي حيان - ٦ / ٥١٦، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ١٣ / ٨١، ومجمع البيان للطبرسي - ٥ / ١٣١.
[٤٥٧]() الفوائد والقواعد لعمر بن ثابت الثمانيني / ٦٩٢ - ٦٩٣، وانظر الكتاب لسيبويه - ٣ / ٦٤٤ وشرح ابن عقيل - ٤ / ٩٥.

كأنهم عيونهم التي بها ينظرون، والعين أن تصيب الإنسان بعين، والعين والمعاينة: النظر، وقد عاينه معاينة وأعياناً، ورآه عياناً: لم يشك في رؤيته إياه[٤٥٨]. إلى غير ذلك من المعاني التي يرجع إلى هذا الأصل.

وتجمع العين لغير المضروب أي لغير المسكوك على عيون، وعلى أعين. قال ابن السكيت: وربما قالت العرب في جمعها أعيان، وهو قليل، ولا تجمع إذا كانت بمعنى المضروب إلا على أعيان، يقال هي دراهمك بأعيانها، وهم إخوتك بأعيانهم، وتجمع الباصرة على أعين وأعيان وعيون[٤٥٩] جمعها على أعين "أفعل" جمع قلة، وهو ممن خالف شرط الجمع على أفعل، إذ لم يجمع على أفعل جمعاً قياساً مطرداً إلا كل اسم ثلاثي على فعل صحيح العين نحو: كلب وأكلب، وخرج بصحيح العين المعتل العين نحو: ثوب وعين، وشذ عين وأعين[٤٦٠], والغريب أن يحكم بشذوذه مع وروده في القرآن.

كما جمعوه في الدلالة على الكثرة على "فعول" واطرد فعول في كل اسم على فَعل بفتح الفاء أو كسرها أو ضمها نحو: كعب وكعوب، وضرس وضروس، وجند وجنود[٤٦١].

وقد ورد الجمعان في القرآن الكريم، ففي قول الله جل ثناؤه: "**وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا**"[٤٦٢]، وفي قوله تعالى: "**تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ**"[٤٦٣]، وفي قوله تعالى: "**يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ**"[٤٦٤].

---

[٤٥٨]() مقاييس اللغة لابن فارس - ٤ / ع ي ن، ولسان العرب لابن منظور - ٤ / ع ي ن بتصرف، وانظر العين للخليل - ٢ / ع ي ن وإصلاح المنطق لابن السكيت / ٥٦، وشجر الدر لأبي الطيب اللغوي / ١٦١ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٨٣، والصحاح للجوهري - ٦ / ع ي ن . وأساس البلاغة للزمخشري - ٢ / ع ي ن .

[٤٥٩]() المصباح المنير للفيومي - ٢ / ع ي ن والصحاح للجوهري - ٦ / ع ي ن, ولسان العرب لابن منظور - ٤ / ع ي ن.

[٤٦٠]() شرح ابن عقيل - ٤ / ٩٢ بتصرف، وانظر الكتاب لسيبويه - ٣ / ٥٨٨ - ٥٨٩.

[٤٦١]() السابق - ٤ / ١٠٢, وانظر سر صناعة الإعراب - ٢ / ٦٠٧.

[٤٦٢]() سورة هود، الآية:{ ٣١ }.

[٤٦٣]() سورة المائدة، الآية: { ٨٣ }.

[٤٦٤]() سورة الأحزاب، الآية: { ١٣ }.

ورد لفظ عين مجموعاً جمع قلة على "أعين"، وسنوضح العلة فيما سيأتي، وهو كذلك في قول الله جل ثناؤه: "**وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا**"[٤٦٥]، وقوله تعالى: "**فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا**"[٤٦٦]، وقوله ﷻ: "**تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ**"[٤٦٧].

وجمع الأعين هنا مثل إضافتها إلى الضمير "نا" يدل على أن المراد بالجمع هنا العظمة لا التكثير، "جمع لما اقتضته نون العظمة التي هذا سياقها، وهي ظاهرة في الجمع"[٤٦٨]، فلا يقال هنا أن جمع القلة وضع موضع جمع الكثرة أوالمراد منه الكثرة، فالمتكلم هو الله ﷻ، الواحد الأحد الفرد الصمد، استعمل "نا" مع المفرد المعظم نفسه، حيث وضع الجمع موضع المفرد، يدلك على ذلك قوله تعالى في موضع آخر: "**ولتصنع على عيني**"[٤٦٩] فعبر بالمفرد إذ هو المقصود من معنى عين، وإذا كان الأمر على هذا النحو فالأقرب إلى المفرد هو جمع القلة "أعين" لا جمع الكثرة "عيون" وذلك كله عبارة عن الإدراك والإحاطة، وهو سبحانه منزه عن الحواس والتشبيه والتكييف"[٤٧٠].

ولأن هذه الآيات لها مدخل في الاعتقاد فمن العلماء من فسر الأعين هنا على معنى الرعاية والصيانة والحفظ، ومنهم من ذهب إلى أن المقصود أعين الملائكة المكلفين بالحفظ والرعاية "أضاف ذلك إلى نفسه إكراماً وتعظيماً"[٤٧١]، وعلى هذا المعنى الأخير وضع جمع القلة موضع جمع الكثرة إذ المقصود الكثرة، قال السمين الحلبي: "وقيل: المراد بهم الملائكة تشبيهاً لهم بعيونِ الناس أي: الذين يتفقَّدون الأخبار، والجمع حينئذ حقيقةٌ[٤٧٢] وقيل: بأعيننا

---

[٤٦٥]() سورة هود، الآية: { ٣٧ }.
[٤٦٦]() سورة المؤمنون، الآية : { ٢٧ }.
([٤٦٧]) سورة القمر،الآية : { ١٤ }.
[٤٦٨]() نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي - ١٩ / ٣٨.
[٤٦٩]() سورة طه، الآية: { ٣٩ }.
[٤٧٠]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ٣٠/٩، وانظر الدر المصون للسمين الحلبي - ١٠ / ١٣٥.
[٤٧١]() مجمع البيان للطبرسي - ٣ / ١٤.
[٤٧٢]() الدر المصون للسمين الحلبي - ١ / ٣٢٢.

بأمرنا، وقيل: بوحينا، وقيل بعلمنا إلى غير ذلك[٤٧٣] من الآراء، وهي كلها كما ترى تدل على مبالغة في الحفظ والرعاية على طريق التمثيل[٤٧٤].

وفي قول الله جل ثناؤه :" **أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا**"[٤٧٥]، وردت أعين مراداً بها جمع القلة، وذكر اللحياني أن أعيناً قد يكون جمع الكثير أيضاً، قال الله ﷻ: "**أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا**"، وإنما أراد الكثير[٤٧٦]. قلت: أريد بها هنا القلة معنى ولفظاً، ولا مدخل لمعنى الكثرة ههنا، إذ لا يمنع أن يقال مثلاً في غير القرآن الكريم: **ألهم عيون يبصرون بها !!** فالعلة هنا على غير ما ذكر اللحياني وستتضح فيما سيأتي، فهذه الآية والتي قبلها تتحدثان عن هذه الأصنام التي اتخذوها آلهة من دون الله، وهي لا تملك لهم ولا لنفسها نفعاً ولا ضراً، فهل لها أرجل تمشي بها في قضاء مصالحكم، وهل لها أيدي تتناول بها، وتأخذ وتبطش مثلكم، وتدفع بها عنكم وعنها الأذى، وهل لها هذه الحواس التي لكم من بصر وسمع؟، فهي لا تبصر ولا تسمع، فكيف تتخذونها آلهة !! فالمقام إذن مقام توبيخ وتشنيع، وهنا تلحظ جمال النصّ القرآني في مجئ هذه الجموع كلها على صيغ جموع القلة، تقليلاً لذواتهم وتحقيراً لشأنهم .

ثم انظر إلى سائر الجموع المعقودة معها في عقد الآية الكريمة تجد منها ما ليس له إلا صورة واحدة في الجمع، فلم يعرف لها في كلام العرب جمع كثرة، أعني بذلك لفظي "أرجل، وآذان"، فأرجل قال سيبويه فيه: "لا نعلمه كسر على غير ذلك، وذكر ابن جني أنهم استغنوا فيه بجمع القلة عن جمع الكثرة"[٤٧٧] والأذن جمعها آذان لا يكسر على غير

---

[٤٧٣]() انظر في ذلك الجامع لأحكام القرآن - ٩ / ٣٠، وتفسير البيضاوي - ١ / ٢٩٦، معاني القرآن للفراء - ٢ / ١٣، معاني القرآن للزجاج، والبحر المحيط لأبي حيان - ٥ / ٢٢٠، والوجوه والنظائر للدامغاني - ٢ / ٨٢.

([٤٧٤]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي - ٩/ ٢٨٣.

[٤٧٥]() سورة الأعراف، الآية: { ١٩٥}.

[٤٧٦]() المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده - ٢ / ع ي ن، وانظر لسان العرب لابن منظور - ٤ / ع ي ن.

[٤٧٧]() لسان العرب لابن منظور - ٣ / ر ج ل، وانظر المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده - ٧ / ر ج ل .

ذلك[٤٧٨]، ومن ثم فلو جمعت عيناً هنا على عيون لصارت هذه المفردة كالمنبوذة بين أخواتها أي أن النظم القرآني روعي فيه هذا الجانب من النسق البديع والاختيار الفريد، فناسب بين هذه الجموع كلها، فجيء بها على صورة واحدة من جموع القلة (أرجل، أيد، آذان) وكذا أعين لا تشذ عن هذا الباب.

كما ورد لفظ "عيون" جمع كثرة في أكثر من موضع في القرآن الكريم، ففي قصة إهلاك قوم نوح يقول الله تعالى: "**وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا**"[٤٧٩] ناسب ذلك أن تجمع عين على عيون للدلالة على كثرة الماء، وسياق الآية والتي قبلها يكشف لنا عن هذه العلة المناسبة لاختيار هذا الجمع، فلقد فتح الله أبواب السماء بماء منهمر منصب، وهو مبالغة وتمثيل لكثرة الأمطار وشدة انصبابها، وقرأ ابن عامر ويعقوب ففتحنا بالتشديد لكثرة الأبواب[٤٨٠]، "**وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا**" جعلنا الأرض كلها كأنها عيون منفجرة، وأصله وفجرنا عيون الأرض فغير للمبالغة[٤٨١]، كما تجد جمع عيون يتكرر في مواضع عدة عند الحديث عن المتقين، وما أعده الله لهم في جناته، كما في قوله تعالى: "**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ**"[٤٨٢]، وقوله: "**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ**"[٤٨٣]، وقوله تعالى: "**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ**"[٤٨٤] فالمقام الأمين المناسب للمتقين كونهم في جنات وظلال وعيون، "أي هم في بساتين فيها عيون جارية على نهاية ما يتنزه به"[٤٨٥]، والمراد بالظلال ظلال الأشجار والقصور[٤٨٦] فالآيات مسوقة لبيان ما أعده الله لعباده المتقين من جنات مشتملة على ما يستلذ به من المأكل والمشرب والمنظر.

---

[٤٧٨]() لسان العرب لابن منظور - ١ / أ ذ ن.
[٤٧٩]() سورة القمر، الآية: { ١٢ }.
[٤٨٠]() السبعة لابن مجاهد / ٦١٨، ومعاني القراءات للأزهري - ٣ / ٤٢ ، ٤٣.
[٤٨١]() تفسير البيضاوي - ٢ / ٧٠٢، وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ١٧ / ١٣٢ , ومجمع البيان للطبرسي - ٦ / ٦٨ - ٧٠ ، والبحر المحيط لأبي حيان ٨ / ١٧٧.
[٤٨٢]() سورة الدخان، الآيتان: { ٥١ - ٥٢ } .
[٤٨٣]() سورة الذاريات، الآية : { ١٥ } .
[٤٨٤]() سورة المرسلات، الآية : { ٤١ } .
[٤٨٥]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ١٧ / ٣٥ .
[٤٨٦]() السابق - ١٩ / ١٦٧.

كما وردت أيضاً "**عيون**" في قصة فرعون مصر مع نبي الله موسى عليه السلام وقومه، في قوله تعالى: "**فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ**"[٤٨٧] يعني من أرض مصر كانت الجنات بحافتي النيل في الشقين جميعاً من أسوان إلى رشيد، وبين الجنات زروع[٤٨٨]، والمراد بالعيون عيون الماء أي أخرجناهم من المنازل الحسنة والمجالس البهية[٤٨٩] فناسب ذلك الكثرة كما في قوله تعالى: "**كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ**"[٤٩٠] وكم للتكثير[٤٩١] وعيون وزروع من جموع الكثرة، فسياق الآيات الكريمة يجري على هذا النسق من الكثرة في كل , أي أنهم تركوا كثيراً من جنات وعيون وزروع ومقام كريم، ومحافل مزينة ومنازل حسنة[٤٩٢].

وبعد هذا التطواف على العديد من الآيات القرآنية السابقة تبدت لنا لطيفة من خلال الأسلوب القرآني في استعماله لهذين الجمعين (أعين – وعيون) فأعين تجدها بالنظر في المواضع التي وردت فيها قد خصها الأسلوب القرآني بجمع عين "الجارحة" التي يبصر بها، لاحظ ذلك في: "**تزدري أعينكم**". قال البقاعي: "**(ولا أقول للذين)** أي لأجل الذين **(تزدري)** أي تحتقر **(أعينكم)** أي تقصرون به عن الفضل عند نظركم له وتعيبونه"[٤٩٣] ولاحظ ذلك أيضا في قوله تعالى: "**ترى أعينهم تفيض من الدمع**" وقوله: "**تدور أعينهم**"، وغير ذلك من الآيات التي أوردتها.

بينما "عيون" خصها الأسلوب القرآني بجمع "عين" عين الماء الفوارة من الأرض، لاحظ ذلك في كل الآيات السابقة ومنها: "**وفجَّرنا الأرض عيوناً**" فتفجير الأرض بالعيون يناسبه الكثرة , وكثرة العيون المتفجرة يستتبعه كثرة الماء, فناسب ذلك المجيء بالجمع "عيون" واختصاصه هنا لاسيما وأن المقام والسياق يقتضيان ذلك، حيث إن الآية مسوقة لبيان إهلاك هؤلاء الكافرين المعاندين، وبيان قدرة الله تعالى في إهلاكهم، ففتح أبواب السماء

---

[٤٨٧]() سورة الشعراء، الآية : { ٥٧ } .
[٤٨٨]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ١٣ / ١٠٤، وانظر البحر المحيط المحيط - ٧ / ١٨.
[٤٨٩]() تفسير البيضاوي - ٢ / ٤٨٩.
[٤٩٠]() سورة الدخان، الآيتان: { ٢٥ - ٢٦ }.
[٤٩١]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ١٦ / ١٣٨.
[٤٩٢]() تفسير البيضاوي - ٢ / ٦٥٧.
[٤٩٣]() نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي - ٩/ ٢٧٦.

بماء منهمر وفجر الأرض عيوناً، فالتقى الماءان، ماء السماء وماء الأرض على أمر قد قدره الله من إهلاك قوم نوح بالطوفان .

والذي يدلّك على هذا اللون من الاختصاص ما تبين لنا من النظر في قوله تعالى: "**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ**" فالمقام مقام بيان وتعداد النعم التي امتن الله تعالى بها على عباده المتقين، ويحسن مع ذلك الكثرة، كثرة العيون والظلال، زد على ذلك أن العيون عطفت على ظلال، وظلال جمع كثرة، فناسب أن يكون المعطوف من هذا الباب، حتى يتطابقا في المعنى من حيث الكثرة، بخلاف ما لو قيل في غير القرآن الكريم "**إن المتقين في ظلال وأعين**" لفات النص الكثير من المعنى، ناهيك عن عدم مراعاة المقام، مقام المنعِم الكريم، وهو الله جل ثناؤه، ومقام المنعَم إليه، وهم المتقون.

٢٢- فِتيان - فِتية:

الفِتاء: الشباب، والفَتَى والفَتِيَّة الشباب والشابة،والأفتاء من الدواب: خلاف المسان، واحدها فتِيَ مثل: يتيم وأيتام، والجمع فتيان وفتية وفِتْوة[٤٩٤]، وفي المصباح المنير: "والفتى: العبد، وجمعه في القلة فتية، وفي الكثرة فتيان، والأمة فتاة، وجمعها فتيات، والأصل فيه أن يقال للشاب الحدث فتيَّ ثم استعير للعبد وإن كان شيخاً مجازاً، تسمية باسم ما كان عليه"[٤٩٥].

وقد ورد الجمعان (فِتيان وفِتية) في القرآن الكريم، ففي التنزيل العزيز: "**وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ**"[٤٩٦]، وقرئ "**وقال لفتيته**"، وهي قراءة أهل المدينة وأبي عمرو وعاصم، واختيار أبي حاتم وأبي جعفر النحاس وغيرهما، وقرأ سائر الكوفيين "**لفتيانه**، وهو اختيار أبي عبيد، وقال: هو في مصحف عبد الله كذلك. وقيل: هما لغتان جيدتان، مثل: الصبيان والصبية، وذكر أبو جعفر النحاس أن: "**لفتيانه**" مخالف للسواد الأعظم، لأنه في السواد لا ألف فيه ولا نون، ولا يترك السواد المجتمع عليه لهذا الإسناد المنقطع، وأيضاً فإن

---

[٤٩٤]() لسان العرب لابن منظور - ٥ / ف ت ى، وانظر الصحاح للجوهري - ٦ / ف ت ى، "ومن أمثلة جمع القلة: فِعلة ولم يطرد في شيء من الأبنية، وإنما هو محفوظ ، ومن الذي حفظ منه: فتى وفتية، وشيخ وشيخة ،وغلام غلمة وصبي وصبية " شرح ابن عقيل - ٢ / ٩٥، وانظر الفوائد والقواعد للثمانيني / ٦٧٠ - ٦٧١.

[٤٩٥]() المصباح المنير للفيومي - ٢ / ف ت ى.

[٤٩٦]() سورة يوسف، الآية: { ٦٢ } .

فتية أشبه من فتيان، لأن فتية عند العرب لأقل العدد، والقليل بأن يجعلوا البضاعة في الرحال أشبه، وكان هؤلاء الفتية يسوّون جهازهم، ولهذا أمكنهم جعل بضاعتهم في رحالهم، ويجوز أن يكونوا أحراراً، وكانوا أعواناً له[٤٩٧].

قال مكي: "لفتيانه" على وزن فعلان جعلوه جمع فتى في أكثر العدد، ويقوي ذلك قوله: "**في رحالهم**" فأتى بجمع لأكثر العدد فأخبر بكثرة الخدمة ليوسف، وإن كان الذين تولوا جعل البضاعة في الرحال بعضهم. وقرأ الباقون:" لفتيته " على وزن فعلة جعلوه جمع فتى في أقل العدد؛ لأن الذين تولوا جعل البضاعة في رحالهم يكفي منهم أقلهم، وقد قال: "**إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ**"[٤٩٨]، وقال: "**إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ**"[٤٩٩]، وقد قال "**بأوعيتهم**" فأتى بجمع لأقل العدد، وهو الاختيار لأن المعنى عليه، ولأن أكثر القراء عليه[٥٠٠].

وذهب البيضاوي إلى أن قراءة حمزة والكسائي وحفص "**لِفِتْيَانِهِ**" على جمع الكثرة ليوافق قوله: "**جْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ**" فإنه وكل بكل رحل واحداً يعبي فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام[٥٠١]، وذكر العكبري أن جمع الكثرة ههنا وقع موقع جمع القلة[٥٠٢]، أي أريد به جمع القلة، قلت: لا يمنع أن يراد به الكثرة على نحو ما ذهب البيضاوي من أنه وكل بكل رحل غلام فتى، يقوم على تعبيته، ولجواز أن يكون الواحد منهم معه أكثر من راحلة يحمل عليها الميرة، وهو ما ينبغي أن يكون عليه الاختيار على حد قول ابن خالويه "لأنهم كانوا أكثر من عشرة "، والجمع القليل لما بين الثلاثة إلى العشرة[٥٠٣].

---

[٤٩٧]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ٩ / ٢٢٢ - ٢٢٣، وانظر مجمع البيان للطبرسي - ٤ / ٨٠ - ٨١، والبحر المحيط لأبي حيان - ٥ / ٣٢٢، وإبراز المعاني لأبي شامة الدمشقي / ٥٣٦ وإعراب القرآن لأبي جعفر النحاس - ٢/ ٢٠٧.

[٤٩٨]() سورة الكهف، الآية: { ١٠}.

[٤٩٩]() سورة الكهف، الآية : { ١٣} .

[٥٠٠]() الكشف لمكي - ٢ / ١٢، وانظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري - ٢ / ٢٢٢، وإعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه - ١ / ٣١٢ - ٣١٣ ، وحجة القراءات لأبي زرعة / ٣٦١.

[٥٠١]() تفسير البيضاوي - ١ / ٣١٨.

[٥٠٢]() إملاء ما من الرحمن للعكبري - ٢ / ٥٥.

[٥٠٣]() إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه - ١ / ٣١٢.

وسبق أن أشرت إلى جمع القلة هنا في "فتية" الوارد في قول الله جلَّ ثناؤه: "**إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ**"، وقوله تعالى: "**إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى**" واتفق القراء على قراءته في سورة الكهف "**فتية**" جمع قلة، واختلف في عددهم وهو يدور بين العدد القليل، وقد حكى القرآن الكريم هذا الخلاف، فمنهم قال ثلاثة رابعهم كلبهم، ومنهم من قال خمسة سادسهم كلبهم، ومنهم من قال سبعة وثامنهم كلبهم(٥٠٤).

قال أبو حيان: "والفتية جمع فتى جمع تكسير جمع قلة، وكذلك كانوا قليلين، وعند ابن السراج اسم جمع جمع لا جمع تكسير، ولفظ الفتية يشعر بأنهم كانوا شباباً، وكذا روي أنهم كانوا شباباً من أبناء الأشراف والعظماء"(٥٠٥).

فإن قيل فتى وزانه "فَعَل" مثل: جَمَل، وفَعَل لا تجمع على فِعْلة، فالجواب في ذلك أنه لما وافق غلماناً في الجمع الكثير، وفقوا بينهما في الجمع القليل(٥٠٦) أي كما قالوا في غلام: غلمان وقالوا فتى وفتيان في جمع الكثرة، وكما قالوا أيضاً غلام وغِلمة في القلة على "فِعْلة" وقالوا كذلك فتى وفتية(٥٠٧)، إذ كان المعنى فيهما واحداً فوفقوا بينهما في القلة لتوافقهما في الكثرة من حيث مجيئهما على وزن واحد. أعني "فِعلان" وقد سبق أن ذكر أن "فِعْلة" جمع لم يطرد في شيء من الأبنية، بل هو مقصور على المحفوظ سماعاً عن العرب، ومن الذي حفظ منه: فتى وفتية، وشيخ وشيخة، وغلام غلمة، وصبي وصبية(٥٠٨) وذهب الكسائي والأزهري والكلام للأول إلى أنهما: لغتان مثل: إخوان وإخوة، وصبيان وصبية، وغلمان وغلمة(٥٠٩).

٢٣- الفُجّار ـ الفَجَرَة ، والكُفّار ـ الكَفَرَة:

فَجَر الإنسان يفْجُر فَجْراً وفُجُوراً: انبعث في المعاصي، والفُجَّار جمع فاجر، وهو المنبعث في المعاصي، وفَجُر الرجل بالمرأة يفجر فجوراً: زنى، وفَجَرت المرأة: زنت، ورجل

٥٠٤() انظر هذا الخلاف في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ـ ١٠ / ٣٥٨ ، ٣٥٩، ٣٨٢.
٥٠٥() البحر المحيط لأبي حيان ـ ٦ / ١٠٢.
٥٠٦() إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه ـ ١ / ٣١٣.
٥٠٧() الفوائد والقواعد للثمانيني / ٦٧٠ بتصرف.
٥٠٨() شرح ابن عقيل ـ ٢ / ٩٥، وانظر الفوائد والقواعد للثمانيني / ٦٧٠ ـ ٦٧١ .
٥٠٩() حجة القراءات لأبي زرعة / ٣٦١، وانظر معاني القراءات للأزهري ـ ٢ / ٤٧.

فاجر من قوم فُجَّار وفَجَرة[٥١٠]. الفاء والجيم والراء أصل واحد، وهو التفتح في الشيء. من ذلك الفجر، انفجار الظلمة عن الصبح، ومنه: انفجر الماء انفجاراً: تفتح والفجرة: موضع تفتح الماء، ثم كثر حتى صار الانبعاث والتفتح في المعاصي فجوراً[٥١١].

وأما كفر: فالكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو الستر والتغطية، يقال لمن غطى درعه بثوب: قد كفر درعه، والكافر: مغيب الشمس.

وفي قوله تعالى:"**وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ**"[٥١٢] ورد جمع التكسير " **كوافر**" وهو جمع كافرة، وفاعل يكون اسماً وصفاً، ويكون مذكراً ومؤنثاً، فإن كان اسماً لمؤنث أو صفة لمؤنث جاز أن يجمع على فواعل نحو: نائلة ونوائل، وفاطمة وفواطم، وعاتكة وعواتك، وكذا كافرة وكوافر، فإذا كان فاعل اسماً لمذكر كسر على فواعل قالوا: كاهل وكواهل، وغارب وغوارب وخاتم وخواتم، وإذا كان فاعل صفة لمذكر فإنه يجئ على أمثلة كثيرة[٥١٣] منها ما سبق: فاعل وفعلة، كفاجر وفجرة، وكافر وكفرة، وليس منها البتة فاعل وفواعل وصفاً لمذكر عاقل.

وبناء عليه ففاعل يشترك في بناء فواعل مع المؤنث " **اسماً ووصفاً** " والمذكر إن كان اسما لعاقل أو وصفاً لمذكر غير عاقل كصاهل وصواهل، فإن كان الوصف لمذكر عاقل لم يجمع على فواعل، وشذ فارس وفوارس وسابق وسوابق[٥١٤].

إنما أرادوا بذلك أن يفصلوا بين المذكر والمؤنث لئلا يلتبسا، فقصروا فواعل وصفاً للمؤنث على المؤنث، وبنوا "**فاعلاً**" وصفاً للمذكر على أمثلة كثيرة ليس منها "فواعل"، مثل: فَعلَة، كافر وكفرة، وفعول كشاهد وشهود، وفُعَّل كصائم وصُوَّم، وفُعَّال كنائم ونُوَّام، وفعلان كراعٍ ورعيان، إلى غير ذلك[٥١٥].

---

[٥١٠]() لسان العرب لابن منظور - ٥ / ف ج ر، وانظر القاموس المحيط للفيروزآبادي - ٢ / ف ج ر .

[٥١١]() مقاييس اللغة لابن فارس - ٥ / ف ج ر، وانظر مجمل اللغة لابن فارس - ٢ / ف ج ر.

([٥١٢]) سورة الممتحنة، الآية: {١٠}.

[٥١٣]() الفوائد والقواعد للثمانيني / ٦٧٣.

[٥١٤]() شرح ابن عقيل - ٤ / ١٠٥ وانظر الكتاب لسيبويه - ٣ / ٦١٤ - ٦١٥.

[٥١٥]() انظر هذه الصيغة في الفوائد والقواعد للثمانيني/ ٦٧٣ - ٦٧٤.

وعود على ما بدأنا به في هذا الموضع فقد ذكر أبو حيان في الآية السابقة أن الكرخي قال الكوافر يشمل الرجال والنساء، فقال أبو علي الفارسي: النحويون لا يرون هذا إلا في النساء جمع كافرة، وقال: أليس يقال طائفة كافرة وفرقة كافرة، قال أبو علي فبهت، فقلت هذا تأييد النهي، وهذا الكرخي معتزلي فقيه، وأبو علي معتزلي، فأعجبه هذا التخريج، وليس بشيء لأنه لا يقال كافرة في وصف الرجال إلا تابعاً لموصوفها أو يكون محذوفاً مراداً، أما بغير ذلك فلا يجمع فاعلة على فواعل إلا ويكون للمؤنث[٥١٦]، وهو الرأي الصحيح، ولكنه الغالِبُ. وقد يُجْمَعُ فاعِل وصفُ المذكرِ العاقلِ على فواعِل ولكنه محفوظ ومقصور على السماع، نحو: فوارِس ونواكِس[٥١٧].

وعصم الكوافر ما تعتصم به الكافرة من عقد وسبب جمع عصمة والمراد نهي المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات[٥١٨]، وجاء جمع التكسير "كوافر" دالاً على الكثرة، فضلاً عن أن الكافرات المشركات في زمن النبي ﷺ وفي عهد الدعوة كن من الكثرة بمكان، فناسب ذلك جمعها على فواعل جمع كثرة.

ثم إنه لما جاء فاعل على فَعَّال في الآية الكريمة ذاتها وصفاً خاصاً لمذكر في مقام النهي عن إرجاع المؤمنات إليهم "**فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ**" جاء أيضاً فاعل على فواعل وصفاً خاصاً للمؤنث في مقام النهي عن إمساك الكوافر المشركات، فعادل وناسب بين الجمعين كما تلاحظ، من حيث الكثرة والوصفية ومجيئهما في سياق النهي الدال على تأبيد الحرمة لثبوت الوصف ودوامه.

ويقال للبحر كافر، ويقال أيضا للزارع كافر، لأنه يغطي الحب بتراب الأرض. والكفر ضد الإيمان، سمي بذلك لأنه تغطية الحق، وكذلك كفران النعمة جحودها وسترها[٥١٩].

---

[٥١٦]() البحر المحيط لأبي حيان - ٨ / ٢٥٧، وانظر الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي - ١٠/ ٣٠٧، ٣٠٨.

(٥١٧) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي - ١٠/ ٣٠٨.

[٥١٨]() تفسير البيضاوي - ٢ / ٧٣١.

[٥١٩]() مقاييس اللغة لابن فارس - ٥ / ك ف ر، وانظر مجمل اللغة لابن فارس - ٢ / ك ف ر، ولسان العرب - ٥ / ك ف ر .

وقد وردت هذه الجموع في القرآن الكريم، ففي قول الله جلَّ ثناؤه: " **أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ**"[٥٢٠]، ورد الكفرة جمع الكافر، والفجرة جمع الفاجر، وهو الكاذب المفتري على الله تعالى، وقيل: الفاسق، يقال: فجر فجوراً، أي فسق، وفجر: أي كذب، وأصله: الميل، والفاجر المائل[٥٢١]. وكأن الله ﷻ يجمع إلى سواد وجوههم الغبرة، كما جمعوا الفجور إلى الكفر[٥٢٢].

ولعلك تلحظ أنه لما جمع لفظ الكافر على كفرة في الآية الكريمة جمع فاجر أيضاً على فجرة مراعاة للتناسب بين اللفظين إذ كان هذا هو الأولى والأليق بنظم الآية من الجمع هنا على "فجار"، إذ لو جمع على فجار لفاتت هذه اللطيفة، وهو ما تراه أيضاً جلياً واضحاً مراعاة النظم مع الآيتين السابقتين "غَبَرة – قَتَرة"، والمعنى: الذين خرجوا عن دائرة الإيمان وحدود الشرع ودائرة الإسلام مبالغين أفعالهم هذه، حتى كانوا عريقين في ذلك الكفر والفجور، ولجمعهم بين الكفر والفجور جمع لهم بين الغبرة والقترة[٥٢٣].

والعرب لا تقول : فَعَلة ينوون به الجمع إلا والواحد منه فاعل مثل: كافر وكفرة، وفاجر وفجرة[٥٢٤]، وهو مطرد فيما كان وصفاً على فاعل صحيح اللام لمذكر عاقل نحو قولهم: "ساحر وسحرة "[٥٢٥]، و بار وبررة ، وكذا فاجر وفجرة، وكافر وكفرة.

أما الفجار فقد وردت في قول الله تعالى: "**إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ**"[٥٢٦]، والمراد بالفجار هنا الكفار المكذبون للنبي ﷺ[٥٢٧] وقال تعالى: "**أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ**"[٥٢٨] أي نجعل أصحاب محمد عليه السلام كالكفار. قاله ابن عباس،

---

[٥٢٠]() سورة عبس، الآية: { ٤٢ } .
[٥٢١]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ١٩ / ٢٢٦، وانظر الوجوه والنظائر للدامغاني - ٢/ ١٠٥.
[٥٢٢]() الكشاف للزمخشري - ٤ / ٦٩٢، وانظر تفسير البيضاوي - ٢ / ٧٨٥.
[٥٢٣]() نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي - ٢١/ ٢٧٣.
[٥٢٤]() معاني القرآن للفراء - ٣ / ٢٣٧.
[٥٢٥]() شرح ابن عقيل - ٤ / ٩٧ بتصرف، وانظر الفوائد والقواعد للثمانيني / ٦٧٤، وشرح اللمع للتبريزي / ٣٧٨.
[٥٢٦]() سورة الانفطار، الآية: { ١٣، ١٤ }.
[٥٢٧]() مجمع البيان للطبرسي - ٦ / ٦٠.
[٥٢٨]() سورة ص، الآية : { ٢٨ }.

وقيل: هو عام في المسلمين المتقين والفجار الكافرين، وهو أحسن[٥٢٩]. والفجار: جمع فاجر، وصيغة فُعَّال تطرد في تكسير فاعل المذكر الصحيح اللام. والفاجر المتصف بالفجور، وهو ضد البرور[٥٣٠] .

وقد روعي هنا في موضع سورة الانفطار ما روعي في الجمع " الفجرة " في موضعه من التناسب والتناسق بين الآيات القرآنية وفواصلها، فرأس الآية التي تسبقها ورد جمع التكسير "الأبرار" فناسب بينهما بأن جيء بالفجار هنا لا الفجرة لأجل الأبرار التي قبلها، ثم لاحظ علاقة الضدية بين الجمعين، وما بينهما من ترابط استدعى ذلك مجيئهما على وزن واحد لكى يتم التناسب والتشاكل بينهما لفظا ومعنى.

أما الجمع الأخير من الجموع الأربعة أعني الكفار فقد ورد في قوله تعالى: "**فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ**"[٥٣١]، وفي قوله جلَّ ثناؤه: "**هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**"[٥٣٢].

٢٤- أَكْنان ـ أَكِنَّة:

الكاف والنون أصل واحد يدل على ستر أو صون، يقال كننت الشيء في كِنَّه إذا جعلته فيه وصنته، وأكننت الشيء: أخفيته[٥٣٣]، وفي التنزيل العزيز: "**أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ**"[٥٣٤] أي أخفيتم، وكنَّ الشيء يكنه كناً وكنوناً وأكنة وكنَّنه: ستره، والكنانة: جعبة السهام تتخذ من جلود لا خشب فيها، أو من خشب لا جلود فيها[٥٣٥]، والكِن والكِنَّة والكنان: وقاء كل شيء وستره، والكِن: البيت أيضاً والجمع أكنان وأكنة. قال سيبويه : ولم يكسروه على فُعُل كراهية التضعيف. **والأكنان:** الغيران ونحوها يستكن فيها واحدها كِن والجمع أكنة، وقيل: كنان وأكنة[٥٣٦]، **والأكنة:** الأغطية. قال الله تعالى: "**وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ**

---

[٥٢٩]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ١٥ / ١٩١، وانظر تفسير البيضاوي - ٢ / ٧٠٢.
[٥٣٠]() التحرير والتنوير لابن عاشور - ١٥ / ١٨٢.
[٥٣١]() سورة المطففين، الآية: {٣٤}.
[٥٣٢]() سورة المطففين، الآية : { ٣٦ }.
[٥٣٣]() مقاييس اللغة لابن فارس - ٥ / ك ن.
[٥٣٤]() سورة البقرة، الآية: { ٢٣٥ }.
[٥٣٥]() لسان العرب لابن منظور - ٥ / ك ن ن، وانظر الصحاح للجوهري - ٥ / ك ن ن .
[٥٣٦]() لسان العرب لابن منظور - ٥ / ك ن ن.

يَفْقَهُوهُ"[٥٣٧] والواحد كنان [٥٣٨]، وهو مثل غطاء وزناً ومعنى[٥٣٩]، تقول غطاء وأغطية وكنان وأكنة .

ويتضح من هذا العرض أن الكِن والكنة والكنان أسماء مفردة معناها الكلي العام الستر، والجمع منها ورد على صورتين من جموع القلة " أكنان " على أفعال، كحِمْل وأحمال، و" أكنة " على أفعلة، كسنان وأسنة، وعنان وأعنة، وهو جمع لكل اسم مذكر رباعي ثالثه مدة نحو: قذال وأقذلة، ورغيف وأرغفة، التزم أفعلة في جمع المضاعف أو المعتل اللام من فَعال وفِعال كبَتات وأبتَّة، وزمام وأزمة، وفناء وأفنية[٥٤٠]، وكذا غطاء وأغطية، وكنان وأكنة، والمضاعف إن كانت مدته ألفاً فجمعه على "**فُعُل**" غير مطرد نحو: عنان وعنن، وحجاج وحجج[٥٤١]، وهو ما يفسر لك اقتصارهم على جمعه جمع قلة، فلم يجمع جمع كثرة على "**فُعُل**"، فلم يسمع عنهم كنن كراهية التضعيف على حد قول سيبويه.

وقد ورد الجمعان في القرآن الكريم، ففي قول الله جلَّ ثناؤه: "**وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا**"[٥٤٢] يقول القرطبي: "الأكنان: جمع كِن، وهو الحافظ من المطر والريح وغير ذلك، وهي هنا الغيران في الجبال، جعلها الله عدة للخلق يأوون إليها ويتحصنون بها ويعتزلون عن الخلق فيها[٥٤٣]، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يتعبد بغار حراء، واستتر بغار في جبل ثور هو وصاحبه أبو بكر الصديق عن أعين كفار مكة عندما خرج من مكة مهاجراً إلى المدينة.

وورد الأكنة في قوله تعالى: "**وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ**"[٥٤٤] أي يفهموه والمعنى كراهية أن يفهموه، وليس المعنى أنهم لا يسمعون ولا يفقهون، ولكن لما كانوا لا

---

[٥٣٧]() سورة الإسراء، الآية : { ٤٦ }.
[٥٣٨]() الصحاح للجوهرى - ٥ / ك ن ن، وانظر لسان العرب لابن منظور - ٥ / ك ن ن.
[٥٣٩]() المصباح المنير للفيومي - ٢ / ك ن ن.
[٥٤٠]() شرح ابن عقيل - ٤ / ٩٤، وانظر المقتضب للمبرد - ٢ / ٢٠٤ - ٢٠٧ - ٢١٠.
[٥٤١]() السابق - ٤ / ٩٦.
[٥٤٢]() سورة النحل، الآية: { ٨١ }.
[٥٤٣]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ١٠ / ١٥٩، وانظر تفسير غريب القرآن للسجستاني - / ١٤٥، تفسير البيضاوي - ١ / ٣٦٣، ومجمع البيان للطبرسي ٤ / ١٠٨, ١٠٩ والبحر المحيط لأبي حيان - ٥ / ٥٢٤ والوجوه والنظائر للدامغاني - ١ / ٥٦.
[٥٤٤]() سورة الأنعام ، الآية: { ٢٥ } والآية: { ٤٦ } من سورة الإسراء.

ينتفعون بما يسمعون ولا ينقادون إلى الحق نزلوا منزلة من لا يسمع ولا يفهم، والأكنة الأغطية جمع كنان مثل الأسنة والسنان، والأعنة والعنان[٥٤٥].

وفي قوله تعالى: "**إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ**"[٥٤٦] أي بسبب كفرهم منعنا الإيمان من أن يدخل قلوبهم وأسماعهم[٥٤٧]، وإنك لتجد هذا المعنى أيضاً في قوله تعالى: "**وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ**"[٥٤٨]، أي قلوبنا في أوعية وأغطية، جمع "**كنان**"، كأنهم قالوا: قلوبنا مستورة محجوبة، فليس يصل إليها قولك[٥٤٩].

هذا ومن الملاحظ أن اللغويين والمفسرين يفرقون بين الجمعين في المفرد، فيقصرون جمع أكنان على مفرد كن، وأكنة على مفرد كِنان تبعاً لما تأصل سابقاً عندهم في قياس جمع فِعْل على أفعال، وفعال على أفعلة.

وجاءت الآيات القرآنية السابقة معبرة عن هذا الفرق عندهم أيضاً، كما في موضع النحل "**أكنان**" وموضع الأنعام، والمواضع الأخرى معها "**أكنة**"، يقول الجوهري: "الكِن: السترة، والجمع أكنان، قال الله تعالى: "**وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا**" والأكنة: الأغطية. قال الله تعالى: "**وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً**" الواحد كِنان[٥٥٠].

مع أن فيما سبق في لسان العرب أنهم قالوا: أكنة وأكنان لوقاء كل شيء وستره، كما قالوا للمغار في الجبل أكنان واحدها كن، وتجمع أكنة، وقيل: كنان وأكنة، لاحظ تداخل الجمعين في المفرد **(كن أكنان – كن أكنة – كنان أكنة)** وجمع التكسير" كثير الشذوذ، كثير التداخل"[٥٥١].

ولعلك تلحظ أيضا أن جمع أكنة استخدمه القرآن الكريم فيما يخص معنى سلب الفقه ومنع الفهم والتدبر، بل جعله مقصوراً عليه في كل الآيات التي ورد فيها، بأن جعله الله

---

[٥٤٥]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ٦ / ٤٠٤ بتصرف، وانظر تفسير غريب القرآن للسجستاني / ٧٩، وتفسير البيضاوي - ١ / ١٧٢ - ٢٠٠، والوجوه والنظائر للدامغاني - ١ / ٥٦.

[٥٤٦]() سورة الكهف، الآية: { ٥٧ }.

[٥٤٧]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ١١ / ٥، وانظر تفسير البيضاوي - ١ / ٣٩٥ .

[٥٤٨]() سورة فصلت، الآية: { ٥ }.

[٥٤٩]() الفوائد والقواعد للثمانيني / ٦٧٣.

[٥٥٠]() الصحاح للجوهري - ٦ / ك ن ن.

[٥٥١]() الفوائد والقواعد للثمانيني / ٦٦٨.

تعالى على القلب كالغطاء يستره، وكالوعاء يمنع من دخول الإيمان فيه، كمن يكمن في كِن أو كِنان ليستر، أو ليمنع الأذى عن نفسه، فهو على التشبيه وإن لم يكن ثم كنان على الحقيقة.

بينما نجد الأكنان حمع كن أو كنان اختصها القرآن الكريم بالمعنى الآخر في موضع النحل، اسم للغار يكون في الجبل يستتر فيها المرء عما يضره ويؤذيه، وهو معنى حسي مادي أسبق في الوجود من المعنى الأول العقلي، ولا يبعد أن يكون هذا هو الأصل، وألحق به المعنى الثاني، (غطاء على القلب يمنعه من الفهم) على التشبيه بالكن أو الكنان والكِنَّة بمعنى الغار في الجبل بجامع الستر والإخفاء في كلٍ.

٢٥- مَوْتَى - أَمْوات:

الموت والموتان: ضد الحياة، ورجل مَيِّت ومَيْت، وقوم موتى وأموات، ومِيِّتون . وقال سيبويه: كان بابه الجمع بالواو والنون لأن الهاء تدخل في أنثاه كثيراً لكن فعيلاً لما طابق فاعلاً في العدة والحركة والسكون كسَّروه على ما قد يكسر عليه فأعلَّ كشاهد وأشهاد. والقول في مَيْت كالقول في مَيِّت لأنه مخفف منه، والأنثى ميِّتة ومَيْتة والجمع كالجمع، قال سيبويه: وافق المذكر كما وافقه في بعض ما مضى(٥٥٢).

وقال الفيومي: "والموتى جمع من يعقل والميِّتون مختص بذكور العقلاء والميِّتات بالتشديد لإناثهم، وبالتخفيف للحيوانات كل جمع على لفظ مفرده، والأموات جمع مَيْت مثل: بيت وأبيات. قال تعالى: "**أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا**"(٥٥٣) وقال الله تعالى أيضاً "**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ**"(٥٥٤)، وقال ﷻ: "**أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ**"(٥٥٥).

وقد ورد الجمع الآخر أيضاً في القرآن الكريم، ففي التنزيل: "**إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى**"(٥٥٦) وقال الله تعالى: "**وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى**"(٥٥٧) وقوله: "**وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ**"(٥٥٨).

٥٥٢() لسان العرب لابن منظور - ٦ / م و ت.
٥٥٣() سورة المرسلات، الآية: { ٢٦ }، وانظر المصباح المنير للفيومي - ٢ / م و ت .
٥٥٤() سورة البقرة، الآية: { ٢٨ }.
٥٥٥() سورة النحل، الآية : { ٢١ }.
٥٥٦() سورة النمل، الآية : { ٨٠ }.
٥٥٧() سورة الأنعام، الآية : { ١١١ }.
٥٥٨() سورة الأنعام، الآية : { ٣٦ }.

ولعل في دلالة لفظ أموات من خلال السياق القرآني في الآية الكريمة "**وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ**" من سورة البقرة ما يكشف لنا عن مكنون هذا الجمع "أموات" وما يكتنفه من أكثر من معنى، فهو يتسع لمعنى الموت الحقيقي، المنبئ عن مفارقة الروح الجسد، وما يستتبعه من سكون بعد حركة، ولمعنى الموت المجازي المنبئ عن عدم المنفعة في كل، فقد قال المفسرون في معنى الآية: أي كنتم أمواتاً معدومين قبل أن تخلقوا فأحياكم، عن ابن عباس، وابن مسعود، وقيل "كنتم أمواتاً في أصلاب الرجال وأرحام النساء، ثم نقلكم من الأرحام فأحياكم، وقيل المعنى وكنتم أمواتاً بالخمول فأحياكم بأن ذكرتم وشرفتم بهذا الدين، والنبي الذي جاءكم، ثم يميتكم فيموت ذكركم ثم يحييكم للبعث[٥٥٩]. والعرب تسمى كل امرئ خامل ميتاً، وكل امرئ مشهور حياً، من قولهم فلان مَيِّتُ الذِّكْرِ. وهذا أمر مَيِّت، وهذه سلعة مَيِّتَة، إذا لم يكن لها طالب ولا ذاكر قال المُخَبَّلُ السَّعْدِيُّ: (من الطويل)

وَأَحْيَيْتَ لِي ذِكْرِي وَمَا خَامِلًا ... وَلَكِنَّ بَعْضَ الذِّكْرِ أَنْبَهُ مِنْ بَعْضِ[٥٦٠].

وقيل كيف يتصور منكم الكفر وكنتم أمواتاً أي جهالاً فأحياكم بما أفادكم من العلم والإيمان ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم الحياة الحقيقية[٥٦١].

وغير خاف أن المقصود في قوله تعالى: "**أحياءً وأمواتاً**" معناه الحقيقي، والأمر كذلك أيضاً في الجمع الآخر **(موتى)**[٥٦٢] يدور في استعماله بين الحقيقة والمجاز، ولكن على حسب ما يقتضيه سياق الآيات القرآنية السابقة.

كما يلاحظ أن القرآن الكريم أحياناً يؤثر جمعاً بعينه على الآخر تحقيقاً للانسجام الصوتي ومراعاة للتناسب بين الكلمات، كما في الآية الأخرى، فالجمع "**أموات**" أولى في

---

[٥٥٩]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ١ / ٢٤٩ - ٢٥٠، والبحر المحيط - ١ / ١٣٠ - ١٣١، وتفسير غريب القرآن للسجستاني / ١٢، والوجوه والنظائر - ٢ / ٢١٨.

[٥٦٠]() مفاتيح الغيب للرازي - ٢/ ٣٧٧، وانظر مجمع البيان للطبرسي - ١ / ١٥٥، والبيت في الفاضل للمبرد / ٩٩، وعيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري - ٣/ ١٨٥.

[٥٦١]() تفسير البيضاوي - ١ / ٢٢.

[٥٦٢]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ٦ / ٤١٨ ، ١٣ / ٢٣٢ ، ٧ / ٦٦، ومجمع البيان للطبرسي - ٣ / ٥٥.

الجمع من "**موتى**" لمجاورتها الجمع الآخر "**أحياء**" أو لمقابلتها أحياء كما في قوله: "**أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ**"، فكلاهما على "أفعال".

ولعلك أيضاً تلحظ أن لفظ "**الأموات**" أوثرت في موضع كانت القلة أو التقليل مطلوباً معنوياً يقتضيه سياق القرآن الكريم بياناً لشأن المخاطبين بهذا الجمع من أنهم على كثرتهم في مقدور الله قلة، كما في قوله تعالى: "**أحياءً وأمواتاً** "، وقوله: "**كنتم أمواتاً** " مصداقاً لقوله تعالى: "**مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ** "(٥٦٣).

أو قد يكون الغرض تقليلاً لذواتهم وتحقيراً وتصغيراً لشأنهم كما في قوله: "**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ**" إذ العجب من كفرهم وعنادهم لا يستقيم إلا مع هذا الغرض، أو كما في قوله: "**أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ**".

كما أنك تلاحظ أيضاً أن الكثرة مرعية مع الجمع الآخر أعني "**موتى**" سياقاً ومعنى اقتضاه السياق القرآني، كما ترى في قوله تعالى: "**إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى**"، **وقوله تعالى:** "**وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى**"، وقوله جل ثناؤه: "**وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ**"، فهم على كثرتهم لا يعجزون الله فهو القادر على أن يبعثهم جميعاً، كما أن حال هؤلاء الكفار المعاندين الذين لن يؤمنوا أبداً في عدم سماعهم لدعوتك وقبولهم موعظتك كحال الموتى على كثرتهم مع فقدهم حاسة السمع.

٢٦- نِسْوَة - نِساء:

النِّسوة بكسر النون أفصح من ضمها، والنساء بالكسر: اسمان لجماعة إناث الأناسى الواحدة امرأة من غير لفظ الجمع(٥٦٤). وفي لسان العرب: "النِسوة والنُّسوة بالكسر والضم، والنساء، والنِسوان والنُّسوان: جمع المرأة من غيره لفظه، كما يقال خليفة ومخاض، وذلك وأولئك، والنِسوة. قال ابن سيده: والنساء جمع نسوة إذا كثُرن، ولذلك قال سيبويه في الإضافة إلى نساء نِسوى فرده إلى واحده(٥٦٥).

٥٦٣() سورة لقمان، الآية : { ٢٨ } .
٥٦٤() المصباح المنير للفيومي - ٢ / ن س و.
٥٦٥() لسان العرب لابن منظور - ٦ / ن س و.

وقد ورد لفظ النسوة والنساء في القرآن الكريم . قال الله جلَّ ثناؤه: "**وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ**"[٥٦٦] نسوة بكسر النون فِعْلة، وهو جمع تكسير للقلة لا واحد له من لفظه، وزعم ابن السراج أنه اسم جمع، وذهب الزمخشري إلى القول بأن النسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقي، ولذلك لم تلحق فعله تاء التأنيث، وعلى أنه جمع تكسير لا يلحقه التاء لأنه يجوز قامت الهنود وقام الهنود، وقد تضم نونه فتكون إذ ذاك اسم جمع[٥٦٧].

ويقال: "نُسوة بضم النون، وهي قراءة الأعمش والمفضل والسلمي، والجمع الكثير نساء"[٥٦٨]، وقال تعالى: "**فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ**"[٥٦٩] وذكر القرطبي أن قوله: من النساء دليل على أنه لا يقال نساء إلا لمن بلغ الحُلُم. وواحد النساء نسوة، ولا واحد لنسوة من لفظه ولكن يقال امرأة "[٥٧٠]، وقد سبق أن سيبويه ردَّه إلى مفرده عند الإضافة "نِسْوى" كما سبق أنهما جمعان للمرأة.

٢٧- نُصُب - أَنْصاب:

النون والصاد والباء أصل صحيح يدل على إقامة شيء وانتصاب في استواء، يقال: نصبتُ الرمحَ وغيره أنصِبهُ نصباً، وتيس أنصب وعنز نصباء، إذا انتصب قرناها، وناقة نصباء: مرتفعة الصدر، والنصائب: حجارة تنصب حوالي شفير البئر، ويُسَدَّ ما بينها من الخَصاص بالمَدَرة المعجونة، وغبار منتصب: مرتفع، وصفيح مُنصَّبٌ، أي نصب بعضه إلى بعض[٥٧١] والنَّصْب والنُّصُب: العَلَم المنصوب[٥٧٢].

---

[٥٦٦]() سورة يوسف، الآية: { ٣٠ }.

[٥٦٧]() البحر المحيط لأبي حيان - ٥ / ٢٩٩، وانظر الكشاف للزمخشري - ٢/ ٤٦٢، والدر المصون للسمين الحلبي - ٦ / ٤٧٤، وروح المعاني للألوسي - ٦/ ٤١٦.

[٥٦٨]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ٩ / ١٧٦، وانظر تفسير البيضاوي - ١ / ٣١٣.

[٥٦٩]() سورة النساء، الآية: { ٣ }.

[٥٧٠]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ٥ / ١٥، وانظر البحر المحيط لأبي حيان - ٥ / ٢٩٩.

[٥٧١]() مقاييس اللغة لابن فارس - ٥ / ن ص ب، والصحاح للجوهري - ١ / ن ص ب، وانظر إصلاح المنطق لابن السكيت / ٣٥٠، والقاموس المحيط - ١ / ن ص ب، وتاج العروس للزبيدي - ١ / ن ص ب.

[٥٧٢]() لسان العرب لابن منظور - ٦ / ن ص ب.

ومن الباب أيضاً مفرد نَصْب وأنصاب فالنَّصْب: حجر كان ينصب أي يرفع فيعبد، ويقال هو النُّصُب، وهو حجر يُنْصب بين يدي الصنم تصب عليه دماء الذبائح للأصنام(٥٧٣).

وقد ورد الجمعان في القرآن الكريم، ففي قول الله جل ثناؤه: "**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**"(٥٧٤) ورد الأنصاب جمعاً واحده نَصْب على ما تبين معناه سابقاً، وذكر ابن سيده أن الأنصاب حجارة كانت حول الكعبة، تُنْصب فيُهَلَّ عليها، ويذبح لغير الله تعالى(٥٧٥)، ومعناها بيان لعلة تسميتها لأنها الأصنام أو الأوثان، تنصب للعبادة لها(٥٧٦).

وفي مفرد الأنصاب أكثر من وجه، فذهب الأزهري، ونقله ابن منظور إلى أن النَّصْب والنُّصُب: كل ما عبد من دون الله تعالى، والجمع أنصاب(٥٧٧)، وذهب الأخفش عند قوله تعالى: "**وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ**"(٥٧٨) إلى أن النُّصُب مفرد، وجمعه أنصاب(٥٧٩)، وجوَّز الزجاج أن يكون النُّصُب بالضم واحداً وجمعه أنصاب(٥٨٠). قال الفراء: والنَّصْب واحد، وهو مصدر وجمعه الأنصاب(٥٨١).

أما الجمع الآخر "**نُصُب**" بضمتين، فقد ورد في أكثر من موضع في القرآن الكريم، ففي قول الله جلَّ ثناؤه: "**وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ**" اختلف العلماء فيه بين الإفراد والجمع،

٥٧٣() مقاييس اللغة لابن فارس - ٥ / ن ص ب، وانظر المصباح المنير للفيومي - ٢ / ن ص ب.
٥٧٤() سورة المائدة، الآية: { ٩٠ }.
٥٧٥() المحكم لابن سيده ٨/ ن ص ب، وانظر لسان العرب لابن منظور - ٦ / ن ص ب.
٥٧٦() انظر في ذلك معاني القرآن للفراء - ١ / ٣١٩ تفسير غريب القرآن للسجستاني / ٦٩، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ٦ / ٢٨٦، وتفسير البيضاوي - ١ / ١٦١، ومجمع البيان للطبرسي - ٢ / ١٨٦، والبحر المحيط لأبي حيان - ٣ / ٤٢٤.
٥٧٧() تهذيب اللغة للأزهري - ١٢ / ن ص ب، وانظر لسان العرب لابن منظور - ٦ / ن ص ب.
٥٧٨() سورة المائدة، الآية: { ٣ }.
٥٧٩() معاني القرآن للأخفش - ١ / ٢٧٣.
٥٨٠() لسان العرب لابن منظر - ٦ / ن ص ب.
٥٨١() تهذيب اللغة للأزهري، ١٢ / ن ص ب، وانظر لسان العرب لابن منظور - ١ / ن ص ب.

فذهب الأخفش والزجاج فيما سبق إلى أنها مفرد جمعها أنصاب، وهو ما ذهب إليه الجوهري[٥٨٢].

وقيل النُّصُب جمع نصيبة، والنصيبة كل ما نصب فجعل علماً، فهو كسفينة وسفن، وصحيفة وصحف[٥٨٣]، وحكى ابن منظور، والفيومي قول الزجاج: "النُّصُب جمع واحدها نصاب"[٥٨٤]، وهو جمع مطرد في كل اسم رباعي قبل آخره مدة بشرط كونه صحيح الآخر وغير مضاعف نحو: حمار وحمر، وكراع وكُرُع، وقضيب وقضب[٥٨٥] .

وقد حكى المفسرون أيضاً هذا الخلاف اللغوي، ولخصه غير واحد، فالنُّصب في قوله تعالى: "**وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ**" واحد الأنصاب، وهي أحجار كانت منصوبة حول البيت كان أهل الجاهلية يذبحون عليها، ويعدُّون ذلك قربة، وقيل: هي الأصنام على أن "**على**" على معنى اللام أي لأجل الأصنام، وقيل هو جمع واحده نصاب، كحمار وحُمُر[٥٨٦]، وعند هذا الحد يتبين اختلاف مرجع الجمعين في الإفراد إن قلنا إن الأنصاب جمع نَصْب بالفتح أو الضم، والنُّصُب بضمتين جمع نصيبة، كصحيفة وصحائف، أو جمع نصاب كحمار وحُمُر.

ولكن ثمة قولاً ثالثاً في جمع **نُصُب** يتفق في الإفراد مع جمع أنصاب، يرى القائلون به أن النُّصُب بضمتين جمع نصب بالفتح كسقف وسقف، ورهن ورهن، ويقوى هذا الوجه قراءة طلحة: النُّصب بجزم الصاد، وروي عن ابن عمر "**النَّصْب**" بفتح النون وجزم الصاد، وهي قراءة الحسن[٥٨٧].

---

[٥٨٢]() الصحاح للجوهري - ١ / ن ص ب.

[٥٨٣]() العين للخليل، ٧ / ن ص ب، وانظر تهذيب اللغة للأزهري - ١٢ / ن ص ب، ولسان العرب لابن منظور - ٦ / ن ص ب.

[٥٨٤]() لسان العرب لابن منظور - ٦ / ن ص ب، والمصباح المنير للفيومي - ٢ / ن ص ب.

[٥٨٥]() شرح ابن عقيل - ٤ / ٩٢.

[٥٨٦]() تفسير البيضاوي - ١ / ١٤٠ , والجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ٦ / ٥٧، وانظر البحر المحيط لأبي حيان ٣ / ٤٢٤ , ومجمع البيان للطبرسي - ٢ / ٢١ - ٢٣، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي - ٢٠/ ٤٢٠.

[٥٨٧]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ٦ / ٥٧، ومختصر شواذ القراءات لابن خالويه / ٣٧ . والبحر المحيط لأبي حيان - ٣ / ٤٢٤، وشواذ القرآن واختلاف المصاحف لشمس الدين الكرماني - ١ / ٢١٩، والدر المصون للسمين الحلبي - ١٠ / ٤٦٤.

وهو ما يجرنا إلى الحديث عن الموضع الآخر المذكور فيه لفظ النصب، واختلاف القراءة فيه على الوجه الأخير يقوي ما ذهبنا إليه في القول الثالث، ففي قول الله تعالى: "**كأنهم إلى نصب يوفضون**"[٥٨٨] قرأها ابن عامر وحفص بضم النون والصاد جعلاه جمع "نَصْب" وهو العَلَم كسقف وسقف، وقيل النصب: النصب الغاية، قال أبو عبيده: من قرأ بضمتين جعله جمع "نَصْب" كرهن ورُهن، وسقف وسقف، والنصب: العلم يعني الصنم الذي نصبوه. وقرأ الباقون بفتح النون وإسكان الصاد، جعلوه واحداً، وهو العلم والغاية، فالمعنى: كأنهم إلى غاية يُسرعون[٥٨٩].

ومن الملاحظات التي تبدَّت لي من خلال النظر في هذين الجمعين أن الأنصاب اختصت بموضع المائدة "**إنما الخمر ...**" ولم يقرأ بغيرها، كما اختصت نُصُب بالموضع الآخر"، **وما ذبح على النصب** " ولم يقرأ بغيرها في هذا الموضع إلا ما ورد شاذاً سابقاً، ولعل في هذا الاختصاص ما يكشف لنا عن أكثر من لطيفة في هذا الصدد.

الأولى: أن الأنصاب كانت عند العرب على نوعين: الأول: أنصاب يذبحون عندها "صنم أو حجر كانت الجاهلية تنصبه تذبح عنده فيحمر"[٥٩٠] من كثرة إهراق الدم عليه، وهو الذي عناه النابغة الذبياني في معلقته: (من البسيط)

فَلاَ لَعَمْرُ الَّذِي قَدْ زُرْتُهُ حِجَجاً ... وَمَا هُرِيقَ عَلَى الأَنْصَابِ مِنْ جَسَدِ

وقد علق عليه التبريزي بقوله: "هريق وأريق: واحد، والأنصاب: حجارة كانت الجاهلية تنصبها وتذبح عندها، والجسد هنا: الدم"[٥٩١]، وإن هذا الوجه عندي أولى بالقبول؛ لأنه يوافق ظاهر الآية الكريمة، ولا يحتاج إلى تأويل في قوله تعالى: "**وما ذبح على النصب**"، فهذه هي النصب التي كانوا يذبحون عندها بدلالة قوله تعالى: "**وَمَا ذُبِحَ**"، وبدلالة قوله "**على**" فعلى تفيد الفوقية مما يدل على أنهم كانوا يذبحون فوقها، وما لا تأويل فيه أولى

---

[٥٨٨]() سورة المعارج، الآية: { ٤٣ } .

[٥٨٩]() الكشف لمكي - ٢ / ٢٢٦، وحجة القراءات لأبي زرعة / ٧٢٤ - ٧٢٥، ومعاني القراءات للأزهري - ٣ / ٩٢، والكتاب المختار في قراءات أهل الأمصار لأبي بكر أحمد بن إدريس - ٢ / ٩١٨، والجامع لأحكام القرآن - ١٨ / ٢٩٦

[٥٩٠]() لسان العرب لابن منظور - ٦ / ن ص ب، وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ٦ / ٥٧.

[٥٩١]() شرح القصائد العشر لأبي زكريا التبريزي / ٣١٩، وانظر ملحق على شرح المعلقات السبع للزوزني / ٢٠٣.

بالقبول مما يجعل اللفظ فيه على التأويل، أعني ما قيل سابقاً من أن "**على**" في الآية الكريمة بمعنة اللام، والمعنى: وما ذبح لأجل النصب. يقول ابن عطية: "والنُّصُبِ جمع واحده نصاب، وقيل هو اسم مفرد وجمعه أنصاب وهي حجارة تنصب كل منها حول الكعبة ثلاثمائة وستون، وكان أهل الجاهلية يعظمونها ويذبحون عليها لآلهتهم ولها أيضا وتلطخ بالدماء وتوضع عليه اللحوم قطعا قطعا ليأكل الناس، قال مجاهد وقتادة وغيرهما: النُّصُبِ حجارة كان أهل الجاهلية يذبحون عليها. وقال ابن عباس: ويهلون عليها"[٥٩٢].

أما النوع الثاني من الأنصاب فكانت العرب تنصبها لعبادتها من دون الله، وهي الأوثان والأصنام: "تماثيل تتخذها العرب من خشب أو حجارة أو ذهب أو فضة أو نحاس أو نحوها تنصبها وتعبدها"[٥٩٣]، وهي التي تفهم من النص القرآني عند خطابه المؤمنين وأمرهم باجتناب الخمر والميسر والأنصاب والأزلام لأنها رجس من عمل الشيطان.

يترتب على مباشرتها مفاسد عظيمة من إذهاب العقل وإتلاف المال أو أخذه بالباطل، وقد ينشأ عنها مفاسد أخرى من قتل النفس وشدة البغضاء وارتكاب المعاصي، وقد قال أبو حيان: "وأما الأنصاب فإن كانت الحجارة التي يذبحون عندها وينحرون فحكم عليها بالرجس دفعاً لما عسى أن يبقى في قلب ضعيف الإيمان من تعظيمها، وإن كانت الأنصاب التي تعبد من دون الله فقرنت الثلاثة بها مبالغة في أنه يجب اجتنابها كما يجب اجتناب الأصنام وقد اجتمعت أنواع من التأكيد في الآية منها: التصدير بإنما، وقران الخمر والميسر بالأصنام أي الأوثان إذا فسرنا الأنصاب بها[٥٩٤]، وفي الحديث، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، **قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ** ﷺ: "**مُدْمِنُ الْخَمْرِ كَعَابِدِ وَثَنٍ**"[٥٩٥].

وإذا كانت "النصب" امتازت عن الأنصاب في الموضع الأول من سورة المائدة فإن الأنصاب هي الأخرى انفردت بالموضع الآخر، كضرب من مرعاة الفروق الدقيقة بين

([٥٩٢]) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية - ٢/ ١٥٢.

[٥٩٣]() لسان العرب لابن منظور - ٦ / و ث ن، ٤ / ص ن م، وانظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير - ٥ / ١٣٣.

[٥٩٤]() البحر المحيط لأبي حيان - ٤ / ١٣.

[٥٩٥]() سنن ابن ماجه - ٢ / ١١٢٠، وانظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير - ٢ / ١٢٦، ٥ / ١٣٣.

المعاني، واختصاص كل جمع بمعنى، وإن أوت كلها في نهاية المطاف إلى معنى عام يجمعها.

الثانية: أزيدك في هذا الصدد أن "**الأزلام**" وقعت ردفاً للأنصاب وتالية لها في النص القرآني، والأزلام "أفعال" جمع قلة لم يرد عن العرب فيه غير هذا الجمع، فناسب القرآن الكريم بينهما، بأن جاء بالمفرد على "أفعال" أنصاب للتتناسب مع أزلام، وهو مطلب قرآني تلحظه كثيراً في سياقات قرآنية متعددة.

الثالثة: انفرد القرطبي بتفسير الأنصاب على أنها لعب النرد والشطرنج[٥٩٦]، وذلك بعد أن ذكر المعنى المشهور للأنصاب السابق، ولم أقف على هذا المعنى في معاجم اللغة التي تحت يدي، وهو معنى لطيف، وإن بدا غريباً في بابه، فالأنصاب في الآية الكريمة وقعت بين نوعين من القمار (الميسر – والأزلام) وهذه العادات القبيحة كانت العرب تفعلها في جاهليتها من شرب الخمر، ولعب القمار[٥٩٧] من ميسر ونرد وشطرنج وضرب بالأقداح إذ هَمَّ الرجل إلى فعل شيء فعله أو تركه على ما تبين له الأقداح وعن ابن عباس :" كان الرجل في الجاهلية يخاطر الرجل على أهله وماله فأيهما قَمَر صاحبه ذهب بماله وأهله"[٥٩٨].

وتأسيساً على ما ذكر فإن لفظ الأنصاب يحمل دلالتين (الأوثان – لعب النرد والشطرنج أي القمار) بخلاف لفظ النصب الذي لا يحمل إلا دلالة واحدة، فإذا أريد بالأنصاب الأوثان والأصنام وجدتها متوائمة مع جمع النَّصب في الآية الأخرى "النُّصب" إذ هما من مفرد واحد. وإذا أريد بالأنصاب المعنى الأخير "لعب النرد والشطرنج" وجدتها متجانسة متوائمة مع أخواتها التي تحمل نفس الدلالة "الميسر والأزلام" ولما كان لفظ النصب مفرداً وجمعاً لا تحتمل إلا معنى الأوثان والأصنام، وليس له خصيصة لفظ الأنصاب من

---

[٥٩٦]() الجامع لأحكام القرآن - ٦ / ٢٨٦.

[٥٩٧]() كل شيء فيه قمار من نرد وشطرنج فهو ميسر. الجامع لأحكام القرآن - ٣ / ٥٢، ولسان العرب والنرد والشطرنج من ألعاب الفرس . لسان العرب لابن منظور - ٤ /ش ط ر، ٦ /ن رد.

[٥٩٨]() الجامع لأحكام القرآن - ٣ / ٥٢، وانظر تفسير غريب القرآن للسجستاني / ٧٦ والبحر المحيط لابي حيان - ٤ / ١٣.

اشتراكه بين أكثر من معنى تعين الأخير مما ينبئ عن أن اختيار جمع الأنصاب هنا كان لمزيد معنى لا تجده في الجمع الآخر، أعني "النُّصُب".

٢٨- نَصَارى - أَنْصار:

النَّصر: إعانة المظلوم , نصره على عدوه ينصره نصراً[٥٩٩] أعانه ونصر الغيث بالجود ونصره منه: نجاه وخلَّصه، ونصر الله المسلمين: آتاهم الظفر على عدوهم، النون والصاد والراء أصل صحيح يدل على إتيان الخير[٦٠٠].

والنصير: الناصر، قال تعالى: "**نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ**"[٦٠١]، والجمع أنصار، مثل: شريف وأشراف، والأنصار: أنصار النبي ﷺ، غلبت عليهم الصفة فجرى مجرى الأسماء، وصار كأنه اسم الحي، والنصير فعيل بمعنى مفعول؛ لأن كل واحد من المتناصرين ناصر ومنصور[٦٠٢].

وقد ورد في القرآن الكريم لهذا المفرد جمعان من جموع التكسير "**أنصار، ونصارى**" فأنصار جمع نصير كشريف وأشراف، ويتيم وأيتام، وقد ورد في القرآن الكريم في أكثر من موضع، ففي قوله تعالى: "**فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ**"[٦٠٣]، أي من يضيفون أنفسهم إلى الله في نصرى أو من أنصاري إلى الله ملتجئاً إلى الله أو ذاهباً أو ضامناً إليه، قال الحواريون نحن أنصاري الله أي أنصار دين الله وشرعه[٦٠٤].

وكذلك قوله تعالى: "**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُاللَّهِ**"[٦٠٥]، ندب المؤمنين إلى

---

[٥٩٩]() لسان العرب لابن منظور - ٦ / ن ص ر.

[٦٠٠]() مقاييس اللغة لابن فارس - ٥ / ن ص ر، والقاموس المحيط للفيروزآبادي - ٢ / ن ص ر.

[٦٠١]() سورة الأنفال، الآية: {٤٠}.

[٦٠٢]() المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده - ٨/ ن ص ر، وانظر لسان العرب - ٦ / ن ص ر، والصحاح - ٢ / ن ص ر.

[٦٠٣]() سورة آل عمران، الآية: { ٥٢ }.

[٦٠٤]() تفسير البيضاوي - ١ / ٧٥، وانظر البحر المحيط لأبي حيان - ٢ / ٤٧١.

[٦٠٥]() سورة الصف، الآية: {١٤}.

النصرة، ووضع لهم هذا الاسم وإن كان قد صار عرفاً للأوس والخزرج أي كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصاري عيسى حين قال من أنصاري إلى الله[٦٠٦].

هذا وقد يخرج الوصف مخرج الاسم فتجري مجراه في الإطلاق عرفاً، كما في إطلاق القرآن الكريم لفظ الأنصار، وهو في الأصل وصف على أنصار رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج، فيصير الوصف اسماً لهم كما في قول الله جل ثناؤه: "**وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ**"[٦٠٧]، وقوله تعالى: "**لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ**"[٦٠٨].

فصيغة أنصار وردت في موقعين مختلفين أن مع بقاء أصل دلالتها ومعناها، فهي تارة تدل على معنى المعين والنصير، وتارة أخرى تنتقل من مرحلة الوصفية إلى مرحلة الاسمية حين تطلق على الأنصار من الأوس والخزرج خاصة الذين نصروا رسول الله ﷺ وأعانوه، ولعلك تلحظ أن استعمال هذا الجمع اسماً على أنصار رسول الله ﷺ لا يكون إلا مقترناً بأل "الألف واللام"، فإذا أريد به أنصار رسول الله ﷺ جاء مقترناً بأل كما في موضعي التوبة السابقين، وإذا جرد من أل دل على الوصف "مطلق النصير" كما في قول الله جل ثناؤه: "**وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ**"[٦٠٩]، نفى النصرة عن الظالمين، وقوله تعالى: "**فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا**"[٦١٠].

وأما الجمع الآخر "**نصارى**" فقد ورد في أكثر من موضع من القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: "**وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى**"[٦١١]، وقوله: "**وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى**"[٦١٢]، وقوله: "**وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**"[٦١٣]

---

[٦٠٦] () البحر المحيط لأبي حيان - ٨ / ٢٦٤، وانظر تفسير البيضاوي - ٢ / ٧٣٤.
[٦٠٧] () سورة التوبة، الآية: { ٩٩ }.
[٦٠٨] () سورة التوبة، الآية: { ١١٧ }.
[٦٠٩] () سورة آل عمران، الآية: {١٩٢}.
[٦١٠] () سورة نوح، الآية: { ٢٥ }.
[٦١١] () سورة البقرة، الآية: {١١١}.
[٦١٢] () سورة البقرة، الآية: { ١١٣}.
[٦١٣] () سورة البقرة، الآية: { ١٢٠}.

إلى غير ذلك من الآيات[٦١٤]، والتي تدل كلها على أن المقصود بالنصارى هؤلاء الذين اتبعوا عيسى عليه السلام، ثم أطلق اللفظ بعد على كل من تعبد بهذا الدين[٦١٥]، من المسيحيين.

ويرتبط هذا الجمع بدلالته وما تطور إليه بأصل مفرده المختلف فيه بين العلماء، فقد ذهب الخليل فيما حكاه سيبويه ونقله ابن سيده وابن منظور إلى أن النصارى جمع نَصْرى ونصران، كما قالوا ندمان وندامى، وقال أبو إسحاق: واحد النصارى في أحد القولين نصران كما ترى مثل: ندمان وندامى، والأنثى نصرانة مثل: ندمانة ولكن لم يستعمل نصران إلا بياء النسب، لأنهم قالوا: رجل نصراني وامرأة نصرانية[٦١٦] .

وذهب الجوهري إلى أن النصارى جمع نصران ونصرانة، مثل الندامى جمع ندمان وندمانة، ولكن لم يستعمل نصران إلا بياء النسب؛ لأنهم قالوا رجل نصراني وامرأة نصرانية[٦١٧]، وعلق ابن بري على قول الجوهري النصارى جمع نصران ونصرانة: إنما يريد بذلك الأصل دون الاستعمال، وإنما المستعمل في الكلام نصراني ونصرانية بياء النسب ويجوز أن يكون واحد النصارى نصرياً مثل مهرى وإبل مهارى[٦١٨].

وهذه الآراء وما دار فيها من خلاف ترجع هذا الجمع إلى مفرد نسب إليه جمعه، فالنصارى منسوبون إلى نَصَرَى ونَصْرى، وناصرة ونصورية قرية بالشام[٦١٩]، وقد لخص الفيروزآبادي هذه الأقوال بقوله: "ونَصَرة محركة قرية كان فيها الصالحون , ... وناصرة قرية بطبرية ونصرانه قرية بالشام، ويقال لها ناصرة ونصورية أيضاً ينسب إليها النصارى أو جمع نصران، كالندامى جمع ندمان، أو جمع نصريّ كمهرىَ ومهارى, والنصرانية والنصرانة واحده النصارى، والنصرانية أيضاً دينهم[٦٢٠].

---

[٦١٤]() سورة البقرة ١٣٥، ١٤٠، وآل عمران: ٦٧ ، والمائدة: ١٨ ، ٥١ ، ٦٩ ، ٨٢.
[٦١٥]() المصباح المنير للفيومي - ٢ / ن ص ر.
[٦١٦]() تهذيب اللغة للأزهري - ١٢/ ن ص ر، ولسان العرب لابن منظور - ٦ / ن ص ر.
[٦١٧]() الصحاح للجوهري - ٢ / ن ص ر.
[٦١٨]() حواشي ابن بري - ٢ / ن ص ر، وانظر لسان العرب لابن منظور - ٦ / ن ص ر.
[٦١٩]() لسان العرب لابن منظور - ٦ / ن ص ر، وانظر معجم ما استعجم من أسماء البلدان والمواضع لأبي عبد الله بن محمد البكري - ٤ / ١٣١٠.
[٦٢٠]() القاموس المحيط للفيروزآبادي - ٢ / ن ص ر.

ولا يبعد أن يكون النصارى جميع نصير، فيلتقى مع أنصار جميع نصير، على مفرد واحد، ومعنى النصرة فيهما واضحة، وقد ذكر السيوطي ما يؤيد ذلك، ففي الإتقان: النصارى: قيل جمع نصراني، وقيل جمع نصير كنديم، والأنصار: واحده نصير، كشريف وأشراف"[٦٢١].

وبعد فالقرآن الكريم قد خصَّ كل جمع بمعنى لا يزاحمه فيه الآخر، وإن اشتركا في أصل دلالة المفرد، وكأن القرآن الكريم عادل بين الجمعين، فالنصارى: نصارى عيسى عليه السلام ومن دان بدينهم، والأنصار: الأعوان من منهم النصرة والتأبيد، والأنصار: أنصار رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج إذا اقترن بالألف واللام غلبت فيه الصفة فجرت مجرى الاسم في الإطلاق عليهم عرفاً.

٢٩- نِعَم - أَنْعُم:

النعم: النون والعين والميم فروعه كثيرة، وهي على كثرتها راجعة إلى أصل واحد يدل على ترفُّهٍ وطيب عيش وصلاح، ومنه النِّعْمة: ما يُنْعم الله تعالى على عبده به من مال وعيش، والنِّعْمة: المِنَّة، والنَّعمة: التنعم وطيب العيش قال تعالى: "**وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِين**"[٦٢٢] والنُّعامِي: الريح اللينة. والنَّعَمَ: الإبل، لما فيه من الخير والنِّعمة، قال الفراء: النعم ذَكَرٌ لَا يُؤَنَّث فيقولون: هذا نعم وارد; وتُجمع أَنعاما. والأنعام: الْبهائم، وهو ذلك القياس، والنّعامة: معروفة لنُعومة ريشها[٦٢٣].

وفي لسان العرب: والنّعمة: اليد البيضاء الصالحة والصنيعة والمِنَّة وما أنعم به عليك، ونِعمة الله بكسر النون منه، وما أعطاه الله العبد مما لا يمكن غيره أن يعطيه إياه كالسمع والبصر، والجمع منهما نعم وأنعم. قال ابن جني: جاء على حذف التاء، فصار كقولهم: ذئب وأذؤب، ونِطع وأنطع، ومثله كثير[٦٢٤].

---

[٦٢١]() الإتقان في علوم القرآن للسيوطي - ١ / ١٩٥.
[٦٢٢]() سورة الدخان، الآية: ٢٧.
[٦٢٣]() مقاييس اللغة لابن فارس - ٥ / ن ع م، وانظر الاشتقاق لابن دريد - ١٣٧.
[٦٢٤]() لسيان العرب لابن منظور - ٦ / ن ع م ، وانظر المحكم لابن سيده - ٢ / ن ع م.

وذكر الفيومي أن جمع النعمة نِعَم مثل: سدرة وسِدَر، وأنعم أيضاً مثل: أفلس"[٦٢٥]، وقد ورد الجمعان في القرآن الكريم، والمفرد فيهما واحد. قال الله عز وجل: "**وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَ**"[٦٢٦]. ذكر القرطبي وابن عطية أن النعم جمع نعمة كسدرة وسدر بفتح الدال[٦٢٧] أراد جميع ما أنعم به عليهم[٦٢٨] فناسب ذلك جمعه جمع كثرة، قال الفراء: وقد قرأ قوم "نِعَمه" على الجمع، وهو وجه جيد، لأنه قال "**شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ**"[٦٢٩] فهذا جمع النعم، وهو دليل على أن نِعَمه جائز[٦٣٠].

وفِعَل من أمثلة جمع الكثرة، وهو جمع الاسم على فِعَلة نحو: كسرة وكسر، وحجة وحجج، ومرية ومرى[٦٣١]، وكذا نعمة ونعم.

كما وردت الصيغة الأخرى في قول الله ﷻ: "**فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ**"[٦٣٢]، وقوله تعالى: "**شاكراً لأنعمه**"[٦٣٣] **فالأنعم:** جمع نعمة، كالأشد جمع الشدة[٦٣٤], وذكروا في قوله تعالى: "**شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ**" أن الجمع جاء بلفظ القلة للتنبيه على أنه كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة[٦٣٥]، وذكر البقاعي فى معنى "**شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ**" أنه لما كان لله على من جعله أمة من النعم ما لا يحصى، بين أن ذلك كله قليل في جنب فضله، فقال مشيراً إلى ذلك بجمع القلة، وإلى أن الشاكر على القليل يشكر إذا أتاه الكثير من باب الأولى[٦٣٦]، وهو ما

---

[٦٢٥]() المصباح المنير للفيومي - ٢ / ن ع م.
[٦٢٦]() سورة لقمان، الآية : { ٢٠ }.
[٦٢٧]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ١٤ / ٧٣، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية - ٤/ ٣٥٢.
[٦٢٨]() لسان العرب لابن منظور - ٦ / ن ع م.
[٦٢٩]() سورة النحل، الآية: { ١٢١ } .
[٦٣٠]() معاني القرآن للفراء - ٢ / ٣٢٩.
[٦٣١]() شرح ابن عقيل - ٢ / ٩٦، وانظر المقتضب للمبرد - ٢ / ٢٠٥.
[٦٣٢]() سورة النحل، الآية: { ١١٢ } .
[٦٣٣]() سورة، النحل، الآية : { ١٢١ } .
[٦٣٤]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ١٠ / ١٩٤، وانظر معاني القرآن للأخفش - ٢ / ٤٢٠، ومجمع البيان للطبرسي - ٤ / ١٣١، وتفسير البيضاوي - ١ / ٣٦٨.
[٦٣٥]() تفسير البيضاوي - ١ / ٣٦٩.
[٦٣٦]() نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي - ١١/ ٢٧٣.

يمكن أن يستنبط من المواضع الأخرى لذات الجمع للتنبيه على أنهم كفروا بالنعم القليلة فما بالك بالكثيرة.

كما في قوله تعالى: "**فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ**" قال أبو حيان: "وقال الأنعم جمع نعمة وجمع قلة ولم يأت بنعم الله وذلك أنه قصد التنبيه بالأدنى على الأعلى، بمعنى أن كفران النعم القليلة أوجب العذاب فكفران الكثيرة أولى بإيجابه"(٦٣٧). وذكر الألوسي مضمون كلام أبي حيان، ففي إيثار جمع القلة إيذان بأن كفران نعم قليلة أوجبت هذا العذاب فما ظنك بكفران نعم كثيرة(٦٣٨).

فإن قيل لماذا جاءت "**أنعمه**" في سياق الشكر من إبراهيم عليه السلام وهي جمع قلة، وجاءت "**نعمه**" في سياق تعداد النعم من المولى ﷻ؟ ففرق بين الموضوعين من حيث القلة والكثرة، ويمكن أن يجاب عن هذا أن الآية الكريمة قد نصَّت على أن نِعم الله لا تحصى، فلا يطيق الإنسان شكرها جميعها، ولكن لا يمنعه ذلك من استطاعته أن يشكر بعضا منها، ولذلك قال الله جل ثناؤه مثنيا على الخليل إبراهيم عليه السلام: "**شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ**"، ولم يقل: شاكرا لنِعَمه؛ لأن شكر النعم ليس في طاقة أحد ولا في استطاعته أن يقوم بإحصاء نعم الله عليه وعدِّها، فإذا عجز عن عدها فعجزه عن شكرها أظهر وأوضح، فكيف يشكر ما عجز عن إحصائه؟! قال الله تعالى: "**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**"(٦٣٩)، وكما تلحظ أيضاً في الآية الأخيرة هذه فإن **نِعمة** اسم جنس وقع مضافا للفظ الجلالة (الله)، فدلّ بإضافته ووضعه في اللغة على الكثرة، أي لكثرتها وعظمها في الحواس والقوى والإيجاد بعد العدم والهداية للإيمان وغير ذلك(٦٤٠) أي إن حاولتم إحصاءها وحصرها عددا حتى لا يشذ شيء منها لم تقدروا على ذلك، ولا اتفق لكم إحصاؤها إذ هي في كل دقيقة من أحوالكم. و "النعمة" هنا مفردة يراد بها الجمع، وبحسب العجز عن عد نعم الله يلزم أن يكون الشاكر لها مقصرا عن بعضها، فلذلك قال ﷻ: "**إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**" أي على تقصيركم في الشكر عن

---

(٦٣٧) البحر المحيط - ٥ / ٥٤٣.
(٦٣٨) روح المعاني للألوسي - ٧/ ٤٧٧.
(٦٣٩) سورة النحل، الآية: { ١٨ }.
(٦٤٠) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية - ٣/ ٣٤٠.

جميعها[٦٤١]، أما الآية الثانية فهي في مقام تعداد نعمه وفضله على الناس فقال: "**أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً**" فذكرها بصيغة جمع الكثرة، أي جميع نعم الله على حد قول القرطبي فيما سبق، والإسباغ: الإكثار، ومنه درع سابغة: أي وافرة وافية في الستر، فالفعل أسبغ فيه معنى الكثرة أي أكثر عليكم نعمه، وكما أشرنا من قبل فضلاً عن كونه مجموعاً على صيغة جمع الكثرة فهو اسم جنس يدل بإضافته إلى الضمير العائد على لفظ الجلالة (الله) على الكثرة ثم إن إسباغ النعم على العباد جاء متلوا لقوله تعالى: "**أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**" أي كل الذي في السماوات والأرض، وفي ذلك امْتِنَان منه تعالى على عباده بِأَنْ سَخَّر لنا ما في السماوات وما في الأرض فجاء ذكر النعم وإسباغها تنويها بما أسبغه الله تعالى من نعم وتعظيما لها إذ جاء الجمع منكرا، فأفاد التعميم والشيوع مع التفخيم والتعظيم[٦٤٢]، فتركيب الآية الكريمة وألفاظها يجريان على النسق الجمالى المبدع الدال على الكثرة، وعلى أن تعداد نعم الله خارج عن مقدور البشر وطاقتهم لكثرتها فناسب لذلك جمعها جمع كثرة.

٣٠- النعم - الأنعام:

النَّعَم: المال الراعي، وهو جمع لا واحد له من لفظه، وأكثر ما يقع على الإبل، وقيل النعم الإبل خاصة، والأنعام ذوات الخف والظلف، وهي الإبل والبقر والغنم، وقيل تطلق الأنعام على هذه الثلاثة، فإذا انفردت الإبل فهي نعم، وإن انفردت البقر والغنم لم تُسَمَّ نِعَماً[٦٤٣].

وقد ورد الجمعان في القرآن الكريم. قال الله جل ثناؤه: "**وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ**"[٦٤٤]، وقد ذكر القرطبي في تفسيره للآية الكريمة أن الأنعام: الإبل والبقر والغنم،

([٦٤١]) المحرر الوجيز لابن عطية - ٣/ ٣٨٥، وانظر جامع البيان للطبري - ٢٠/ ١٤٨، وروح المعاني للألوسي - ١١/ ٩٢.

([٦٤٢]) التحرير والتنوير لابن عاشور - ٢١/ ١٧٣.

[٦٤٣]() المصباح المنير - ٢ / ن ع م، وانظر تهذيب اللغة للأزهري - ٣ / ن ع م، ولسان العرب لابن منظور - ٦ / ن ع م.

[٦٤٤]() سورة النحل، الآية: { ٥ } .

وأكثر ما يقال نعم وأنعام للإبل، ويقال للمجموع، ولا يقال للغنم مفردة[٦٤٥]، وفي الموضع الآخر من النحل: "**وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه** "[٦٤٦] ذهب الفراء إلى القول بأن النعم والأنعام شيء واحد، وهما جمعان[٦٤٧] والنَّعَم عند العرب هي اسم للإبل والبقر والغنم خاصة، كما قال جل ثناؤه: "**وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**"[٦٤٨]، ثم قال جل ثناؤه: "**وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً**"[٦٤٩]، ففصل جنس النعم من غيرها من أجناس الحيوان[٦٥٠] الأخرى.

والجمع الآخر نصَّ عليه في قول الله جلَّ ثناؤه: "**فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ**"[٦٥١]، وفيه نَصَّ الزجاج على أن النعم في اللغة هي الإبل والبقر والغنم، وإن انفردت الإبل قيل لها نعم وإن انفردت البقر والغنم لم تسم نعماً[٦٥٢].

وذهب أبو عبيد إلى أن النَّعم الجِمال فقط ويؤنث ويذكر، وجمعه نعمان، مثل: حمل وحملان، وأنعام أيضاً[٦٥٣]، أي أن النعم مفرد، وبه قال الجوهري[٦٥٤]، كما ذكر ابن دريد: أن الأنعام اسم تُخَص به الإبل، والنعم أيضاً كذلك. قال الراجز:

أصحابُ شاءٍ وخَزُومٍ ونَعَمْ

ويجمع النَعَم أنعاماً، والأناعيم جمع الجمع[٦٥٥].

٣١- نفوس - أنفس:

النَّفْس في كلام العرب يجري على ضربين: أحدهما قولك: خرجت نفس فلان، أي روحه، وفي نفس فلان أن يفعل كذا وكذا، أي في روعه. والضرب الآخر معنى النفس فيه

---

[٦٤٥] () الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ١٠ / ٦٨، وانظر المصدر نفسه - ٦ / ٤٤٤، ومجمع البيان للطبرسي - ٢ / ٩ .

[٦٤٦] () سورة النحل، الآية: { ٦٦ }.

[٦٤٧] () معاني القرآن للفراء - ٢ / ١٠٨، وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ١٠ / ١٢٣.

[٦٤٨] () سورة النحل، الآية: { ٥ }.

[٦٤٩] () سورة النحل، الآية:{ ٨ }.

[٦٥٠] () جامع البيان للطبري - ٩/ ٤٥٧.

[٦٥١] () سورة المائدة، الآية : { ٩٥ }.

[٦٥٢] () مجمع البيان للطبرسي - ٢ / ١٩٥.

[٦٥٣] () المصباح المنير للفيومي - ٢ / ن ع م.

[٦٥٤] () الصحاح للجوهري - ٥ / ن ع م.

[٦٥٥] () الاشتقاق لابن دريد / ١٣٧.

معنى جملة الشيء وحقيقته، تقول: قَتَل فلان نفسه، وأهلك نفسه أي أوقع الإهلاك بذاته كلها وحقيقته. والجمع من كل ذلك أنفس ونفوس[٦٥٦] مثل: فلس وأفلس وفلوس[٦٥٧]، جمعها الأقل أنفس والكثير نفوس[٦٥٨].

وهو قياس مطرد في كل اسم ثلاثي على فَعْل ساكن العين سالماً من الياء والواو والألف جمعه في القلة على أفعل نحو: كلب وأكلب، وكعب وأكعب، وبحر وأبحر، وكذا نفس وأنفس، وفي الكثرة جمعه على فعال وفعول نحو: بحار وبحور، وكعاب وكعوب، ودروب وفلوس، وكذا نفوس[٦٥٩].

قال ابن خالويه: النفس: الروح، والنفس: ما يكون به التمييز، وقال ابن بري: أما النفس الروح والنفس ما يكون به التمييز فشاهدها قوله سبحانه: "الله يتوفى الأنفس حين موتها"[٦٦٠] والنفس الأخ شاهده قوله سبحانه: "**فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**"[٦٦١]، وقد ورد الجمع الآخر في قول الله جل ثناؤه: "**رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورً**"[٦٦٢].

ومن اللطائف التي تبدت عند الملاحظة وإنعام النظر أنه بتتبع آي الذكر الحكيم، التي ورد فيها لفظ نفس مجموعاً جمع قلة على "**أنفس**" أريد به من خلال السياق في الغالب معنى الذات أو الشخص، بينما نجد الآيات الأخرى التي ورد فيها لفظ النفس مجموعاً جمع كثرة على "**نفوس**" أريد به من خلال السياق المعنى الآخر للنفس أعني الروح أي ما يكون به التمييز. ومما يؤكد وقوع جمع "أنفس" على الذات ويقويه أن العرب لم تستعمل لفظ

---

[٦٥٦]() تهذيب اللغة للأزهري - ١٣ / ن ف س، وانظر لسان العرب لابن منظور - ٦ / ن ف س.
[٦٥٧]() المصباح المنير للفيومي - ٢ / ن ف س .
[٦٥٨]() المذكر والمؤنث لابن التستري / ٨ .
[٦٥٩]() الفوائد والقواعد للثمانيني / ٦٦١ - ٦٦٢ بتصرف , وانظر شرح ابن عقيل - ٤ م ٩٢ - ١٠٢ .
[٦٦٠]() سورة الزمر، الآية:{ ٤٢ } .
[٦٦١]() سورة النور، الآية: { ٦١ }، وانظر لسان العرب لابن منظور - ٦ / ن ف س بتصرف، وحواشي ابن بري - ٢ / ن ف س، والأشباه والنظائر للبلخي / ٢٧٠ - ٢٧١، والوجوه والنظائر للدامغاني - ٢ / ٢٦٨ - ٢٦٩، والفروق اللغوية لأبي هلال العسكري / ٨٣ .
[٦٦٢]() سورة الإسراء، الآية : { ٢٥ }.

النفوس جمعاً مطلقاً للتوكيد المعنوي بل خصوا ذلك لفظ الأنفس، فالعرب لا تقول: حضر الرجال نفوسهم بل تقول: حضر الرجال أنفسهم، يستوي في ذلك جمع القلة والكثرة.

ولنسوق بعضاً من الشواهد القرآنية لتوضيح هذه اللطيفة ففي قول الله جل ثناؤه: "**إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ**"[٦٦٣] نجد النفس جمعت على "**أنفس**"؛ لأن المقصود تحريم الظلم على الأشخاص والذوات بأن يظلم إنسان إنساناً آخر، وليس المقصود بذلك الروح، وإنما خص تحريم الظلم بهذه الأشهر تعظيماً وإجلالاً لها، وتنبيهاً لشرفها وخطرها.

وقد كان العرب في الجاهلية قبل الإسلام يعظمون هذه الأشهر، فيمتنعون عن القتال فيها، والقتال لون من ألوان الظلم أو رد لظلم يقع على الذوات والأشخاص، وليس المقصود قصر النهي والتحريم عليها فحسب بل الظلم حرام في سائر شهور السنة، وهو أعظم وأخطر فيها. أضف إلى ذلك أنه لما قال المولى ﷻ: "**مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ**"، والأربعة عدد قليل قال: "**فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ**" فجمعها جمع قلة ليتطابق الجمع ويتوافق ويتناسب مع ذكر لفظ الأربعة[٦٦٤].

وأزيدك في هذا الصدد أن الضمير "**فِيهِنَّ**" عائد على الأشهر الحرم "**أَرْبَعَة**"، فإن قيل لم قال فيهن ولم يقل فيها؟ فالجواب أن ذلك كلام العرب، يقولون " لما بين الثلاثة إلى العشرة: لثلاث ليال خلون، وثلاثة أيام خلون إلى العشرة، فإذا جزت العشرة قالوا: خلت ومضت، ويقولون لما بين الثلاثة إلى العشرة: "هن" و "هؤلاء"، فإذا جزت العشرة قالوا: "هي وهذه "، وذلك إذا أردت أن تعرف سِمة القليل من الكثير[٦٦٥].

---

[٦٦٣]() سورة التوبة، الآية: { ٣٦ }.

[٦٦٤]() انظر هذا المعنى في معاني القرآن للفراء - ١ / ٤٣٥ وإعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه - ١ / ٣١٢ - ٣١٣ , والجامع لأحكام القرآن - ٨ / ١٣٤ - ١٣٥ .

[٦٦٥]() معاني القرآن للفراء - ١ / ٤٣٥، وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ٨ / ١٣٥، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية - ٥/ ١٥، ٣/ ٣١ من المصدر نفسه، والبحر المحيط لأبي حيان - ٥ / ٣٩.

وروي عن الكسائي أنه قال : إني لأتعجب من فعل العرب هذا[٦٦٦] فسبحان من نظم هذه الآية الكريمة على هذا المنوال البديع العجيب، فاختار الضمير "**هن**" المستعمل مع العدد القليل، واختار لفظ "**أربعة**" العدد القليل، واختار جمع النفس على "**أنفس**" الجمع القليل.

ولعلك تلحظ أن الآية التي سبقت هذه الآية مباشرة ورد فيها لفظ النفس مجموعاً أيضاً على "أفعل" في قوله تعالى: "**هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ**"[٦٦٧] أي لأشخاصكم وذواتكم، ويقوي ذلك ويؤكده أنها جاءت على هذه الصورة من الجمع بعد ذكر الكي لأجزاء الأشخاص وأعضائهم، من كي جباههم وجنوبهم وظهورهم، لأن سبب كنزهم وجمعهم الذهب والفضة إنما كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية[٦٦٨].

وفي موضع البقرة: "**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ**"[٦٦٩]، قال أبو حيان:" والأنفس هنا ذواتهم، وقيل جماعتهم"[٦٧٠]، وذكر صاحب التحرير والتنوير أن الأنفس جمع نفس، وهي مجموع ذات الإنسان من الْهَيْكَل والرُّوح كما هنا، وباعتبارِ هذا التركيب الذي فِي الذَّات اتسع إطلاق النَّفْس في كلام العرب تارة على جميع الذَّات كما في التوكيد نحو جاء فلان نفسه وقوله: "**النَّفْسَ بِالنَّفْسِ**"[٦٧١]، وقوله: "**تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ**"[٦٧٢]، وتارة على البعض كقول القائل أنكرت نفسي

وكل هذا يقع على الذات، وفي قوله تعالى: "**فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ**"[٦٧٣] وردت النفس على أنفس جمع قلة لأن القتل يقع على الذات والأشخاص، لذا قال المفسرون[٦٧٤] إن القتل في الآية على الحقيقة، يقتل بعضكم بعضاً، كما قال تعالى:

---

[٦٦٦]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ٨ / ١٣٥ - ١٣٦، وانظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، ٣/ ٣١.

[٦٦٧]() سورة التوبة، الآية: { ٣٥ }.

[٦٦٨]() تفسير البيضاوي - ١ / ٢٥٣ ، وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ٨ / ١٢٩.

([٦٦٩]) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

[٦٧٠]() البحر المحيط لأبي حيان - ١ / ١٨٣.

([٦٧١]) سورة المائة، الآية: {٤٥}.

([٦٧٢]) سورة البقرة، الآية: {٨٥}.

[٦٧٣]() سورة: البقرة، الآية: { ٥٤ } .

[٦٧٤]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ١ / ٤٠١، وتفسير البيضاوي - ١ / ١١.

"**فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ**"[٦٧٥]، أي يسلم بعضكم على بعض، وهذا إنما يكون للذات والأشخاص[٦٧٦]، كما تلحظ ذلك أيضاً في آية الإسراء السابقة. قال ابن عطية: " قوله تعالى: "**فَتَابَ عَلَيْكُمْ**" قبله محذوف تقديره ففعلتم. وقوله عَلَيْكُمْ معناه: على الباقين، وجعل الله تعالى القتل لمن قتل شهادة، وتاب على الباقين وعفا عنهم"[٦٧٧].

وذهب بعض الناس إلى أن الأمر بالقتل في الآية الكريمة ليس على معناه الحقيقي بل معناه مجازي، أي اقتلوا أنفسكم بالتوبة وإماتة عوارض النفوس من شهوة وتعنت وغضب، واحتجوا لما ذهبوا إليه بقوله عليه الصلاة والسلام في الثوم والبصل فلتُمِتْهما طَبْخا[٦٧٨]. ولو كان ذلك كما قال هؤلاء لكان الأليق بالأسلوب القرآني جمع النفس على نفوس بمعنى الروح لا على أنفس التى تدل على معنى الذات طالما حملنا القتل على المجاز، حتى يتطابق الجمع مع الدلالة المقصودة في الآية وترك ما يدل دلالة حسية على الحقيقة، وأنت كما ترى مخالف لمعنى الآية الظاهر من ألفاظها، إذ كيف يحمل لفظ القتل على المجاز مع عدم جريانه مع تركيب الآية الكريمة وسياقها الداخلى للألفاظ، ومجاوراتها لما سبقها وما تلاها ما يدل على جرم بنى إسائيل في عبادتهم العجل واتخاذهم إياه ربّا من دون الله، وعدم قبول توبتهم إلا بأن يقتل من لم يعبد العجل من عبده فيكون في ذلك توبة للقاتل وشهادة للمقتول، وقد اتفق أئمة أهل التفسير على هذا الوجه، وقد أحصى الطبري والسيوطي أقوالهم، وهي جميعها لا تخرج بلفظ القتل عن معناه الحقيقي إلى هذا المعنى المجازي[٦٧٩]، وحكي أبوحيان هذ الرأي الأخير وذهب إلى أن الظاهر هو القتل المعروف من إزهاق الروح، باشروا

---

[٦٧٥]() سورة النور، الآية: { ٦١ }.

[٦٧٦]() التحرير والتنوير لابن عاشور - ١ / ٢٧٢.

[٦٧٧]() المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية - ١/ ١٤٦، وانظر جامع البيان للطبري - ٢ / ٧٩.

([٦٧٨]) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية - ١ / ١٤٦، وانظر الحديث في مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار لأبي بكر أحمد المعروف بالبزار - ٨ / ٢٤٨، سنن ابن ماجه - ٢/ ١٤٣، المدخل إلي علم السنن للبيهقي - ٢/ ٤٥٨، وفيهما القول منسوب إلى سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ.

([٦٧٩]) جامع البيان للطبري - ٢/ ٧٢ وما بعدها، وانظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطى - ١/ ١٦٨، ١٦٩، ٥/ ٥٩٤.

قتل أنفسهم بوحي من الله ﷻ إذ كان قتل النفس مقررا في شريعتهم عقوبة لهؤلا الذين عبدوا العجل، وهو الرأي الذي نقله أكثر الناس(٦٨٠).

فإن قلت سبق في الآية نفسها قوله تعالى: "**إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ**" وغير خاف أن هذا للنفس بمعنى الروح. قلت لا يمنع من ذكرها هنا على أفعل "**أَنْفُسَكُمْ**" توسعاً واستغناء عن الجمع الكثير لتتناسب مع جمع القلة في "**فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ**" فيكون الجمع فيها من باب واحد لضرب من المناسبة اللفظية، فلو قيل في غير القرآن الكريم: "**ظلمتم نفوسِكم باتخاذكم العجل ..... فاقتلوا أنفسكم**" لفات من النظم والمعنى الكثير بالإضافة إلى أن جمع القلة هنا فيه إشارة إلى تقليل ذواتهم وعدم الاحتفال أو الاهتمام بهم لما ارتكبوه من عبادة العجل. وقد قال غير واحد في قوله تعالى: "**ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ**" أنه استغنى بالجمع القليل عن الكثير، والكثير نفوس، وقد يوضع الجمع الكثير موضع جمع القلة، والقليل موضع الكثرة(٦٨١).

ومثله قوله تعالى: "**وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ**"(٦٨٢) فالكلام عن الطائفة القليلة التي آمنت مع نوح ﷺ، والتي كانت محل ازدراء وتحقير من قوم نوح فناسب المقام جمع القلة لقلتهم، ثم إن مجيء عين على أعين في قوله تعالى: "**تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ**" ناسبه مجيء نفس على أنفس لضرب من التناسب، حتى لا تبدو الكلمة قلقة في موضعها مع أعينكم إن هي جمعت على نفوس.

أما في قول الله تعالى: "**رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ**"(٦٨٣) فقد ورد لفظ النفس مجموعاً جمع كثرة على فعول "**نُفُوسِكُمْ**" مراداً به المعنى الآخر من معاني النفس المنصوص عليها في صدر المسألة، وهو: "الروح أو ما يكون به التمييز" ناشئاً عن اعتقاد الإنسان وضميره، وهو أمر غيبي داخلي لا يقف عليه ولا يعلمه إلا صاحب هذا الاعتقاد وخالقه رب العالمين، لذا جاء من معاني النفس في اللغة "**الغيب**" وعليها فسر قول الله جلَّ ثناؤه : "**تَعْلَمُ مَا فِي**

(٦٨٠) البحر المحيط لأبي حيان ١/ ٣٣٥. ط أخرى: تحقيق: صدقي محمد جميل(دار الفكر بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ)

٦٨١() إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس - ١ / ٢٢٦، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ١ / ٤٠١.

٦٨٢() سورة هود الآية: { ٣١}.

٦٨٣() سورة الإسراء، الآية: { ٢٥ }.

نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ"[٦٨٤] فقد ذكر ابن الأنباري وغيره من العلماء أن النفس هنا الغيب، أي تعلم غيبي لأن النفس لما كانت غائبة أُوقعت على الغيب، ويشهد بصحة ذلك قوله في آخر الآية: "**إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ**" كأنه قال تعلم غيبي ياعلّام الغيوب[٦٨٥].

ويصب هذا المفهوم في تأويل وتفسير قوله تعالى: "**رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ**" حيث ذكر المفسرون أن المعنى هو: ربكم أعلم بما نفوسكم من قصد البر إليها أي إلى الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من توقير[٦٨٦] أو من غير ذلك من العقوق، أو من جعل ظاهر برهما رياء[٦٨٧] ثم هو من جهة الكثرة موضوع في موضعه المناسب لتعلق الخطاب بنفوس الناس أجمعين، وهم لا ريب في ذلك كثر، فناسب المقام التعبير هنا بلفظ "**النفوس**"، وإنك لتجد أيضاً هذا المعنى المتعلق بجمع الكثرة في هذا اللفظة جلياً واضحاً في قوله تعالى: "**وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ**"[٦٨٨].

قال البيضاوي: "**وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ**" قُرِنت بالأبدان أو كل منها بشكلها أو بكتابها أو بعملها أو نفوس المؤمنين بالحور، ونفوس الكافرين بالشياطين[٦٨٩]، وقال عكرمة: "**وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ**" قرنت الأرواح بالأجساد، أي ردّت إليها[٦٩٠]. ولما كان المراد استيعاب جميع الخلق في الحشر وهم من الكثرة بمكان عبر بالجمع المناسب "**نفوس**" الدال على ذلك.

فهذا يدلك على ما تأصل سابقاً من انفراد جمع القلة "**أنفس**" بمعنى الذات أو الشخص، وانفراد جمع الكثرة "**نفوس**" بمعنى الروح أو ما يكون به التمييز، وإن خرج ذلك

([٦٨٤]) سورة المائدة، الآية: ١١٦.
[٦٨٥]() لسان العرب لابن منظور - ٦ / ن ف س، وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ٦ / ٣٧٦، والوجوه والنظائر للدامغاني - ٢ / ٢٦٩ ، والدر المصون للسمين الحلبي - ٤/ ٥١٤، والتحرير والتنوير لابن عاشور - ١/ ٥٦٠.
[٦٨٦]() تفسير البيضاوي - ١ / ٣٧٤، وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ١٠ / ٢٤٦، والبحر المحيط لأبي حيان - ٦ / ٢٩.
[٦٨٧]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ١٠ / ٢٤٦.
[٦٨٨]() سورة التكوير، الآية: { ٧ }.
[٦٨٩]() تفسير البيضاوي - ٢ / ٧٨٦. وانظر تفسير السجستاني / ٢٧٩ ، ٢٨٠.
[٦٩٠]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ١٩ / ٢٣٢.

مخرج الغالب في الاستعمال، فقد قال النعمان بن بشير: قال النبي ﷺ: "**وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ**" قال: "**يُقْرَن كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون كعمله**"، وقال عمر ابن الخطاب: يقرن الفاجر مع الفاجر، ويقرن الصالح مع الصالح[٦٩١]. وفي مصنف ابن أبي شيبة، عن النعمان بن بشير، قال: سئل عمر عن قول الله: "**وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ**"، قال: "**يُقْرَنُ بَيْنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ مَعَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، وَيُقْرَنُ بَيْنَ الرَّجُلِ السُّوءِ مَعَ الرَّجُلِ السُّوءِ فِي النَّارِ**"[٦٩٢] فهذا يقع على الذات كما ترى، وحمل جميع ذلك على الغالب أولى.

الخاتمة

[٦٩١]() الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ١٩ / ٢٣١. وانظر الحديث في المستدرك على الصحيحين لعبد الله الحاكم - ٢/ ٥٦٠، والزهد لأبي داود السجستاني - ١/ ٧٧، وصفة الجنة لأبي نعيم الأصفهاني - ٢ / ١٤٩، واللفظ فيها قريب من الحديث النبوي الشريف من كلام سيدنا عمر، عن النعمان بن بشير.

([٦٩٢]) مصنف ابن أبي شيبة - ٧/ ٩٩. كلام عمر ﷺ.

وبعد فقد حاولت من خلال بحثي هذا أن أقف على مظهر من مظاهر اللغة بدا جلياً وواضحاً في القرآن الكريم من خلال ما ورد نصاً فيه من جمعين فأكثر من جموع التكسير لمفرد واحد وانتهى بي المطاف إلى بعض النتائج المهمة، وهي:

(١) القرآن الكريم معين لغوي لا ينضب، يحوى بين دفتيه كثيراً من الظواهر اللغوية، التي تسترعى الانتباه وتأخذ بالألباب، لما تحويه من دقائق ولطائف وأسرار نحن في مسيس الحاجة إلى استنباطها، وبيان مقاصد القرآن الكريم منها، منها ظاهرة الجمع المكسر، وما يندرج تحته من مسائل وفروع بدت جلية في الاستعمال القرآني.

(٢) جمع التكسير كثير الاختلاف والتداخل، ولا يكاد يسلم فيه بناء من هذا، وقد جاءت الأمثلة القرآنية في بعضها مصورة لهذا التداخل، حتى اعتبار القلة والكثرة حداً فاصلاً في أبنية الجموع من الناحية الدلالية أمر يصعب القطع به، فقد رأينا كيف تستعمل القلة في معنى الكثرة والعكس، ورأينا بعض الألفاظ ليس لها غير بناء واحد يستعمل في القلة والكثرة على حد سواء، والأمر متروك للسياق في تحديد المقصود وإيثار بناء بعينه على بناء آخر لفرق دلالي دقيق بينهما.

(٣) مما يستنتج من خلال النظر في مواد البحث أن مراعاة التناسب بين الجموع المؤتلفة في نظم الآية الواحدة أو بين الآيات مطلب قرآني بديع فريد، فالأسلوب القرآني دائماً ما يراعى في إقران بعض الجموع أن تكون من باب واحد أو على وزن واحد غالباً، سواء أكانت من جموع القلة أم من جموع الكثرة، وإنك لتجد ذلك جلياً واضحاً في كثير من المواد التي عالجها البحث، ولتتأمل في اختيار القرآن الكريم هذه الجموع في قول الله جل ثناؤه: "**أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا**"[٦٩٣]، تجد هذه الأربعة من واد واحد جاءت من جموع القلة، وقد راعى القرآن الكريم بينها، فنجد الثلاثة الأول على الترتيب على أفعل (أرجل، أيد، أعين)، والرابعة: آذان على أفعال فجاور الثلاثة على التوالي وأفرد الأخيرة آذان في آخر الجموع، علماً بأن بعض هذه الجموع لا جمع لها في اللغة إلا ما ذكره القرآن الكريم أعني لفظ (أرجل، وآذان) ثم لاحظ كيف قسم القرآن الكريم هذه الجموع , فجمع بين الحواس (الأعين، والآذان) متتاليتين، وجمع بين الأعضاء التي بها الأخذ والسعي (الأرجل، والأيدي) متتاليتين، فكل لفظة في موضعها وبجوار أختها تؤدي ما يستحيل أن تؤديه غيرها، وإن توافقت معها وزناً ومعنى.

[٦٩٣]() سورة الأعراف، الآية: { ١٩٥ }.

ومثل هذه اللطيفة تجدها على سبيل المثال في اختيار عيون جمع كثرة لتتناسب مع ظلال، واختيار أنصاب لتتناسب مع أزلام، إذ لا يوجد للأخير جمع آخر في اللغة.

(٤) يهتم القرآن الكريم غالباً بإفراد كل صيغة من صيغ جمع المفرد بمعنى خاص سواء توافقت في معنى القلة أو الكثرة أو اختلفت، وإن كانت في الأصل يجمعها المعنى العام للمفرد، وهي خصيصة في الاستعمال القرآني من جهة إيثار جمع ما بدلالة معينة، وقصر آخر على دلالة أخرى.

(٥) مجيء أفعال في فَعْل ليس شاذاً كما ذهب بعض النحاة، وإن جاء مخالفاً للغالب في اللغة، فليس هناك ما يدعونا إلى اعتباره شاذاً، ويكفي تدليلاً على ذلك ورود أفعال في فَعْل في القرآن الكريم مثل: ألف وآلاف، وللتوفيق بين الرأيين: أن أفعالاً تستعمل غالباً فيما كان وسطه أو آخره حرف علة أو واواً ساكنة أو ياء ساكنة.

(٦) ويصدق ذلك أيضاً على ما جاء على أفعل في فَعْل وليس صحيح العين مثل: عين وأعين، فلا نحكم عليه بالشذوذ وإن خالف قياس النحاة لوروده في القرآن الكريم، والقاعدة تتسع لمثل هذا ما دام أن الحكم عليها يرجع إلى الاستعمال، فما بالك إن كان ذلك وارداً في أفصح عبارة وأبلغ أسلوب في القرآن الكريم.

(٧) الاستغناء ببعض الأبنية عن بعض في جمع التكسير واقع في اللغة، ويؤيده الاستعمال القرآني، سواء أكان ذلك على سبيل الحقيقة أم على سبيل المجاز.

وبعد فلعلى بعد هذا الجهد المتواضع أكون قد ساهمت في إماطة اللثام عن هذه الظاهرة اللغوية في القرآن الكريم، وما فيها من آراء مختلفة عند اللغويين والنحاة والمفسرين، وما تجلى فيها من دقائق لغوية وفروق لطيفة بين أبنيتها.

وإن كنت قد وفقت لما صمدت له فذاك بفضل من الله وتوفيقه وإن كانت الأخرى فحسبي أني بذلت قصارى جهدي في البحث خدمة لكتاب الله تعالى، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، ولله الحمد في الأولى والآخرة.

قائمة بأهم المصادر

١) الإتقان فى علوم القرآن للإمام جلال الدين السيوطى (٨٤٩-٩١١هـ) دار الفكر للطباعة.
٢) أسرار العربية لأبى البركات عبد الرحمن بن محمد أبى سعيد الأنبارى (٥١٣-٥٧٧هـ) تحقيق محمد بهجة البيطار – مطبوعات المجمع العلمى العربى – دمشق.
٣) الأشباه والنظائر فى القرآن الكريم لمقاتل بن سليمان البلخى (المتوفى سنة ١٥٠هـ) تحقيق: د/ عبد الله محمود شحاته – الهيئة المصرية العامة للكاب ١٤١٤هـ، ١٩٩٤، ط الثانية مصورة عن ط الأولى ١٣٩٥هـ ١٩٧٥.
٤) الاشتقاق لأبى بكر محمد بن الحسن بن دريد (٢٢٣-٣٢١هـ) . تحقيق: الأستاذ عبد السلام محمد هارون – دار الجيل – بيروت – ط الأولى، ١٤١١هـ، ١٩٩١.
٥) إصلاح المنطق لأبى يوسف يعقوب بن السكيت (١٨٦ – ٢٤٤هـ) – تحقيق: الأستاذ محمد شاكر والأستاذ عبد السلام محمد هارون – دار المعارف المصرية – ط الرابعة.
٦) الأصول فى النحو لأبى بكر محمد بن سهل بن السراج (المتوفى سنة ٣١٦هـ) تحقيق: د/ عبد الحسين القلى – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط الأولى، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
٧) إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه – تحقيق د/ عبد الرحمن بن سليمان العثيمين الناشر مكتبة الخانجى بالقاهرة – ط الأولى، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.
٨) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) – الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان – عام النشر : ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ مـ.
٩) إعراب القراءات الشواذ لأبى البقاء العكبرى (٥٣٨-٦١٦هـ) . تحقيق: السيد أحمد عزوز – عالم الكتب – بيروت – ط الأولى ١٤١٧ هـ ١٩٩٦م.
١٠) إعراب القرآن لأبى جعفر أحمد بن محمد إسماعيل النحاس ٣٣٨هـ (المتوفى سنة ٣٣٨هـ) – تحقيق: د/ زهير غازى زاهد – عالم الكتب بيروت – مكتبة النهضة العربية – ط الثالثة، ١٤٠٩ هـ١٩٨٨م.

١١) إعلام الموقعين عن رب العالمين لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) . تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم . الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت . ط الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.
١٢) إملاء ما من به الرحمن لأبى البقاء العكبرى – تحقيق إبراهيم عطوة عوض . دار الحديث – القاهرة.
١٣) الإنصاف فى مسائل الخلاف لأبى البركات عبد الرحمن بن محمد الأنبارى (٥١٣هـ ٥٧٧هـ) تحقيق د/ جودة مبروك – الناشر مكتبة الخانجى بالقاهرة.
١٤) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لأبى محمد عبد الله بن هشام الأنصارى المصرى (المتوفى سنة ٧٦١هـ). تحقيق: د/ إميل يعقوب – دار الكتب العلمية– بيروت – لبنان – ط الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.
١٥) الأيام والليالى والشهور لأبى زكريا يحيى بن زياد الفراء (١٢٤ – ٢٠٧هـ) . تحقيق: إبراهيم الإبيارى – دار الكتاب المصرى – القاهرة – دار الكتاب اللبنانى – بيروت – ط الثانية، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.
١٦) البحر المحيط لمحمد بن يوسف المعروف بأبى حيان الأندلسى الغرناطى (٦٥٤هـ ٧٥٤هـ) – الناشر دار الكتاب الاسلامي – القاهرة – ط الثانية ١٤١٣هـ ١٩٩٢م. ط أخرى : تحقيق: صدقي محمد جميل (دار الفكر بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ).
١٧) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى تحقيق الأستاذ محمد على النجار – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية– مصر ط الثالثة، ١٤١٦هـ١٩٩٦م.
١٨) البيان فى غريب إعراب القرآن لأبى البركات بن الأنبارى . تحقيق: د/ طه عبد الحميد طه وآخر – الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م.
١٩) التحرير والتنوير لابن عاشور – دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس، بدون .
٢٠) (طبعة أخرى: الدار التونسية للنشر – تونس . سنة النشر: ١٩٨٤ هـ).
٢١) التطور النحوى للغة العربية لبرجشتراسر – صححه وعلق عليه د/ رمضان عبد التواب – الناشر مكتبة الخانجى بالقاهرة – دار الرفاعى بالرياض.

٢٢) التعريفات لعلى بن محمد بن على الجرجانى (٧٤٠-٨١٦هـ) . تحقيق: إبراهيم الإبيارى – دار الريان للتراث.
٢٣) تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) . تحقيق: محمد حسين شمس الدين . الناشر: دار الكتب العلمية . منشورات محمد علي بيضون – بيروت . ط الأولى، ١٤١٩ هـ.
٢٤) تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) . الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٢٥) تفسير البيضاوى المسمى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) للقاضى ناصر الدين أبى سعيد عبد الله ابن عمر بن محمد الشيرازى البيضاوى المتوفى سنة ٧٩١هـ دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط الأولى، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
٢٦) تفسير غريب القرآن لأبى بكر السجستانى – تحقيق محمد صادق قمحاوى – مكتبة عالم الفكر – الحسين – القاهرة.
٢٧) تفسير الكشاف للزمخشرى – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط الأولى، ١٤١٥هـ ١٩٩٥.
٢٨) تفسير النهر الماد من البحر المحيط لابي حيان الاندلسي الغرناطي – الناشر دار الكتاب الاسلامي – القاهرة – ط الثانية، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.
٢٩) التفسير الوسيط للقرآن الكريم لشيخ الأزهر الدكتور محمد طنطاوي ـ الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ـالفجالة ـ القاهرة . الطبعة الأولى.
٣٠) التنبيه والإيضاح عما وقع فى الصحاح المعروف بحواشى ابن برى لأبى محمد عبد الله بن برى المصرى المتوفى سنة ٥٨٢هـ . تحقيق: د/ مصطفى حجازى – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ط الأولى، ١٩٨٠م.
٣١) تهذيب إصلاح المنطق لأبى زكريا يحيى بن على الخطيب التبريزى (٤٢١-٥٠٢هـ) تحقيق: د/ فوزى عبد العزيز مسعود – الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.

٣٢) تهذيب اللغة لأبى منصور بن أحمد الأزهرى (٢٨١-٣٧٠هـ) . تحقيق: الأستاذ عبد السلام محمد هارون – الدار المصرية للتأليف والترجمة – دار القومية العربية للطباعة – القاهرة، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
٣٣) تاج العروس للسيد محمد مرتضى الزبيدى – المطبعة الخيرية – الجمالية – مصر – ط الأولى، ١٣٠٦هـ.
٣٤) تيسيرات لغوية للدكتور شوقي ضيف – ط دار المعارف بالقاهرة.
٣٥) جموع التصحيح والتكثير في اللغة العربية – تأليف عبدالمنعم سيد عبدالعال – الناشر مكنبة الخانجي بالقاهرة.
٣٦) جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد الطبري، (المتوفى: ٣١٠هـ) . تحقيق محمود محمد شاكر – ط الثانية – دار المعارف المصرية.
٣٧) جامع الدروس العربية للشيخ مصطفي الغلاييني – تحقيق: عبدالمنعم خليل – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط الأولي، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.
٣٨) الجامع لأحكام القرآن لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى المتوفى سنة ٦٧١هـ – الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧ – ط الثالثة مصورة عن ط الثانية.
٣٩) الحجة فى القراءات السبع للحسين بن أحمد بن خالويه،(المتوفى: ٣٧٠هـ) . تحقيق: د/ عبد العال سالم مكرم – دار الشروق بيروت – ط الثانية، ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧م.
٤٠) حجة القراءات لأبى زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة المتوفى فى حدود سنة ٤٠٣ هـ مؤسسة الرسالة – بيروت – ط الخامسة، ١٤١٨-١٩٩٧م.
٤١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ) . تحقيق: د/ أحمد محمد الخراط . الناشر: دار القلم . دمشق.
٤٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) . الناشر: دار الفكر – بيروت.
٤٣) ديوان الأدب لأبى إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابى – تحقيق: أحمد مختار عمر – مطبوعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

٤٤) ديوان امرِئ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، (المتوفى: ٥٤٥ م) تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي ـ الناشر: دار المعرفة – بيروت ـ ط الثانية، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.

٤٥) ديوان الطرماح لطرماح بن حكيم بن الحكم (المتوفى: ١٢٥ هـ) ـ الناشر: دار الشرق العربي ـ بيروت – لبنان ـ ط الثانية، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤م.

٤٦) ديوان النابغة الجعدي . تحقيق: واضح الصمد . الناشر : دار صادر . بيروت الطبعة: الأولى، ١٩٩٨م.

٤٧) روح المعانى لأبى الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسى البغدادى المتوفى سنة ١٢٧٠هـ . تحقيق: على البارى عطية – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان– ط الأولى، ١٤٢٢هـ٢٠٠١م.

٤٨) زاد المسير فى علم التفسير لأبى الفرج جمال الدين بن عبد الرحمن بن محمد الجوزى القرشى البغدادى (٥٠٨–٥٩٧هـ) . تحقيق: أحمد شمس الدين – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط الثانية ١٤٢٢هـ٢٠٠٢.

٤٩) الزهد لأبي داود، الإمام الحافظ أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدى (٢٠٢–٢٧٥هـ) . تحقيق: أبي تميم ياسر بن ابراهيم بن محمد . الناشر: دار المشكاة للنشر والتوزيع، حلوان . القاهرة . ط الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣م.

٥٠) السبعة لأبى بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمى البغدادى المتوفى سنة تحقيق د/ شوقى ضيف – دار المعارف المصرية – ط الثالثة.

٥١) سر صناعة الإعراب لابن جنى – تحقيق د/ حسن هنداوى – دار القلم– دمشق – بيروت – ط الثانية، ١٤١٣هـ١٩٩٣.

٥٢) سنن ابن ماجه للحافظ أبى عبد الله بن يزيد فريد القزوينى(٢٠٧–٢٧٥هـ) . تحقيق: فؤاد عبد الباقى – دار الريان للتراث – مطبعة دار إحياء الكتب العربية – مصطفى البابى الحلبى – القاهرة.

٥٣) سنن أبى داود . تحقيق: محمد محى الدين عبد الحميد – المكتبة العصرية – صيدا – بيروت.

٥٤) سنن ابن ماجه أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ) ـ شعيب الأرنؤوط، وآخرين – الناشر: دار الرسالة العالمية – ط الأولى، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.
٥٥) سنن الترمذى للإمام أبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى المتوفى سنة ٢٩٧هـ تحقيق: محمود محمد محمود حسن نصار – دار الكتب العلمية . بيروت – لبنان – ط الأولى، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠.
٥٦) سنن الدارقطني لأبي الحسن علي بن عمر بن أحمد دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرين ـ الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان . ط الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م.
٥٧) شرح ابن عقيل لبهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلى الهمدانى المصرى (٦٩٨هـ) مكتبة دار التراث – القاهرة – ط جديدة، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.
٥٨) شرح الأشمونى ومعه حاشية الصبان على ألفية ابن مالك – تحقيق: إبراهيم شمس الدين – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط الأولى، ١٤١٧هـ١٩٩٧م.
٥٩) شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد بن عبد الله الأزهرى المتوفى سنة ٩٠٥هـ . تحقيق: محمد باسل العيون – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان . ط الأولى ١٤٢١هـ٢٠٠٠م.
٦٠) شرح القصائِد العشر ليحى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبي زكريا (المتوفى: ٥٠٢هـ) . الناشر: عنيت بتصحيحها وضبطها والتعليق عليها للمرة الثانية: إدارة الطباعة المنيرية . القاهرة . عام النشر: ١٣٥٢ هـ.
٦١) شرح كافية ابن الحاجب لرضى الدين الاستراباذى . تحقيق: د/ إميل يعقوب – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان– ط الأولى، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
٦٢) شرح اللمع لأبى زكريا يحيى بن على الخطيب التبريزى . تحقيق: د/ السيد تقى السيد – ط الأولى ١٤١١هـ.
٦٣) شرح اللمع لأبي القاسم بن محمد الواسطي الضرير – تحقيق: رجب عثمان محمد – الناشر مكتبة الخانجي – القاهرة – ط ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

٦٤) شرح المعلقات السبع لأبى عبد الله الحسين بن الزوزنى – مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى – مصر . ط ١٣٧٩ هـ ١٩٥٩م.
٦٥) شرح المفصل لموفق الدين يعيش بن على بن يعيش المتوفى سنة ٦٤٣هـ . مكتبة المتنبى – القاهرة.
٦٦) الصاحبى في فقه اللغة العربية لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، (المتوفى: ٣٩٥هـ) تحقيق: أحمد حسن بسج – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط الأولى، ١٤١٨ هـ١٩٩٧م.
٦٧) الصحاح لأبى نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى المتوفى سنة ٤٠٠هـ تقريباً – تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا – دار العلم للملايين – بيروت – ط الرابعة، ١٩٩٠م.
٦٨) صفة الجنة لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ) . تحقيق: علي رضا عبد الله . الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق / سوريا.
٦٩) العين للخليل بن أحمد الفراهيدى (١٠٠–١٧٥هـ) . تحقيق: د/ هلال المخزومى وآخر – وزارة الثقافة والإعلام– الجمهورية العراقية – دار الرشيد ١٩٨٠.
٧٠) عيون الأخبار لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) . الناشر: دار الكتب العلمية . بيروت تاريخ النشر: ١٤١٨ هـ.
٧١) غريب القرآن لابن قتيبة أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ـ سعيد اللحام ـ بدون طبعة.
٧٢) الفاضل لمحمد بن يزيد، أبي العباس، المعروف بالمبرد، (المتوفى: ٢٨٥هـ) . الناشر: دار الكتب المصرية . القاهرة . ط الثالثة، ١٤٢١ هـ.
٧٣) الفروق اللغوية لأبى هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكرى المتوفى سنة ٣٩٥ – تحقيق: حسام الدين القدسى – دار زاهد القدسى – القاهرة.
٧٤) الفوائد والقواعد لعمر ابن ثابت الثمانيني – تحقيق د/ عبدالوهاب محمود الكحله – مؤسسة الرسالة – بيروت لبنان – ط الأولي، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

٧٥) القاموس المحيط لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ – الهيئة المصرية العامة للكاب ١٣٩٨هـ ١٩٧٨ نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية سنة ١٣٠١هـ.
٧٦) الكتاب لسيبويه – أبى بشر عمرو بن عثمان بن قنبر –١٨٠هـ) . تحقيق: عبد السلام محمد هارون – الناشر مكتبة الخانجى بالقاهرة – ط الثالثة ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨.
٧٧) كتاب الدر اللقيط من البحر المحيط لتاج الدين الحنفي علي هامش البحر المحيط – الناشر دار الكتاب الاسلامي بالقاهرة – ط الثانية، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.
٧٨) كتاب في أصول اللغة – مطبوعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة (١٣٨٨هـ–١٩٦٩م).
٧٩) الكتاب المختار في معاني قراءات أهل الأمصار لأبي بكر أحمد بن ادريس – تحقيق: عبدالعزيز الجوهري – مكتبة الرشد – ط أولي، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.
٨٠) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لأبى محمد مكى بن طالب القيسى – تحقيق: د/ محيى الدين رمضان – مؤسسة الرسالة – بيروت– ط الخامسة، ١٤١٨ هـ ١٩٩٧م.
٨١) الكليات لأبى البقاء أيوب بن موسى الحسينى الكفوى المتوفى سنة ١٠٩٤ هـ . تحقيق: عدنان درويش وآخر – دار الكتاب الإسلامى – القاهرة – ط الثانية، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.
٨٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لأبى محمد مكى بن طالب القيسى – تحقيق د/ محيى الدين رمضان – مؤسسة الرسالة – بيروت– ط الخامسة ١٤١٨ هـ ١٩٩٧م.
٨٣) لسان العرب لأبى الفضل جمال الدين محمد بن منظور (٦٣٠–٧١١هـ) دار المعارف المصرية.
٨٤) لغة هذيل تأليف د/ عبد الجواد الطيب، بدون.
٨٥) اللمع في العربية لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ) – تحقيق: حامد المؤمن – عالم الكتب بيروت – مكتبة النهضة العربية – ط الثانية، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

٨٦) مجمل اللغة لأبى الحسين أحمد بن فارس – تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان – مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان – ط الثانية، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦.
٨٧) مجمع البيان لأبى على الفضل بن الحسن الطبرسى – منشورات دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر – بيروت – لبنان.
٨٨) مجاز القرآن لأبى عبيدة معمر بن المثنى – علق عليه محمد فؤاد سزكين – الناشر مكتبة الخانجى بالقاهرة.
٨٩) مجالس ثعلب لأبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب– تحقيق: عبد السلام محمد هارون – دار المعارف – ط الخامسة.
٩٠) المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات لأبى الفتح عثمان بن جنى – حققه على النجدى ناصف وآخران – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . القاهرة، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.
٩١) المحرر الوجيز للقاضى أبى محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسى (٤٨١ – ٥٤٦هـ) . تحقيق: المجلس العلمى بفاس – توزيع مكتبة ابن تيمية – القاهرة.
٩٢) المحكم لأبى الحسن على بن إسماعيل بن سيده المتوفى سنة ٤٥٨هـ . تحقيق: عبدالحميد هنداوى – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان . ط الأولى، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠.
٩٣) مختصر فى شواذ القراءات لابن خالويه – مكتبة المتنبى – القاهرة.
٩٤) المدخل إلى علم السنن لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٣٨٤ هـ – ٤٥٨ هـ) . تحقيق: محمد عوامة . الناشر: دار اليسر للنشر والتوزيع، القاهرة – جمهورية مصر العربية، دار المنهاج للنشر والتوزيع، بيروت – لبنان . ط الأولى، ١٤٣٧ هـ – ٢٠١٧ م.
٩٥) المذكر والمؤنث لسعيد بن إبراهيم التسترى الكاتب (٣٦١هـ) . تحقيق: د/ أحمد عبد المجيد هريدى – الناشر مكتبة الخانجى بالقاهرة – دار الرفاعى بالرياض . ط الأولى، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣م.

٩٦) المذكر والمؤنث لأبى بكر بن الأنبارى – تحقيق، محمد عبد الخالق عظيمة – ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة ١٤٠١ هـ ١٩٨١م.
٩٧) المستدرك على الصحيحين لعبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) . تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا . الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت . ط الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠م).
٩٨) مسند الإمام أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١هـ– دار الكتب العلمية – بيروت . ط الأولى، ١٤١٣هـ–١٩٩٣م.
٩٩) المسند للإمام الشافعي أبي عبد الله محمد بن إدريس بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ) . الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان ـ عام النشر: ١٤٠٠ هـ.
١٠٠) مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ) . تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وآخرين . الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة . ط الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م)
١٠١) المصباح المنير لأحمد بن محمد بن على المقرى الفيومى المتوفى سنة ٧٧٠هـ– ط الخامسة بالمطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٢٢.
١٠٢) معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) . الناشر: عالم الكتب . ط الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.
١٠٣) المعجم الوسيط – مطبوعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة – ط الثالثة.
١٠٤) معانى القرآن للأخفش أبى الحسن سعيد بن مسعده البلخى المجاشعى المتوفى سنة ٢١٥هـ . تحقيق: هدى محمود قراعة – مكتبة الخانجى بالقاهرة . ط الأولى، ١٤١١هـ ١٩٩٠م.
١٠٥) معانى القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ) . تحقيق: أحمد يوسف نجاتى ، والأستاذ محمد على النجار . الناشر: دار السرور . بيروت . لبنان.
١٠٦) معانى القرآن وإعرابه للزجاج . تحقيق: د/ عبد الجليل عبده شلبى – عالم الكتب – بيروت – ط الأولى، ١٤٠٨هـ١٩٨٨.

١٠٧) معانى القراءات لأبى منصور الأزهرى – تحقيق: د/ عيد مصطفى درويش، وآخر– دار المعارف المصرية – ط الأولى، ١٤١٢هـ ١٩٩١م.
١٠٨) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ) . الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت . ط الثالثة – ١٤٢٠ هـ.
١٠٩) المفردات فى غريب القرآن لأبى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى – تحقيق إبراهيم شمس الدين – دار الكتب . بيروت.
١١٠) المفضليات للمفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي (المتوفى: نحو ١٦٨هـ) ـ تحقيق وشرح: الأستاذ أحمد محمد شاكر، والأستاذ عبد السلام محمد هارون ـ الناشر: دار المعارف – القاهرة ـ ط السادسة.
١١١) المقتضب لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد – تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.
١١٢) مقاييس اللغة لابن فارس – تحقيق عبد السلام محمد هارون – دار الجبل – بيروت.
١١٣) من أسرار اللغة لإبراهيم أنيس – مكتبة الأنجلو المصرية – ط السابعة ١٩٨٥.
١١٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) ـ الناشر: دار الكتاب الإسلامي ـ القاهرة .
١١٥) النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٥٤٤–٦٠٦هـ) تحقيق أبو عبد الرحمن بن عويضة – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان– ط الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.
١١٦) همع الهوامع فى شرح جمع الجوامع للسيوطى تحقيق: د/ عبد الحميد هنداوى . المكتبة التوفيقية – القاهرة.
١١٧) الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب العزيز لأبى عبد الله الحسين بن محمد الدامغانى المتوفى سنة ٤٧٨هـ – تحقيق: محمد حسن أبو العزم – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.
١١٨) الوسيط في تفسير القرآن المجيد لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) ـ تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ـ الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ـ ط الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م.

فهرس

م	العنوان	الصفحة
١	الملخص	٣
٢	المقدمة	٥
٣	تمهيد	٧
٤	مبحث ما له صيغتان من صيغ جمع التكسير في القرآن الكريم	١٥
٥	إخوان . وإخوة	١٥
٦	أسرى . وأسارى	٢٠
٧	أسورة . وأساور	٢٤
٨	ألوف . وألاف	٢٨
٩	البحار . والأبحر	٣٣
١٠	أبرار . وبررة	٣٨
١١	حمر . وحمير	٤٢
١٢	خلفاء . وخلائف	٤٤
١٣	ذكور . وذكران	٤٨
١٤	الركب . والركبان	٤٩
١٥	سجد . وسجود	٥١
١٦	شتى . وأشتاتاً	٥٢
١٧	شداد . وأشداء	٥٣
١٨	شهداء . شهود . أشهاد	٥٦
١٩	شهر . وأشهر	٦٠
٢٠	شيع . وأشياع	٦٢
٢١	ضعفاء . وضعاف	٦٧

٢٢	ظلال . وظلل	٦٩
٢٣	عباد . وعبيد	٧١
٢٤	عمي . وعميان	٧٧
٢٥	عيون . وأعين	٧٨
٢٦	فتيان . وفتية	٨٤
٢٧	الفجار . الفجرة . الكفار . الكفرة	٨٦
٢٨	أكنان . وأكنة	٩٠
٢٩	موتى . وأموات	٩٣
٣٠	نساء . ونسوة	٩٥
٣١	نصب . وأنصاب	٩٦
٣٢	نصارى . وأنصار	١٠٢
٣٣	نعم . وأنعم	١٠٥
٣٤	النعم . والأنعام	١٠٨
٣٥	أنفس . ونفوس	١٠٩
٣٦	الخاتمة	١١٧
٣٧	الفهارس	١١٩

SUMMARY

The Holy Qur'an included among its covers great treasures and secrets in various sciences and knowledge, and it has paved the way in every age to reach them and to find out some of its secrets, so the research in the Holy Qur'an came in a variety of varied and diverse knowledge and trends, revealing the greatness of this holy book and its great impact on all people.

Among the linguistic researches that have received a great deal of research and study in the language and the Holy Qur'an is the phenomenon of broken plural, because of its great impact, in terms of the morphological level and in terms of the semantic level and its connection to the context, which may impose a certain type of multitude that does not lead to meaning, or understand what is meant except by it, or through it. It was from the grace of God that he guided me to choose a topic closely related to Qur'anic and Arabic studies alike, which is "what has two broken plurals in the Holy Qur'an a linguistic study." The research covered the impact of the Holy Qur'an in Arabic and the extent of its importance to our Arabic language, the idea of number in human languages, the plurals and its divisions, the broken plurals, its importance in linguistic studies, and the opinions of scholars in it. The research also dealt with the words mentioned in the Holy Qur'an in two or more forms of the groups of fractures, and the singular of which is one, Such as Ekhwah and Akhawat, Bahr and Bihar, Humur and Hamir, Zokur and Zukran, Khulafaa and Khalaef, Shuhadaa and Shuhuud and Ashhad , Anfus and Nufuus, Alf and Oluf, so I collected them from the Holy Qur'an and arranged them in alphabetical and lexical order and their origin linguistic consolidation from the various language sources, interpretation books, and the meanings of the Holy Qur'an.

One of the results reached by the research is that the broken plural is many and overlapping, so it does not have a fixed structure, and the examples from the Noble Qur'an express that. The concept of the few and the abundance does not have a fixed base and the competence of each collection in a sense is one of the characteristics of Quranic use.

Key words: The Holy Qur'an – Broken plural – Plural of the few - Plural of Abundance - Language - Significance.